

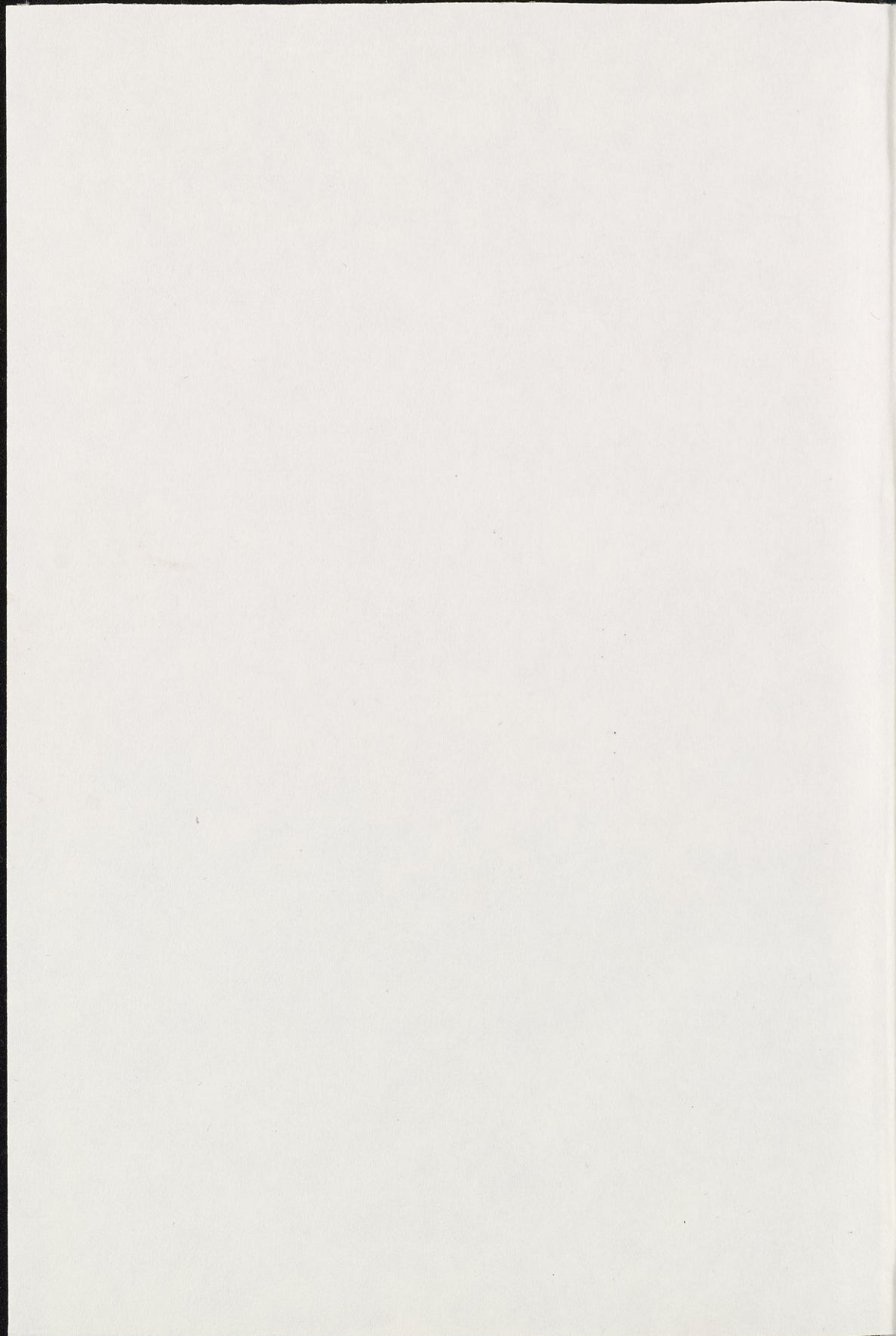
BOBST LIBRARY

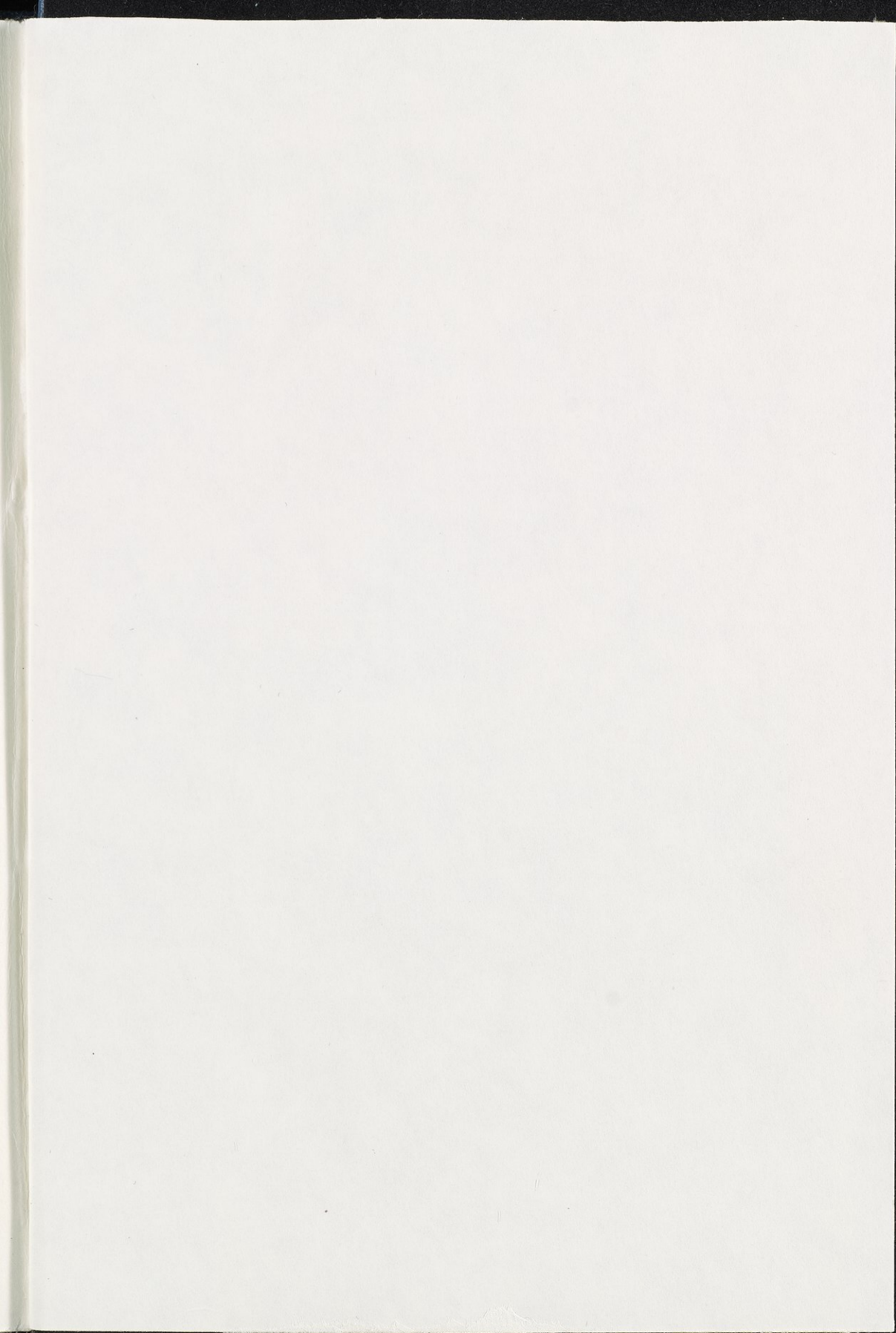


3 1142 01869 7261

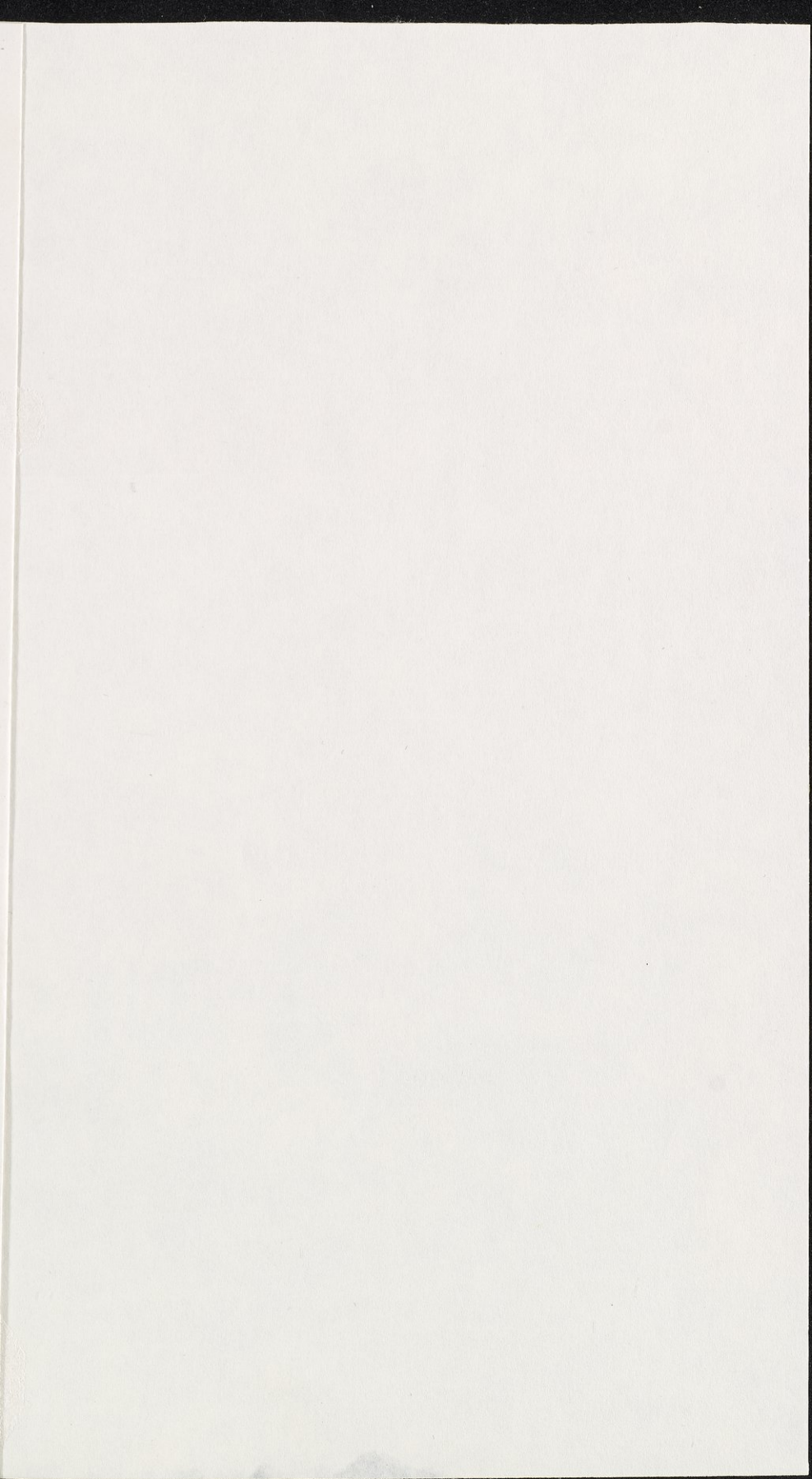

Elder H. H. H. H.
Bobst Library

New York
University

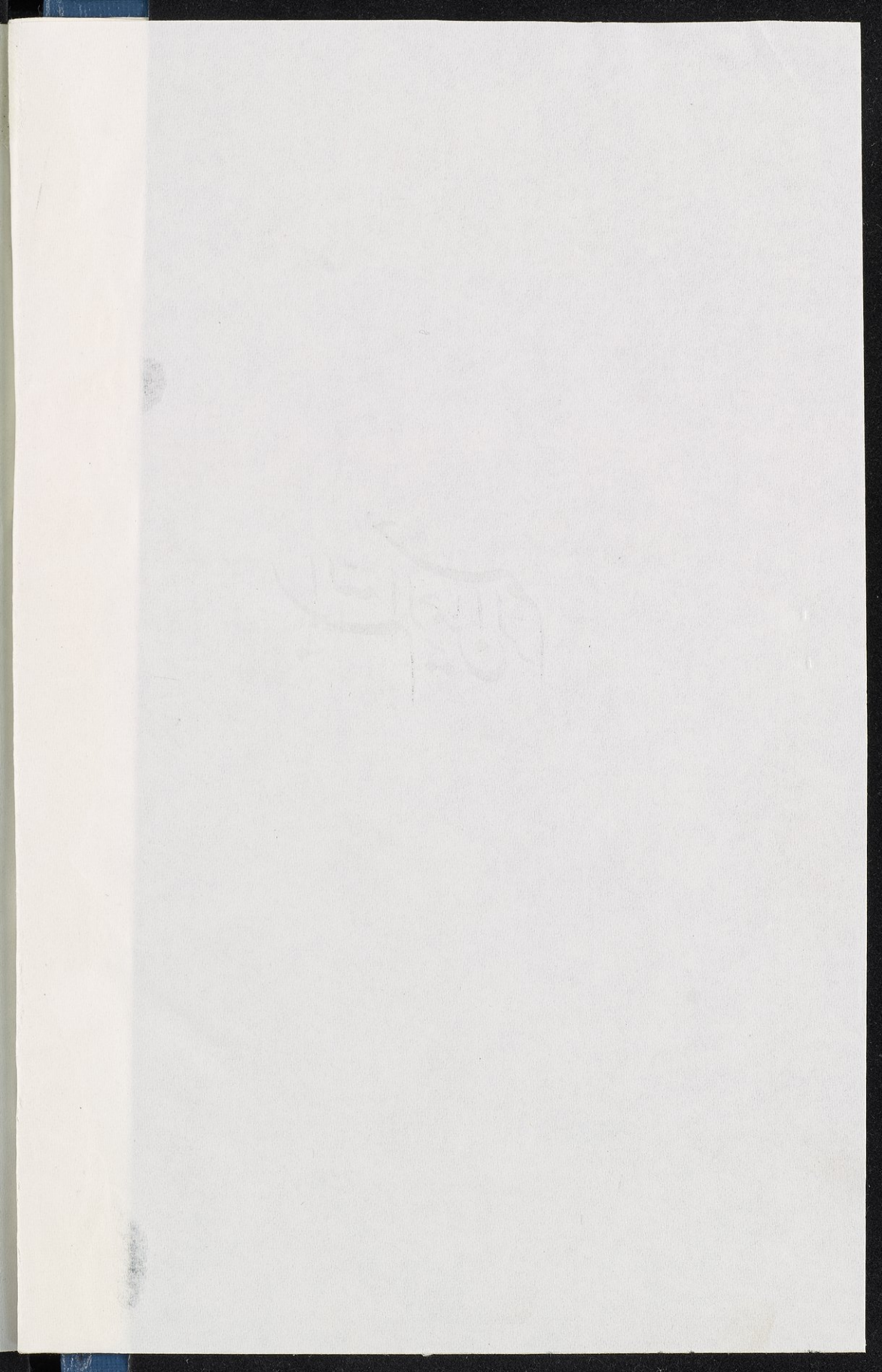








بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



Fādilī, Muhammad

دراسة نقدية

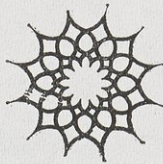
في

مسائل البلاغية كلها

Dirāsah wa-naqd fi masā'il balāghīyah hāmmah

تأليف:

محمد صادق



مؤسسة مطالعات و تحقیقات فرهنگی

تهران ۱۳۶۵

PJ

6161

.F23

1986

C.1

NOV 10 1994

مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی

وابسته به

وزارت فرهنگ و آموزش عالی

دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة

شماره: ۵۵۳

تیراژ: ۲۰۰۰ نسخه

نوبت چاپ: چاپ اول

تاریخ انتشار: ۱۳۶۵

چاپ و صحافی: چاپخانه دانشگاه فردوسی مشهد

حق چاپ برای ناشر محفوظ است

01869

7261

المحتويات

صفحة	موضوع
١-٤	تمهيد
	مقدمة في النصاحة
	٥-٧٠
٦	الفصاحة لغة
٦-٢١	الفصاحة اصطلاحا
٢١-٤١	نقد وتحقيق في معنى الفصاحة
٤٢-٥٢	الفصاحة بين اللفظ والمعنى
٥٢	معنى البلاغة
٥٢-٥٣	البلاغة لغة
٥٣-٦٨	البلاغة اصطلاحا
٦٨-٦٩	موضوع البلاغة
٦٩-٧٠	فائدة علم البلاغة

الباب الاول في الجملة

٧١-١٧٤

الفصل الاول : منزلة الجملة من الدلالة والبيان

٧١-٧٤	الدلالة والبيان
٧٤-٧٥	الجملة وعناصرها
٧٥-٧٦	موارد المسند اليه

صفحة	موضوع
٧٦-٧٧	موارد المسند
	الفصل الثاني : الجملة الخبرية
	٧٧-٨٤
٧٧-٨٤	فائدة الخبر
	الفصل الثالث : في الجملة
	الانشائية وفيه مباحث
	٨٤-١٤٥
٨٤	المبحث الاول - في تعريف الانشائية وتقسيمها
٨٥-٨٦	تقسيم الجملة الانشائية
٨٦	المبحث الثاني - الاستفهام
٨٦-٨٨	انقسام أدوات الاستفهام
٨٨-٩٠	احكام الهمزة
٩١-٩٦	هل
٩٦-١٠٤	ماعد الهمزه وهل
١٠٥-١٠٧	الفرق بين كم الاستفهام كلية والخبرية
١٠٧-١١٥	اخراج أدوات السؤال الى معاني غير استفهامية
١١٥-١١٧	ظواهر بعض المعاني البلاغية
١١٧-١١٨	بلاغة اساليب الاستفهام
١١٩	المبحث الثالث - الامر
١١٩-١٢٣	صيغ الامر
١٢٣-١٢٥	نقد الاغراض المذكورة للأمر
١٢٥-١٢٧	المبحث الرابع - النهي
١٢٧	المبحث الخامس - النداء
١٢٨-١٢٩	حروف النداء

صفحة	موضوع
١٢٩-١٣٢	لطائف واغراض بلاغية لصيغ النداء
١٣٢-١٣٣	العلاقة بين هذه الاغراض والمعنى الاصلى
١٣٣-١٣٤	اساليب النداء
١٣٥	المبحث السادس التمني
١٣٦-١٣٨	كلمات التمني
١٣٨-١٤٣	بلاغة «لو» فى التمنى
١٤٣-١٤٥	مواضع الانشاء والخبر
الفصل الرابع	
١٤٦-١٧٥	
فى القصر	
١٤٦-١٤٧	القصر لغة واصطلاحا
١٤٧-١٤٨	مواقع القصر
١٤٩	اقسام القصر
١٤٩-١٥١	١- القصر باعتبار الطرفين
١٥١-١٥٤	٢- القصر باعتبار الحقيقة والواقع
١٥٥-١٥٧	٣- القصر باعتبار اعتقاد المخاطب
١٥٧-١٧٠	طرق القصر
١٧٠-١٧٤	ميزات طرق القصر الستة
(الباب الثانى - الصورة)	
١٧٥-٣٦٣	
الفصل الاول	
١٧٩-٢٤١	
التشبيه	
١٧٩-١٨٠	معنى التشبيه و علاقته بالخيال

صفحة	موضوع
١٨٠-١٨٢	التشبيه ظاهرة عامة
١٨٢-١٨٩	اهمية التشبيه وبلاغته
١٨٩-١٩١	اركان التشبيه
١٩١-١٩٤	أدوات التشبيه
١٩٤-١٩٥	أقسام التشبيه
١٩٥-١٩٨	١- التشبيه البليغ
١٩٨-٢٠٣	٢- التشبيه التمثيلي
٢٠٣-٢٠٦	صور وقوع التشبيه التمثيلي
٢٠٦-٢٠٧	بلاغة التمثيل
٢٠٨	منزلة التشبيه التمثيلي
٢٠٨-٢١٠	٣- التشبيه الضمني
٢١٠	بلاغة التشبيه الضمني
٢١٠-٢١٣	٤- تشبيه المركب بالمركب
٢١٣-٢١٧	الفرق بين التشبيه المركب والمقيد والمتعدد
٢١٧-٢١٩	٥- التشبيه المقلوب
٢١٩-٢٢١	التشبيه المقلوب من الناحية النفسية
٢٢١-٢٢٢	جمال التشبيه المقلوب وبلاغته
٢٢٢-٢٢٣	٦- التشبيه المجمل والمفصل
٢٢٣-٢٣٢	اغراض التشبيه
٢٣٢-٢٤١	التشبيه في ميزان النقد
	الفصل الثاني - المجاز
	٢٤٢-٢٧٥
	معنى الحقيقة والمجاز
٢٤٢-٢٤٣	الحقيقة لفة

صفحة	موضوع
٢٤٣-٢٤٥	الحقيقة اصطلاحاً
٢٤٥	المجاز لغة
٢٤٥-٢٤٩	المجاز اصطلاحاً
٢٥٠-٢٥١	المجاز آية المواهب
٢٥١-٢٥٣	اللفظ بين الحقيقة والمجاز
٢٥٣-٢٥٤	توارد الحقيقة والمجاز على لفظ واحد
٢٥٤-٢٥٥	الفرق بين الحقيقة والمجاز
٢٥٥-٢٧٥	اقسام المجاز
٢٦٠-٢٦١	المجاز في أدوات الاستفهام وصيغ الامر والنهي
٢٦١-٢٦٧	المجاز العقلي
٢٦٧-٢٦٨	اجتماع المجاز العقلي مع اللغوي
٢٦٨-٢٧٠	رجوع المجاز العقلي الى اللغوي
٢٧٠	اطلاق آخر للمجاز العقلي
٢٧٠-٢٧١	الملحق بالمجاز
٢٧٢-٢٧٥	بلاغة المجاز

الفصل الثالث : في الاستعارة

٢٧٥-٣٣٦

٢٧٥-٢٨٠	المراد منها
٢٨٠-٢٨٣	الفرق بين التشبيه والاستعارة
٢٨٣-٢٨٧	«زيد أسد» بين الاستعارة والتشبيه
٢٨٧-٢٨٨	ما يحتمل الاستعارة والتشبيه بحسب إعراب المشبه به
٢٨٨-٢٩٠	الاستعارة بين المجاز اللغوي والعقلي
٢٩٠-٢٩١	توارد الاستعارة والمجاز المرسل على محل واحد
٢٩١-٢٩٧	صَوْر الاستعارة

صفحة	موضوع
٢٩٨-٣٠١	بلاغة المرشحة
٣٠١-٣١٠	آراء حول الاستعارة المكنية والتخييلية
٣١٠-٣١٢	المكنية بين «المكنى بها» و «المكنى عنها»
٣١٢-٣١٣	هل المكنية من أقسام الاستعارة في المفرد
٣١٣-٣١٤	اجتماع المكنية مع المصراحة
٣١٤-٣١٧	الاصلية والتبعية
٣١٨-٣٢٣	تحقيق معنى الاستعارة التبعية
٣٢٣-٣٢٤	رأى السكاكى في الاستعارة التبعية
٣٢٤-٣٢٥	التبعية في المكنية والتمثيلية
٣٢٥-٣٢٦	نوع آخر من الاستعارة التبعية
٣٢٧-٣٣٢	بلاغة الاستعارة
٣٣٢-٣٣٦	الاستعارة في ميزان النقد

الفصل الرابع : في الكناية والتعريض

٣٣٦-٣٦٣

٣٣٨-٣٥٠	آفاق الكناية
٣٣٨	الكناية في اللغة
٣٣٨-٣٤٣	الكناية في الاصطلاح
٣٤٣-٣٤٥	الكناية واقسامها عند ابن الاثير
٣٤٥-٣٥٠	الكناية واقسامها عند السكاكى
٣٥٠	التعريض والمراد منه
٣٥٠-٣٥١	التعريض في اللغة
٣٥١-٣٥٥	التعريض في الاصطلاح
٣٥٦	تلخيص الفرق بين التعريض والكناية
٣٥٦-٣٦٣	بلاغة الكناية والتعريض

صفحة	موضوع
	الباب الثالث : في الاسلوب
	٣٦٤ - ٣٧٨
٣٦٤-٣٦٧	تمهيد
٣٦٧-٣٦٩	الأسلوب وسبب اختلاف ألوانه
٣٧٠-٣٧٢	عناصر الاسلوب
٣٧٣-٣٧٨	أقسام الاسلوب
٣٧٩-٤١٠	الفهرس
٤١١-٤١٨	مصادر الكتاب

1875

1876

1877

1878

1879

1880

1881

1882

1883

1884

1885

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30

الاعلاط المطبعية

يرجى من القُرّاء الكرام ان يصلحوا الاعلاط المطبعية التالية قبل قراءتها

المصفحة	السطر	الخطا	الصواب	المصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٩	٢٠	ابن اثير	ابن الاثير	٦٠	١٥	مُضْرِبِه	مُضْرِبِه
١١	٢٣	عشيت	غشيت	٦٥	٣	والخيال	والخيال
١٣	٢٢	قَصْر	قَصْر	٧٥	٢٢	مريم، ١٩	مريم، ٤٦
١٦	٧	ابن نصر	ابونصر	٧٨	١٧	أناكا	أناكا
١٦	٨	فأياكم	فأياكم	٨٥	٢١	ةلتخفيض	التخفيض
١٨	٣	كيد	كيد	٩٧	١٤	بالتفصيل	بالتفصيل
١٩	١٦	تحلص	تحلص	٩٩	١٨	مُجْزِيَة	مجزية
٢٤	١٠	كفى	كفى	١٠٤	٣	منين	منين
٢٦	٩	نذرت ما	نذرت لك ما	١١٣	١٩	البقره، ٣١٤	البقره، ٢١٤
٢٦	٢٢	الذاريات، ٥٧	ق، ٤٧	١١٣	٢٤	الانبياء، ٢٦	الانبياء، ٣٦
٢٧	٢٤	الجِدِّ	الجِدِّ	١١٦	١٢	هد	هذا
٢٩	٢٤	٣٣	٥٣	١١٦	١٦	رِسْم	رِسْم
٣٦	٣	والعبد	والبعد	١١٦	٢١	هود، ٨٢	هود، ٧٢
٣٩	٢	نابغه	النابغة	١١٦	٢٣	المؤمن، ٤٠	بنى اسرائيل، ٤٠
٥٠	٩	وكانا	كانا	١٢١	٢٠	بنى اسرائيل، ٥٠	الطور، ١٦

الصفحة السطر الخطأ	الصفحة السطر الخطأ	الصواب	الصواب	الصفحة السطر الخطأ	الصفحة السطر الخطأ
١٩	٢٥٩	٢٢	١٨٨	١٩	١٢٦
الزمر، ٩	الزمر، ١٩	٢٢	البقره، ١٨٨	١٨٨	آل عمران، ١٨٨
لا يؤمنون بالآخرة	لا يؤمنون	١٣	٨	٢٦٨	البقره، ٢٦٨
١٦	٢٦٤	١٩	١٢	١٣٠	وإنسى
البقره، ١٦	البقره، ٦	١٩	٢٣	١٣١	يجيبىء
يوماً	يوماً	٤	٢٦٥	٢٣	يجيبىء
المكسو	المكسو	١٦	٢٧٢	٢٤	اول السطر
كفوله	كقول	٣	٢٧٦	١٧	الآن تكون
١٠٠	٢١٩	٢١	٣١٩	٤	والاختصاص
الكهف، ١٠٠	مريم، ١٠٠	٢١	٣١٩	١٧	يوسف، ٤
المؤمن، ٣٦	المؤمن، ٣٦٠	٢٤	٣١٩	٤	ولو ان لنا
١٨٧	٢٢٧	٢١	٣٢٧	٤	فلو ان لنا
البقره، ١٨٧	البقره، ١٧٨	٢١	٣٢٧	٦	عازت
٣٢	٢٢٨	٢٢	٢٢٨	٦	عازت
المائده، ٣٢	المائده، ٤١	٢٢	٢٢٨	٢٣	المائده، ١٣
٢٠	٣٢٩	٢٤	٣٢٩	٢٣	المائده، ١٣
ق، ٢٠	ق، ٣	٢٤	٣٢٩	١٨	هود، ٢٩
اتنيا طوعاً او كرها	اتنيا طائعين	٢	٣٣٠	٢٣	الشعراء، ١١٥، ١١٤
قالنا اتينا طائعين				٢٣	نذير
١١	٣٣٠	١٨	٣٣٠	١٢	الاركان
فصلت، ١١	السجده، ١١	١٨	٣٣٠	١٢	الا كان
المحمودة	الحمودة	١٠	٣٣٤	١٢	بلاة
٢١١	٣٣٥	٢	٣٣٥	٥	لم تُغْنِ
المجرّدة	المجرّدة	٢	٣٣٥	٥	لم تُغْنِ
٢١٩	٢٤٠	١٠	٢٤٠	١١	لا يقبل
نعجة	نعجه	١٠	٢٤٠	١١	لا يقبل
٢٣٦	٢٤٧	٢	٢٤٧	٦	الفراريح
ليس	لس	٢	٢٤٧	٦	الفراريح
٢٥٨	٣٥٧	١٧	٣٥٧	١٣	ولا تلّيدوا
ب	به	١٧	٣٥٧	١٣	ولا تلّيدوا
٢٥٨	٢٦٣	٥	٢٦٣	١٨	٥
ليحبطن	ليحبطن	٥	٢٦٣	١٨	٥
٢٥٩	٢٦٥	١٤	٢٦٥	٤	٦
ما احدثت	احدثت	١٤	٢٦٥	٤	٦
٢٥٩				٧	وامّا
				٧	وامّا

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

كان إتصالي بعلم البلاغة ومباحثه يرجع الى عهد الصغر حينما كنت تلميذاً اقرأ على والدى رسالة موجزة فى البيان .

فهذا الإتصال وإن لم يلبث طويلاً ولكن ترك فى " اثرأ عميقاً لما أحسست فى نفسى ميلاً و رغبة إلى مسائل هذا العلم، لعل هذه الرغبة انبعثت من الأسباب التالية :

الف - كان هذا الإتصال فترة جديدة فى دراستى لمسائل الصرف والنحو، فأخذتني من التقليل والتنقيب فى الألفاظ .

ب - كانت مسائل هذه الرسالة تفوح برائحة اللغات الى المعنى بين أساليب البيان، والاعتماد على الذوق والطبع كقسم من الحجج والبرهان، فكان البيان عندها آفاقاً وسيعة يحلق فيها الخيال على جناح من الشعور والإحساس . فوجدت الكلمات امامها تنبض بحيوية وقوة، وتطور وجدة لاتحدها القواميس ولا تضيق على الأديب مهما بلغ مراده .

فلم تكن الكلمات عندها ميتة كخرزات سبحة تتلاعب بها ايدي- الصرفيين او النحويين، وتدفعها القواميس فى صدورها، وتضع عليها حجر الجمود والتقليد .

ج - كانت الرسالة مع صغر حجمها جامعة لمسائل كثيرة بعبارات واضحة واسلوب سهل، وخالية من اختلاف الأقوال وتضارب الآراء التى

تجعل الدارس لا يهتدى إلى الطريق الصواب إلا بصعوبة .
فلما انتهيت من قراءة هذه الرسالة و رجعت مرة أخرى إلى مسائل-
الألفاظ، انقطع ذلك الإتصال بينى وبين مباحث علم البلاغة ولكن لم
يفارقنى أثره، فبقى فى قرارة نفسى كجمرة تلمع وتشتعل كلما اقتربت من
أجواء هذه المباحث وآفاقها .

لقد قيض الله لى بعد سنوات سفرأ مباركاً نزلت فيه على استاذ
جليل، فلما رأيته كالخليل، لازمته لزوم الظل للظليل، واقمت عنده حوالى
سبع سنوات فاستفدت منه فى هذه المدة فوائد كثيرة .

منها انه اضافنى على مائدة «التلخيص» وشرحه المعروف «بالمطول»
فرايت فيها ما تشتهى الأنفس وتكشذ الأعين، واستيقظت منى الميول
والرغبات المكبوتة، فعكفت عليها عكوف النهم الشره، وتذكرت قوله
تعالى: «كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»^١.
فما تركتها إلا أن ذقت جميع ما عليها، او شممت رائحته او لمست
وقلبت ظهرأ على بطن .

وفى ذلك الوقت نفسه شعرت باننى احب بعض ما على المائدة
أكثر من بعض، وكذلك أحب أن يوضع بعضه بجانب بعضه الآخر فى الترتيب
والتنظيم . فتمنيت لو اتاح الله لى فرصة ان اجمع مسائل فى علم البلاغة
كما احبها، وادرسها على ضوء من التحقيق، وأضيف إليها أيضاً ما استفدت
من ذلك الأستاذ الشفيق، وهو الذى اذكره اليوم بالفضل وغدا بالعز .

إن هذه الفرصة لم تقدر لى فيما مضى ولست آسفأ عليه واعتقد ان
الخير فيما وقع، ذلك لأننى قرأت فى هذه المدة كتباً كثيرة فى مسائل-
البلاغة والنقد من المتقدمين والمتأخرين، على رأسها «أسرار البلاغة» و

«دلائل الإعجاز» للشيخ الامام عبدالقاهر الجرجاني. فهذه الكتب ساعدتني كثيراً في تنقيح وتهذيب ما اردت جمعه ونظمه، وزودتني بما لم اعرفه من قبل .

فيسرّني أن تلك الفرصة تيسر لي الآن وأتناول ذلك العمل اليوم، لأنني اسلك الطريق بزيادة اكثر، وادرس الموضوع بمعرفة اوفر، فلعل عملي اليوم الى الصواب أقرب، ومن الآخطاء والسقطات أبعده .

فلا أدعى هنا أنني جئت بما لم يسبق إليه أحد و أتيت بما هو برىء من العثرات والزلات، لأن الكمال ليس إلا لله وحده . ولكن اقول قد بذلت في هذا الطريق جهد نفسي وبحث عن المسائل بكل إخلاص، فلا أكتب للهتاف ولا أعمل للرئاء .

فليستحي من ادعى الكمال في علم قال الإمام عبدالقاهر في حقه :
«واعلم أنك لا ترى في الدنيا علما قد جرى الأمر فيه بديئاً واخيراً على ماجرى عليه في علم الفصاحة والبيان .

أمّا البدىء فهو أنك لا ترى نوعاً من انواع العلوم إلا وإذا تأملت كلام الأولين الذين علّموا الناس وجدت العبارة فيه أكثر من الإشارة، والتصريح أغلب من التلويح، والأمر في علم الفصاحة بالضد من هذا فإنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه وجدت جلّه أو كلفه رمزا و وحياً وكناية و تعريضاً، وإيماء إلى الغرض من وجه لا يفتن له الا من غلغل الفكر وادق- النظر . . .

وأما الأخير فهو إنا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من- العلوم ان يحفظوا كلاماً للأولين ويتدارسوه ويكلم به بعضهم من غير ان يعرفوا له معنى، ويقفوا منه على غرض صحيح، ويكون عندهم - إن يسألوا عنه - بيان له وتفسير، إلا علم الفصاحة . فإنك ترى طبقات من-

الناس يتداولون فيما بينهم الفاظاً للقدمات، وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنى أصلاً، أو يستطيعوا - إن يُسئَلوا عنها - أن يذكروا لها تفسيراً يصح»^٢.

فادعاء الكمال في هذا المجال يعد نوعاً من الإغترار أو جهلاً بحقيقة الأمر، فلا يدعيه إلا الجهلة والغفل الذين يظنون إنهم يحسنون كل شيء صنعاً. نسأل الله أن يعصمنا من اقتفائهم واحتذائهم.

وها أنا أقدم ما تيسر لي تحت عنوان «دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة» في مقدمة وثلاثة أبواب. ومن الله التوفيق وعليه التكلان.

محمد فاضلي

مقدمة في الفصاحة والبلاغة

حينما نقرأ نصاً أدبياً أو نسمع كلاماً يوحى بتجربة ويصل إلى قرارة أنفسنا وتتأثر به وتتعجب منه، نحكم له بوضوح البيان، وقوة التركيب و سلامة الاسلوب، وملائمته مع الواقع والنفس .

وكذا إذا عبّرنا عن فضل قائل على آخر أو كلام على غيره نقول: ان الفاظه متمكنة ومقبولة والفاظ الآخر قلقة نائية ومستكرهة، وان هذا الكلام واضح الدلالة ومصيب الاشارة، حسن الترتيب والنظام، وانه لا يشوبه شيء من اللفظ العامي والساقط السوقي والغريب الوحشي، وانه قد وقع في موقعه، بخلاف الكلام الآخر .

فهذه الاحكام والتعبيرات ترجع في الحقيقة الى ما يراد من كلمتي- الفصاحة والبلاغة . قال الشيخ : «البلاغة والفصاحة، والبيان والبراعة ما يعبر به من فضل قائل على آخر أو كلام على غيره»^١.

وايضا ان الفصاحة والبلاغة هما منشأ غاية علم البلاغة اعنى معرفة اعجاز القرآن، وانهما كانتا النواة الاولى للتنبه الى مسائل البلاغة والنقد في الأدب العربي .

فعلى هذا يجدر بالباحث عن المسائل البلاغية معرفتهما وما يراد بهما.

الفصاحة لغة :

الفصاحة في اللغة الوضوح والبيان والظهور . جاء في لسان العرب :
الفصاحة البيان . . . تقول : رجل فصيح وكلام فصيح، اى بليغ . ولسان
فصيح، اى طلق . . .

ويوم مقصيح : لاغيم فيه ولاقر .

وفصح اللبن، إذا أخذت عنه الرغوة . وأفصحت الشاة والناقة :
خلص لبنها . وأفصح الصبح : بدا ضوؤه واستبان . وكل ما وضع فقد
أفصح، وكل واضح مفصح .

وأفصح لك فلان : بيّن ولم يجمع^٢ .

وجاء في القرآن الكريم على لسان موسى : «واخى هارون هو أفصح
منى»^٣، أى أبين ولسانه أطلق^٤، لأن موسى يقول : «ويضيق صدرى ولا
ينطلق لسانى، فأرسل إلى هارون»^٥ . فهذا القول دليل على ان المراد
بالفصاحة البيان وطلاقة اللسان .

وقال النبى (ص) : «أنا أفصح العرب بيّد أنى من قريش» أى أبينهم .
«ولفظة الفصاحة في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف لا تخرج
عن معناها اللغوى وهو الظهور والبيان»^٥ .

الفصاحة اصطلاحاً :

فقد يما جرت كلمة الفصاحة على لسان أهل هذا الفن وتداولوها
بينهم ، لكن الكلمة لم تقف عند حد واحد، ولم يكن المراد بها سواء

٢- لسان العرب، مادة فصح .

٣- القصص، ٣٤ .

٤- الشعراء ١٣ .

٥- مصطلحات بلاغية، ١٠-١١ .

لديهم . فنرى أن دائرة ما يُعنى بها رحبت عند بعض وضافت عند الآخرين، وتجاذبا للفظ والمعنى على حسب اختلاف نظريتهم .

فهذا الجاحظ تناول الكلمة و دارت في كلامه، فهو وان لم يذكر لها تعريفا خاصا لكن يستنبط من كلامه انه يعنى بها ما يعتبر فيه اعطاء الحروف حقها من الفصاحة، وترك لغات النازلة على العرب، واستعمال الألفاظ في موضعها وفيما هو لائق بها .

ألا ترى ان الله لا يذكر الجوع إلا في موضع الفقر المذل والعجز - الظاهر . وكذلك لا يذكر المطر إلا في موضع الانتقام، والعامه واكثر الخاصة لا يعرفون هذه الدقائق لأنهم يتركون السغب ويذكرون الجوع في حال - القدرة والسلامة، ولا يفصلون بين ذكر المطر و ذكر الغيث . ويعتبر فيه ايضا أن لا تكون الألفاظ متنافرة فتوجب صعوبة التلفظ، كقول الشاعر :

و قَبْرٌ حَرْبٌ بِمَكَانٍ فَفَقْرٌ و لَيْسَ قَرْبٌ قَبْرٌ حَرْبٌ قَبْرٌ
ولا تكون الكلمة اقل اللغتين استعمالا واضعتهما، ولا يكون اللفظ عامياً وساقطاً سوقياً كما لا يكون غريباً وحشياً .

ولكن خير كلمة يشير إليها في هذا المقام هي تتبع مجارى كلام - العرب الفصحاء^٧، فهذا القول جامع لكل ما اراده فيما سبق . والمتأمل في كلامه يرى ان الفصاحة تمتاز بالبلاغة عنده او ترادفها . فيقول : وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبيناه و دوّنناه - : « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه ،

٦- ينظر البيان والتبيين ١/١٥، ١٨، ٢٠، ٦٥، ١٤٤ .

٧- المصدر نفسه ١/١٦٢ .

فلا يكون لفظه إلى سمعك اسبق من معناه إلى قلبك»^٨.
وقال ايضاً : «اما انا فلم أرَ قطّ امثل طريقة في البلاغة من الكتاب،
فانهم قد التمسوا في الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً»^٩.
وقال ايضاً في تفسير قول العتّابي في معنى البلاغة «وانما عنى العتّابي
افهامك العرب حاجتك على مجارى كلام العرب الفصحاء»^{١٠}.
وإذا تركنا الجاحظ نرى أن صاحب الصناعتين يسلك طريقين :
أحدهما - أنه بعد الإشارة إلى المعنى اللغوي للفصاحة والبلاغة ينتهي
إلى أنهما ترجعان إلى معنى واحد وان اختلف اصلاهما، لأن كل واحد
منهما انما هو الإبانة عن المعنى والاظهار له .
الثاني - أنه بعد أن نقل من بعض العلماء أن «الفصاحة تمام آلة البيان»
يصل إلى ان الفصاحة والبلاغة مختلفتان، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان
فهي مقصورة على اللفظ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنما
هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى .
ويؤيد هذا الرأي بأن البيغاء يسمى فصيحاً لا بليغاً لأنه يقيم الحروف
فقط ولا يقصد المعنى الذي يؤديه^{١١}.
فمن تمام آلة البيان كون الكلام سهل اللفظ، جيّد السبك غير مستكره
ولا متكلف . فإذا اجتمع في كلام واحد هذه النعوت مع وضوح المعنى،
يسمى فصيحاً كما يسمى بليغاً لوجود تقويم الحروف وايضاح المعنى كليهما.
ثم ذكر العسكري^{١٢} ان قوماً زادوا على تقويم الحروف فسى معنى -

٨- المصدر السابق ١/١١٥ .

٩- المصدر ١/١٦٢ .

١٠- المصدر السابق ١/١٣٧ .

١١- الصناعتين، ٦-٧ .

١٢- الصناعتين، ٨-٩-١٠ .

الفصاحة، فخامة اللفظ وشدة الجزالة^{١٣}. و ذلك مثل قول النبي (ص) «ألا إن هذا الدين متين فأوغل برفق، فإن المُنْبَتُّ لأرضاً قطع ولاظهوراً أبقي». وكقول الحسين بن علي (عليهما السلام) : «إن الناس عبيد الأموال، والدين لغو على ألسنتهم يحوطونه مادرت به معاشهم، فإذا مُحِّصُوا بالابتلاء قل الديانون» .

وإذا جمع الكلام نعوت الجودة وخلا من فخامة الالفاظ وجزالتها سمي بليغاً لافصيحاً، وذلك كقول بعضهم -وقد سئل عن حاله عند الوفاة- : «ما حال من يريد سفراً بعيداً بلازاد، ويقدم على ملك عادل بغير حجة، ويسكن قبراً موحشاً بلا أنيس؟» .

وكقول آخر لأخ له : «مددت إلى المودة يداً فشكرناك، وشفعت ذلك بشيء من الجفاء فعذرناك، والرجوع إلى محمود الود أولى بك من- المقام على مكروه الصّد» .

فعلى هذا أيضاً ان الفصاحة غير البلاغة وأنه يجوز ان تجتمعا في كلام واحد إذا كان جامعاً لما اعتبر في كل منهما، وان تفرقا إذا لم يكن كذلك .

١٣- لم اجد في كتاب العسكري تفسيراً واضحاً للمراد من الجزالة ولكن يستنبط من كلامه ان الجزل من الألفاظ ما كان شريفاً وصلباً وغير سهل. (الصناعتين، ٢٤) .

والجزل من الالفاظ عند ابن اثير ما كان متينا على عدوبته في الفهم و لداذته في السمع، وهو يقابل الرقيق . ويقول : فالالفاظ الجزلة تتخيل في السمع كاشخاص عليها مهابة و وقار، والالفاظ الرقيقة تتخيل كاشخاص ذي دماثة ولبين اخلاق ولطافة مزاج. (المثل السائر ١/١٦٨-١٧٨) ولا يخفى ان الجزل بهذه التفاسير لا يليق بكل مقام مع أن اعتباره في مفهوم الفصاحة يستلزم وجوده في كل موضع .

وأتى بعد الجاحظ والعسكري، الخفاجي (ت - ٤٦٦ هـ) وتناول-
الفصاحة في كتابه «**سر الفصاحة**» و درسها دراسة مفصلة .
والفصاحة عنده غير البلاغة ، و ذلك لأنه يعنى من الفصاحة حسن-
الألفاظ، ومن البلاغة حسن الألفاظ والمعاني معا . فكل بليغ عنده فصيح و
ليس كل فصيح بليغاً .

وبعبارة أخرى ان الفصاحة عنده مقصورة على وصف الألفاظ ،
والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ والمعاني^{١٤} .

ولا تستحق كلمة وصف الفصاحة عنده حتى تتكامل فيها ثمانية اشياء:

الاول ، ان تتألف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج، لأن-
الحروف التي هي أصوات، تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر، فكما
ان اجتماع الألوان المتباينة للبصر أحسن من الألوان المتقاربة، كان اجتماع
الأصوات المتباينة ألد عند السمع من غيرها .

فعلى هذا أن كلمة «هَعْمَحَم»^{١٥} المؤلفة من الحروف المتقاربة في-
المخرج غير فصيحة .

الثاني ، ان تجد لتأليف الكلمة في السمع حسنا ومزية على غيرها، و
إن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة . و ذلك مثل تأليف كلمة
«العذيب» اسم موضع، و «عذبية» اسم امرأة و «عذّب» و «عذاب» و
«عذّب» و «عذبات» من (ع، ذ، ب) ، فإن السامع يجد فيها من الحسن
والمزية ما لا يجده في ذعب وعبذ . مثلاً، مع انهما مأخوذان أيضا من-
الحروف المذكورة بتغيير ترتيبها .

١٤- سر الفصاحة، ٦٠، ٢٥٧ .

١٥- نبت يراعاه الإبل .

وليس سبب ذلك بُعد الحروف فى المخارج فقط لوجوده فى كل منها، ولكنه تأليف مخصوص مع البعد .

وحاصله انه من شروط الفصاحة أن تكتسب الكلمة بسبب تأليفها الخاص مزية وحسنا فى السمع وان لا تكون مستكرهة ونايبة عنده . فلهذا نحكم بفصاحة «الفصن» و «الفن» و «أغصان البان» دون «العسلوج»^{١٦} و «عسايح الشوْحَط»^{١٧} .

ونحكم بقبح الجرشى فى قول المتنبي :

مباركُ الاسمِ أغرُّ اللقبِ كريمُ الجرشيِّ^{١٨} شريفُ النسبِ
وبقبح الحقلد فى شعر زهير بن ابى سلمى :

تقىّ نقىّ لم يكثُر غنيمَةً بنكهة ذى قربى ولا بحقلد^{١٩}

الثالث ان تكون الكلمة غير متوعرة وحشية، كقول ابى تمام :

لقد طلعت فى وجه مصر بوجهه بلا طائر سعد ولا طائر كهل

فلكمة «كهل» هاهنا من غريب اللغة، وقد روى أن الاصمعى لم يعرف هذه الكلمة .

١٦- العسلوج : الفصن .

١٧- الشوْحَط : شجر يتخذ منه القسى .

١٨- البيت من قصيدة فى جواب كتاب انفذ اليه سيف الدولة بخطه .

مطلعها :

فهمتُ الكتابَ أبرَّ الكتبِ فسمعاَ لأمر امير العرب

كريم الجرشى : اى كريم النفس .

١٩- من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان . ومطلعها :

عشيتُ ديارا بالبقيع فشَهدم دوارس قد أقوَيْن من امّ معبد

البقيع وثهدم : موضعان .

النهكة : النقص وإلا ضرار . الحقلد : البخيل السئ الخلق .

فالكهل لفظة ليست بقميحة التأليف، لكنها وحشية غريبة لا يعرفها مثل الأصمعي .

ومن ذلك أيضا ما يروى عن ابي علقمة النحوى من قوله :
« ما لكم تتكأكون على تكأكؤكم ٢٠ على ذى جنّة ؟ افرّ تقِعوا
عنّى » .

فإن تتكأكون و« افرّ تقِعوا » كلمتان وحشيتان .

الرابع ان تكون الكلمة غير ساقطة عامية، كقول ابي تمام :

جلّيتَ والموتُ مُبدٍ حَسْرَ صفحته

وقد « تفرعن » فى افعاله الأجل ٢١

فكلمة « تفرعن » مشتقة من اسم فرعون وهى من ألفاظ العامة ، و
عادتهم أن يقولوا : « تفرعن فلان » إذا وصفوه بالجبرية .

الخامس ان تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح غير
شاذة ، فكل ما انكره أهل اللغة ورده علماء النحو والصرف من التصرف
فى الكلمة، داخل فى هذا القسم .

ومخالفة الكلمة للعرف العربى الصحيح تقع على وجوه، فمنها :

١- أن اللفظة بعينها غير عربية كما « لمقراض » فى قول أبى الشيص :
وجناح مقصوص تحيّف ريشه ريب الزمان تحيّف المقراض
فالمقراض ليس من كلام العرب، لأنه لم يسمع الا منى .

٢- فى رواية الجاحظ « كما تكأكون على ذى جنّة » البيان والتبيين

٠٣٧٩/١

٢١- البيت من قصيدة فى مدح المعتصم بالله . ومطلعها :

فحوالك عين على نجاك يا مدل حتام لا يتقضى قولك الخطل

المدل : الذى لا يكتم سره : الخطل : المضطرب .

٢- أن الكلمة عربية إلا انها قد عثرت بها عن غير ما وضعت له فى عرف اللغة، كما «أَيِّم» فى قول ابى عبادَةَ :

يشقُّ عليه الريحُ كلَّ عشيَّةٍ جِوبَ العَمَامِ بينَ بَكرٍ وأَيِّمٍ*
فوضع الأيِّم موضع «الشيب» وليس كذلك لأن الأيِّم فى عرف اللغة من لا زوج لها بكرة كانت او ثيبا .

وكاستعمال الصلَف بمعنى الكبر والتهى فى قول أبى تمام :

ما مُقَرَّبٌ يَخْتالُ فى أَشْطَانِهِ مَلآنٌ مِّنْ صِلَفٍ بِهِ وَتَلَهُوْقٌ ٢٢
وهذا هو مذهب العامة فى استعمال هذه اللفظة، واما العرب فتقول:
صَلَفَتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ زَوْجِهَا، إِذَا لَمْ تَحْفَظْ عِنْدَهُ . وَصَلَفَتِ الرَّجُلَ إِذَا كَرِهَتْهُ .

٣- الحذف من الكلمة اعتباطا . كقول النجاشى :

فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَتَطِيْعُهُ وَلَاكَ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوَاكَ ذَا فَضْلٍ
أَرَادَ «وَلَكِنْ اسْقِنِي» .

٢٢- البيت من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه .

المُقَرَّبُ : الفرس المشدود بالجبل قريبا من بيت مالكة .

التَلَهُوْقُ : التكلف لأكثر ما يمكن .

وفى الحديث : « كان خلق رسول الله (ص) سجيَّة ولم يكن تلهوقا» .

وجملة «ما مقرب» مبتدأ وخبر على الإستفهام .

* والبيت من قصيدة يرثى فيها حميدا الطوسى واولاده . ومطلعها :
«قصرَ حميد» ! لاعزاء لمفَرَمٍ ولاقصرٍ عن دمعٍ وإن كان من دم

و رواية الديوان : «تشق عليه الريح» .

و كقول المتنبي :

تعثرت به في الأفواه ألسنها

والبرود في الطرُق والاقلام في الكتب^{٢٣}

٤- الزيادة في الكلمة كقول ابن هرمة :

وانت، على الغواية، حين ترمى و عن، عيب الرجال، بمنزاح^{٢٤}
أراد «بمنزح» .

٥- ايراد الكلمة على الوجه الشاذ القليل ، «كالباهت» ، في قول-

البحثري :

متحيرين فباهت متعجب" مما يرى او ناظر" متأمل^{٢٥}

فإنها لغة رديئة، والعربي المستعمل «مبّهوت» .

و ك «الذ» في الذي فانها لغة شاذة . قال المتنبي :

و إذا الفتى طرح الكلام معرّضا في مجلس أخذ الكلام اللذعنا^{٢٦}

٢٣- فالمتنبي لم يلحق الباء في «به» بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة.
والبيت من قصيدة يرثي بها اخت سيف الدولة، يقول : لهول هذا الخبر
تلجلجت به اللسنة في الأفواه، وتعثرت الرسل الحاملة له في الطرُق، و
رجفت ايدي الكتاب في كتابته .

٢٤- جاء في اللسان : وانت بمنزح من كذا : أي بعد منه، قال ابن
هرمة يرثي ابنه :

فأنت، من الفوائل، حين ترمى، و من ذم الرجال ، بمنزاح

٢٥- و رواية الديوان بتحقيق حسن كامل الصيرفي :

«متحيرون فباهت متعجب»

والبيت من قصيدة يمدح فيها المتوكل ويذكر وفد الروم عليه .

٢٦- البيت من قصيدة مدح بها بدر بن عمار، ويعرض بأعور بن
كروس لما وشى بالمتنبي . يعني انه عرض بذكر اولاد الزنا، وقد فهم هذا
التعريض من عناءه، فهو يأخذه لنفسه . وقبله :

وانه المشير عليك في بضاعة فالحر ممتحن بأولاد الزنا

٦- فك الادغام لغير موجب، و ذلك كقول قعب بن أم صاحب :

مهلا أعاذلُ ، قد جربت من خلقتي

إني أجودُ لأقوامٍ وإن ضننوا

السادس، أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى آخر يكره ذكره،

فاذا وردت في بيت شعرٍ أو كلامٍ قبحت، وان لم يقصد بها ذلك المعنى المكروه .

و ذلك كما «لمقاعد» في قول الشريف الرضي :

أعز ز° على° بأن أراك وقد خلّت° من° جانبيك مقاعد° العشواد° ٢٧

فكلمة «مقاعد» في هذا البيت وان كملت فيها بقية صفات الفصاحة

إلا انها توافق ما يكره ذكره في هذا الشأن، لاسيما انها أضيفت إلى من يحتمل إضافتها إليهم وهم العواد، ففيها قبح ظاهر بخلاف ما لو ذكرت منفردة، فالأمر حينئذ فيها سهل .

وكا «لدلو» في قول ابي تمام :

متفجّر° نادمته فكأننسى° للددلو او للمرزمين° نديم° ٢٨

٢٧- البيت من قصيدة في رثاء ابي اسحق إبراهيم بن هلاك الصابى

الكاتب، وتوفى في شوال سنة ٣٨٤ هـ. وكان بينهما من المودة الأكيدة .
و رواية الديوان طبع بيروت سنة ١٣٨٠ هـ : «من جانبيك مقاعد العواد» والظاهر انه خطأ .

و بعده :

أعز ز على° بان يفارق ناظري° لمعان ذاك الكوكب الوقاد°

أعز ز على° بأن نزلت بمنزل° متشابه الأمجاد والأوغاد°

٢٨- البيت من قصيدة في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة، و رواية

الديوان بشرح الخطيب التبريزى طبع دار المعارف : «للنجم أو للمرزمين نديم» .

وقبله :

لله كف° محمد و ولادها° للبدل اذ بعض الأكف عقيم°

فالمراد من الدلو هنا أحد البروج ولكنه وافق اسم الدلو المعروف .
فانت تجد باقرب تأمل الفرق بين «أنت المرزم جوداً» و «أنت الدلو كرمًا»
من حسن الأول وقبح الثاني .

السابع ان تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف، فانها متى زادت
على الصور المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن دائرة الفصاحة و ذلك مثل
«مغناطيسهن» في قول ابن نصر بن نباته^{٢٩} :

فأَيَّاكُمْ أَنْ تَكْشِفُوا عَنْ رُؤُوسِكُمْ أَلَا إِنَّ مَغْنَطِيسَهُنَّ الْكَوَابِبُ
فهذه الكلمة مع اشتغالها على عيوب اخرى غير مرضية لما ذكر . و
مثل «سويداواتها» في قول المتنبي :

إِنَّ الْكِرَامَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلَا سُوَيْدٍ أَوَاتِهَا^{٣٠}
الثامن ان تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شىء لطيف
أو خفى أو قليل أو ما يجرى مجرى ذلك . فلهذا أنكر المبرد تصغير
«داهية» في قول الشاعر^{٣١} :

٢٩- هو عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميمي السعدي، ابو نصر .
من شعراء سيف الدولة ابن حمدان . طاف البلاد، ومدح الملوك، واتصل بابن
العميد ومدحه .

... قال ابن خلكان معظم شعره جيد .

توفى ببغداد . (الاعلام ٤/١٤٨-١٤٩) .

٣٠- البيت من قصيدة يمدح فيها ابا ايوب احمد بن عمران .
السويداوات جمع سويداء : حبة القلب . يقول : ان الكرام من الخيل اذا لم
يكن عليها فرسان من هؤلاء الممدوحين، كالقلب دون سويداء .

٣١- هو ليدي بن ربيعة العامري . والبيت من قصيدة يرثى فيها النعمان
بن المنذر . وقبله :

الا كل شئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وبعده :

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه اذا كشفت عند الإله المحاصل

وكلُّ أناسٍ سوف يدخل بينهم *دويهيّة* تصفرّ منها الأنامل^{٣٢}
والفصاحة عند الشيخ عبدالقاهر (ت ٤٧٤ هـ) تسلك سبيلا جديدا و
تتوجه الى ناحية اخرى في البيان . فهي عبارة عن فضل ومزية في نظم
الكلام وترتيبه وتأليفه وتركيبه، وما يعبر به عن فضل قائل على آخر في-
النطق والتكلم والأخبار عن الأغراض والمقاصد وبيان ما في النفس
والكشف عن ضمائر القلوب^{٣٣}.

فالشيخ يتفحص عن الفصاحة في تركيب الكلام لا المفردات^{٣٤}، وفي-
المعاني لا الألفاظ، وسنين هذا عند الكلام في «الفصاحة بين اللفظ
والمعنى» .

فالظاهر ان الفصاحة عنده تساوى البلاغة وترادفها .

والفصاحة عند السكاكي (- ٦٢٦ هـ) تنقسم الى قسمين : قسم يرجع
الى المعنى، ويعنى به خلوص الكلام عن التعقيد والتعمية في التوصل الى
معناه . و ذلك كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمّه حتى أبوه يُقاربه^{٣٥}

٣٢- سر الفصاحة، ٦٦-٩٩ .

٣٣- دلائل الإعجاز، ٢٩، ٣٠، ٣٥ .

٣٤- لعلّ ابن الأثير قد ألهم من الشيخ حيث يقول : «واعلم أن تفاوت
التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها» (المثل السائر
١/١٤٥) .

٣٥- والبيت في مدح خال هشام بن عبدالملك، وهو ابراهيم بن
هشام بن اسماعيل المخزومي .

لم أجد البيت في ديوان الفرزدق طبع بيروت . وتقدير البيت :
وما مثله في الناس حتى يُقاربه إلا مملكا^{٣٥} ، أبو أمّه أبوه

وكقول أبي تمام :

ثانيه في كيد السماء ولم يكن كاثنينِ ثانٍ إذهما في الغار^{٣٦}
 وقسم يرجع الى اللفظ، ويعنى به كون الكلمة عربية اصلية، وعلامة
 ذلك كون الكلمة كثيرة الاستعمال على السنة الفصحاء وجارية على قوانين
 اللغة وسليمة عن التنافر^{٣٧}.

وأما الفصاحة عند ابن الأثير ٣٨ (- ٦٣٧ هـ) فهي تلخص في حسن-
 الألفاظ ، لأن الكلام الفصيح هو الظاهر البين الذي لا يحتاج في فهم ألفاظه
 الى مراجعة القواميس . ويرجع سبب ذلك إلى كثرة دوران الكلمات في-
 الاستعمال ثم إلى مكانة حسنهما، لأن الفصحاء والأدباء غرّبوا الألفاظ فما
 وجدوه فصيحاً استعملوه ومارأوه قبيحاً تركوه . فحسن الألفاظ سبب
 استعمالها دون غيرها، واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها .
 فالفصيح إذاً من الألفاظ هو الحسن، ولا وجه لتمييز الحسن من القبيح الا

٣٦- البيت من قصيدة في مدح المعتصم وذكر أمر الافشين . ومطلعها:
 الحقُّ أبلجٌ والسيوفُ عوارٍ فحذارٍ من أسد العرينِ حذارٍ
 ثم أشار في آيات القصيدة الى امر بابك ومازيار وهلاكهما وصلبهما
 قبله :

ولقد شفى الأحشاء من برحائها أن صار بابكٌ جارٍ مازيارٍ
 ثانيه في كيد السماء ولم يكن كاثنينِ ثانٍ إذ هما في الغار
 ورواية الديوان : «لاثنين ثان اذ...»

وعلى هذه الرواية يكون «ثان» خيراً ليكن، ويرد عليه استعمال-
 المنسوب في صورة المجرور وهو لغة رديئة، فالأفصح حفظ صورته وهي
 «ثاني» .

٣٧- مفتاح العلوم، ١٩٦-١٩٧ .

٣٨- المثل السائر ١/٦٥-٦٦ .

من طريق السمع، لأن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات فما استلذه السمع فهو حسن وما نفر عنه فهو قبيح. فهذا نحكم بفصاحة «المزونة» و «الديمة» لمكان حسنهما وميل السمع إليهما وقبح «البُعاق» لكرهتها في السمع مع أن هذه اللفظات الثلاث من صفات المطر وتدل على معنى واحد^{٣٩}.

والفصاحة عند ابن الأثير غير البلاغة لأنها مقصورة على الألفاظ بخلاف البلاغة فانها تعم اللفظ والمعنى، فكل بليغ فصيح ولا عكس.

وأيضاً أن الفصاحة تطلق على اللفظة الواحدة لجواز أن تكون حسنة وأما البلاغة فلا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب^{٤٠}.

والفصاحة تتناول اختيار الألفاظ المفردة ونظم كل كلمة مع اختها المشاكِلة لها.

والبلاغة تتناول لهما مع وضع كل كلام في موضعه اللائق به ومطابقته لما يقتضيه الواقع ونفس الأمر^{٤١}.

و ذكر أحمد بن عبد الوهاب النويري (- ٧٣٣) الفصاحة والبلاغة وفسرهما، وأشار الى ما عرض للفصاحة في المراد بها من الجزر والمد عند علماء هذا الفن وقال: «وقالوا: لا يسمى الفصيح حتى تخلص لغته عن اللكنة الأعجمية...»

وعلماء العرب يزعمون أن الفصاحة في الألفاظ، والبلاغة في المعاني، ويستدلون بقولهم: لفظ فصيح ومعنى بليغ.

ومن الناس من استعمل الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد في الألفاظ

٣٩- المثل السائر ١/٦٥-٦٧.

٤٠- المصدر ١/٧٠.

٤١- المصدر ١/١٤٢.

والمعاني، والأكثر من عليه»^{٤٢}.

لقد جاء القزويني (- ٧٣٩) بعدهم وتناول الفصاحة والبلاغة في كتابيه «الايضاح والتلخيص»، وشكى من تضارب الآراء واختلاف الأقوال، ورأى انها لا تغني من الجوع شيئاً، فقال: «للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة اقوال مختلفة فلم اجد منها ما يصلح لتعريفهما به»^{٤٣}.

ولكن كل ما جاء به في البحث عن الفصاحة انه قسمها الى فصاحة المفرد والكلام والمتكلم. ثم اخذ في تفسير كل منها. فلم يضيف في اوصاف الفصاحة شيئاً على ما ذكره القوم ولم يزد عليه امراً جديداً، بل لخص ما اشاروا إليه في هذا المقام وحتى انه قصر في بيان ما ذكره ولم يبلغ شأو بعضهم.

وهذا ابن الأثير فقد جاء في بيان الفصاحة والبلاغة بمباحث قيمة و نظرات جديدة تنبىء عن خوضه وعمق تأمله في هذا المجال وسبره غمار الفصاحة والبلاغة. وسنشير إلى هذه النظرات إن شاء الله.

فسر القزويني فصاحة المفرد بخلوصه من تنافر الحروف والغرابة و مخالفة القياس اللغوي، وفصاحة الكلام بالخلوص من ضعف التأليف و تنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها^{٤٤}.

فهو كما ذكرنا لم يعتبر في اوصاف الفصاحة غير ما اعتبره علماء هذا الفن، ولم ينتبه الى عوامل أخرى مؤثرة في الفصاحة والبلاغة كالعوامل النفسية والظروف التي أحاطت بالكلمة.

والفصاحة عنده غير البلاغة، لأنها تقع صفة للمفرد كما تقع صفة

٤٢- نهاية الأرب ٧/٦-٧.

٤٣- الايضاح، مع شروح التلخيص ١/٦٥-٦٦.

٤٤- الإيضاح، تلخيص ١/٧٦، ٩٥.

للكلام والمتكلم، بخلاف البلاغة، فانها لا تطلق على المفرد . وايضا ان الظاهر من كلامه أن الفصاحة تبتدىء باللفظ وتتركز عليه على عكس البلاغة.

* « نقد وتحقيق في معنى الفصاحة » *

إعلم أن عالم الألفاظ عالم عجيب، يموج بالدقائق واللطائف، ويمور بالرموز والأسرار . عالم في صدره من النكت والفن ما لا يعدّ ولا يعرف، و على لسانه من الوحي والاشارة ما لا يجدّ ولا يوصف .

عالم تنعكس عليه رغبات الشعوب ونزعاتهم، ويتجسد فيه شعورهم واحاسيسهم، وتضرب على اوتاره الحان اشواقهم وأشجانهم، ويحكى في طياته غضبهم و رأفتهم، جهلهم ومعرفتهم .

أليست الألفاظ زفراتٍ يتنفس بها البؤساء والمرضى، ونفثاتٍ بلفظها الغرباء والجرحى، وحبّاتٍ للوبٍ نظمت في سلك من الشعور والاحساس، وبلّوراتٍ يتجسد فيها صراخ المظلوم وشكوى المهموم ؟

أليست كلمات من يتقلب في النعم والرفاهية تختلف عن كلمات من يتلوى من البؤس والشقاء ؟ هل صياح البطر، يستوى وصراخ التعس والضجر ؟

أليست الألفاظ الجزلة تستعمل في الحروب والحماسة والتهديد والتهويل، والألفاظ الدقيقة تستعمل في الاستعطاف والسؤال والحين والأشواق ؟

وأليست كلمات أهل الحضر ولغاتهم تتفاوت من الفاظ اهل البادية و

سكانها ؟

الألفاظ كانت - وستكون - تتكرر على السنة الناس : مريضهم و صحيحهم، سعيدهم وشقيهم، فقيرهم وغنيهم، بعيدهم وقريبهم، مهمومهم و مسرورهم، حكيمهم وسفيههم. وكلما كانت الكلمة اكثر تداولاً وتكراراً كانت أثقل حمولة بتجارب الناس في حياتهم . «فيقطن فيها كل جيل تجاربه الخاصة من حياته الخاصة، وكأننا يتخذ من الفكرة الكامنة في حنايا اللفظة مشجبا يعلق عليه هذه التجارب التي بثها إيّاها»^{٤٥}.

والألفاظ مع انها في متناول كل شخص وبابها مفتوح على كل نازل لا مانع له ولا زاجر، وله ان يأخذ ما يشاء وكيفما يريد، إلا أنها تتلون بلون كل قائل وتصبح ملكا خاصا له . و ذلك لأنها لا تحمل معها مجرد المعاني المدونة لها في القواميس والتي نسجت عليها العناكب بيوتها، فإن هذا المقدار شيء تافه و ضئيل يحط من شأن رسالة الألفاظ . لأن المعنى الذي نجده في معاجم اللغة ما هو الا النواة التي تتجمع حولها طائفة من المعاني الثانوية . فالنواة تدل على شيء او حدث ما، واما المعاني الثانوية فتدل على النواحي المتعددة المتنوعة لذلك الشيء أو الحدث»^{٤٦}.

فالألفاظ تحمل بجانب تلك المعاني طابع الإنسان وما احاط به من العواطف والاحاسيس، والميلول والنزعات . قال «جورج ديهاميل» الكاتب الفرنسي :

يأخذ الرجل الكلمة وإذا بها ملك له، بعد ان كانت للجميع . فبطريقه نطقه وحركات عضلاته، وبحجم انفاسه ونسبة تصريفه لها، وبرنة صوته وتنغيمه بل وبالظواهر الاضافية من تغيير وجهه الى دلالة عينيه الى حركة يده واعضائه وجسمه كله، بكل هذه الوسائل يضع الإنسان طابعه الخاص

٤٥- فنون الأدب ، ٨ .

٤٦- قواعد النقد الادبي ، ٤٠ .

على الكلمة التي يفوه بها، طابعه الذي ينم عن عاداته وشهياته وشهواته و مواضع نقصه وندمه وآلامه .

يقول : « نبيذ » - على بساطة الكلمة - فندرك جميعاً هل هو يحب النبيذ أم يخشاه، وهل هو في عطش أم رى، وهل هو من الخبراء فيه أو الدُّخلاء عليه ؟

ويقول : « حب » فيقلقنا بنطقه لهذا المقطع أو يؤثر فينا، أو يثيرنا أو يحملنا على الابتسام»^{٤٧}.

فمن البساطة ان نحصرَ دلالة الألفاظ وآفاقها على مجرد تلك المعاني المكتوبة لها في القواميس، فنطوف او ندور عليها على مر الدهور . إذ- الألفاظ حينئذ ليست الا جثثا هو امد أو هياكل جامدة تذروها الرياح فلا تستحق البقاء الذي كتب لها .

فاللفظ كائن حي ينمو ويتطور، يذبل ويزدهر، ينبض بالقوة والحيوية، يوحى بالعواطف والإحساسات، ويرمز الى كثير من المفاهيم . قال « تشارلتن » - أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة ما نشستر بانجلترا - : « فالكثرة الغالبة من الألفاظ مثقلة بأشياء غير الفكرة التي تحملها، مثقلة إلى جانب الافكار بما لا يقع تحت حصر من المشاعر والصور»^{٤٨}. وحمولة الألفاظ تتفاوت ثقلا وخفة، كثرة وقلة، بالنسبة الى الأفراد والطوائف، والعوامل والظروف .

ألا ترى أن كلمة «الجوع» التي تتكرر على ألسنتنا في حياتنا اليومية وتداولها حينما نجلس حول مائدة الغداء والعشاء ملئونة بأنواع

٤٧- دفاع عن الأدب، ١٨٠ .

٤٨- فنون الأدب، ٥ .

الطعام، لاتحمل معها ما تحمله جارية على السنة جياع افريقيا من المعنى والاحساس والخوف والوحشة .

فكلمة الجوع تنبه فينا شهياتنا، وتحرك فينا ميولنا وحرصنا على- الأكل والافراط فيه، ولكن نفس الكلمة تشير فيهم آلامهم وأحزانهم وتزيد فيهم وحشتهم واضطرابهم .

وأیضا ان كلمة «الظبية» للمحب الذي يشاهد عليها ملامح من حبيبته وللعاشق المجنون الذي يقول فيها :

إذا نظرتُ عرفتُ الجيد منها و عينها ولم نعرف سواها
كـرِهنا أن تُفـرَّعها، فقلنا : أشلَّ اللهُ كغىً من رماها^{٤٩}
غيرُها للصائد والبدوى .

فهى توحى فى الأول بذكريات الحب والحنين والشوق، وتحمل معها ملامح من الحبيبة، وتوصى بالعطف والحنو على الظبية لمشابهة بينها وبين ما يهواه الشاعر . واما فى الثانى فتوقظ الكلمة شهياته وتسيل لعابه من فمه، وتصور له لذة صيدها وافتراسها .

وكذلك ان لفظة «الأم» عند من ترعرع فى حضنها وقضى ليله و نهاره قربها، وامتنص ثديها وأحس حرارة قلبها الممتلىء بالعطوفة والرأفة، وتربى بأنا شيدها الساحرة، اوسع معنى وأغزر مادة وأثقل حمولة وأكثر ايجاء والتذُّ نعمة من الكلمة نفسها عند من لم يقض ساعة فى حجرها ولم يبت ليلة عندها، ولم يرضع لحظة من ثديها، ولم يسمع كلمة من فمها . وكذا ان كلمة «السيف» عند عنتره البطل الذى يرى فى لمعانه بارق ثعر حبيبته ويقول :

ولقد ذكرتكِ والرماحُ نواهل منى وبيضُ السيفِ تقطر من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها لمعت كبارقِ ثغركِ المتبسِّمِ^{٥٠}
ترمز بجانب معناها - أعنى القطعة المخصوصة من الحديد - الى كثير
من الخواطر والذكريات .

وأن كلمة «ليلى» عند المجنون وهو الذى يقول :
وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لَذِكْرِكِ نَفْضَةٌ^{٥١} كما انتفض العصفورُ بلكة القطر^{٥٢}
قنبلة مشحونة بالصور والمشاعر والغرام والهيام والوصل والفرق
والاين والحنين وغير ذلك، تنفجر فى قلبه عند سماعها .
ومما يدل على اسرار اللفظ و رموزه انك ترى أنه قد تراعى فيه
ناحية دقيقة جداً وهى ان تكون بين اصواتها والموضوع ملائمة بحيث
ان تكون الأصوات حكاية للشئ الموصوف او وحيا له الى الخاطر، و
هذه الخاصية ترجع الى الكلمات وينظر فيها الى كل كلمة على حدة وتأثير
اصواتها^{٥٣} .

فقد يكثر من حروف الضاد والطاء ليدل على الضرب والطعن، كما
نرى فى بيت بشار :
إِذَا مَا غَضَبْنَا غَضْبَةً مَضْرِيَّةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تَقَطَّرَ دَمَا

٥٠ - البيتان من معلقته المشهورة التى نظمها فى أعقاب حرب داحس
والغبراء ليعاتب عبلة ويفتخر امامها بشجاعته وكرمه . ومطلعها :
هل غادر الشعراء من متردِّم ؟ ام هل عرفت الدارَ بعد توهم ؟
٥١ - ديوان مجنون، ٥٣ : وقبله :
فيا حبذا الأحياء ما دمت فيهم^{٥٤} ويا حبذا الأموات إن ضمك القبر
وفى رواية اخرى (لذكرك هزّة) .
٥٢ - قواعد النقد الأدبى، ٤١ .

ويكثر من حروف «السين» و «الصاد» ليدل على صليل السيوف، و من حرف الراء ليدل على خريير المياه مثلاً .

وكذلك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في- الاستعمال، واحيانا لهما وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال إحداهما في موضع الآخر، بل يفرق بينهما في صوغ الكلام و تركيبه . وهذا شيء لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره .

فمن ذلك قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه »^{٥٣} وقوله : « رب انى نذرت ما فى بطنى محرراً »^{٥٤} فاستعمل «الجوف» فى الآية الأولى و «البطن» فى الثانية . فهاتان اللفظتان وان كانتا سواء فى- الدلالة والوزن وعدد الحروف إلا أنه لا يحسن استعمال إحداهما فى موضع الآخر .

وكذا قوله : « ما كذب الفؤاد ما رأى »^{٥٥} مع قوله : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »^{٥٦} فالقلب والفؤاد وان كانا بمعنى واحد إلا أنه وقع كل منهما فى موقع لا يحسن وقوع الآخر فيه . وكذا لفظتا «العسل» و «الشهد» فانهما فى المعنى وعدد الحروف سواء ، لكن يمكن ان يكتسب كل منهما فى نظم الكلام حسنا لم يكتسبه الآخر لو وضع فيه . كما ترى فى قول الأعرج من أبيات الحماسة :

٥٣- الأحزاب، ٤ .

٥٤- آل عمران، ٣٥ .

٥٥- النجم، ١١ .

٥٦- الذاريات، ٥٧ .

نحن بنوالموت إذا الموت نزل لا عارَ بالموت إذا حَمَّ الأَجَلُ
الموت أحلى عندنا من العسل^{٥٧}

وقول المتنبي :

إذا شئتُ حَفَّتْ بي على كل سابع رجال " كأن الموت في فمها شهد^{٥٨}
فكل من لفظتى العسل والشهد حسن في موضعه وان كان «الشهد»
لم يرد في القرآن لأن «العسل» أحسن منه . فلو بدل موضعهما لزال
حسنهما وقبولهما^{٥٩}.

وقد تتقارب الكلمات من حيث المعنى، ولكن بعضها أدل على احساس
الشاعر أو الأديب من بعض، والشاعر الموفق هو الذي يهتدى الى الكلمة
التي تكون شديدة الإبانة عما يريد، لأن التمييز بين الألفاظ شديد .

قيل ان رجلا أنشد ابن هرمة قوله :

بالله ربك، ان دخلت فقل لها هذا ابن هرمة قائما بالباب

٥٧- والأبيات على ما جاء في شرح ديوان الحماسة للتبريزي (د

١٥٤/١-١٥٥) :

أنا ابو برزة إذ جد الوهَلُ خلقت غير زمّل ولا وكل
ذا قوّة و ذا شباب مقتبل لا جزع اليوم على قرب الأجل
الموت أحلى عندنا من العسل نحن بنى ضبّة أصحاب الجمل
نحن بنوالموت إذا الموت نزل نعى ابن عفّان باطراف الاسل

ردّو علينا شيخنا ثمّ بجل

أى ثمّ بجلنا ذاك - حسبنا - .

٥٨- البيت من قصيدة يمدح بها عمر بن سيار بن مكرم التميمي . و

مطلعها :

أقلّ^{٥٩} فعالي - بله أكثره - مجدّ وذا الجدّ فيه نلت ام لم انل جدّ

٥٩- المثل السائر ١/١٤٢-١٤٤ .

فقال : ماكذا قلت، أكنت أتصدق ؟!

فقال : فقاعدا

قال : أفكنت أبول ؟!

قال : فماذا ؟

قال : واقفا، ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى .
والفرق بين هاتين الكلمتين مع أنهما متقاربتان جدا، هو ان القيام يستدعى
الاستمرار والدوام، بينما الوقوف لا يستدعيهما . وابن هرمة يريد ان يعلم
صاحبه بمكانه من غير ان يريد اخبارها بانه ثقيل الظلّ، لا يبرح بابها، بل
هو قائم بجواره^{٦٠}.

فاختيار الألفاظ و وضعها في موضعها اللائق بها، من دقائق البيان
ولطائفها التي يبلغ الكلام بتوفيتها حد الإعجاز، وبالاشمال عليها درجة
«ان من البيان لسحرا» .

فأفلاطون لم يبعد من الحقيقة حين رأى أن الأشياء ليست جميلة
جمالا مطلقا، وإنما تكون جميلة عند ما تكون في موضعها، وقبيحة عند
ما تكون في غير موضعها^{٦١}.

ومن اعجب امر اختيار الألفاظ و وضعها في موضعها اللائق بها، أننا
نرى لفظا واحدا يكون حسنا ومقبولا في موضع ومستكرها وضعيفا في
موضع آخر . و ذلك مثل كلمة «الشيء» في قول عمر بن ربيعة المخزومي:
و من مالٍ عينيهِ من شيءٍ غيرِهِ

إذا راح نحو الجمرَةِ البيضِ كالثدي^{٦٢}

٦٠- أسس النقد الأدبي عند العرب / ٤٥٤-٤٥٥ . الصناعتين ، ٦٨ .

٦١- الأسس الجمالية في النقد العربي ، ٣٥ .

٦٢- وقبله :

وكم من قتيل لا يباء به دم
ومن علق رهنا، إذا ضمته منى

فلفظة الشيء هاهنا كناية عن كل ما استهواه الشاعر واستحسنه فى حين لا يكون التصريح بها ممدوحا، ثم إنها استعملت منضمة ومضافة فجاءت حسنة، بخلافها فى قول المتنبي :

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوّقه شيء عن الدوران^{٦٣}
فانها مستكرهة لخلوها عن موجب اختيار ابن ابي الربيع لها او سبب مناسب آخر، ولذكرها مطلقة ومقطوعة عن كل القيود والمنضّمات^{٦٤}.

ومثل كلمة «يؤذى» فى قوله تعالى : «فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيى منكم، والله لا يستحيى من الحق»^{٦٥}.

وقول ابي الطيب المتنبي :

تلكذ له المرؤة وهى تؤذى ومن يعشّق يكلد له الغرام^{٦٦}
فهذه اللفظة جاءت فى الآية جزلة متينة، وفى البيت ركيكة وضعيفة ، فحطت من قدره مع انه من ابيات المعانى الشريفة .

وسبب ذلك ان كلمة «يؤذى» إذا جاءت فى الكلام ينبغى أن تكون مندرجة مع ما يأتى بعدها ومتعلقة به كما رأيت فى الآية . ولكن المتنبي استعملها منقطعة، لأنه قال : «تلكذ له المرؤة وهى تؤذى» ثم قال : «ومن

٦٣- البيت من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب العقيلي على كافور و قتله بدمشق، مطلعها :

عدوك مذموم بكلّ لسان ولو كان من اعدائك القمران

٦٤- راجع دلائل الاعجاز، ٣٩ .

٦٥- الاحزاب، ٣٣ .

٦٦- البيت من قصيدة يمدح بها المفيث بن العجلي، ومطلعها :

فؤاد ما تسليّه المدام و عمر مثل ما تهبّ الليام

يعشق» فجاء بكلام مستأنف^{٦٧}.

و وردت كلمة «يؤذى» بعينها على الاستعمال الفصيح في الحديث، و ذلك انه «اشتكى النبي (ص) فجاءه جبريل ورقاه، فقال: بسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك».

فالحاق الضمير بـ: «يؤذى» البسها حلة من الحسن والقبول وأخرجها عن القبح العارض لها في صورة الإنقطاع .

ومن هنا تزايد هاء السكت في نهاية بعض الكلمات كي لا يكون حرفه الاخير محل قطع، كما ترى في قوله تعالى: «هاؤم اقرؤا كتابيه، انى طنت أنى ملاق حسابه، ثم قال: ما أغنى عنى ماليه، هلكك عنى سلطانيه»^{٦٨}.

ومثل كلمة «تؤذى» كلمة «لى»، فإذا جاءت مندرجة ومتعلقة بما بعدها تكون حسنة وإلا تعد مستكرهة. فانظر إلى قوله تعالى: «ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة»، ولى نعجة واحدة»^{٦٩}.

وقول المتنبي:

تمسى الأماني شمرعى دون مبلغه فما يقول لشيء ليت ذلك لى^{٧٠}

فلفظة «لى» فى الآية لم تقع فى آخر الجملة ولم تنقطع عما بعدها، فحازت من الحسن والقبول ما لم تحزه فى بيت المتنبي .

٦٧- المثل السائر ١/٥-١٤٦ .

٦٨- الحاقة، ١٩، ٢٠، ٢٨، ٢٩ .

٦٩- ص، ٢٣ .

٧٠- البيت من قصيدة فى مدح سيف الدولة . ومطلعها:

أجاب دمعى ومال دأعى سوى طلل دعا، فلباه قبل الركب والإيل

وأما قوله الآخر :

ما أَجْدَرَ الأَيَّامَ والليالي بأنْ تقولَ : ما لَهْ ومالي؟! ٧١
فليس من هذا القبيل، لأن «لى» هاهنا ذكرت بعد «ما» وقبلها
«ماله» ثم قال و «مالي» فجاء الكلام على نسق واحد ليس فيه الضعف
والركاكة بخلاف البيت الأول .

ومما يدل على وضع الكلمة في موضعها اللائق بها أو في غير ذلك،
موضع «قمل» في قوله تعالى: «فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ
والضفادعَ والدمَّ آياتٍ مُفَصَّلَاتٍ» ٧٢ .
وقول الفرزدق :

مِنْ عَزَّه احتَجرتْ كليبٌ عنده زَرْباً كأنَّهُمْ لَدَيْهِ القُمَّلُ ٧٣
فالأية تضمنت خمس كلمات : الطوفان، الجراد، القمل، الضفادع
والدم . فأحسنها الطوفان والجراد والدم، فكلمة القمل والضفادع لم تقع
في الأول وفي الآخر بل جُعِلت في الوسط، ليُطْرَق السمع في الابتداء
والانتهاء لفظاً حسن، حتى أن أحسن تلك الكلمات الثلاث واخفها وهو
الدم جعل في الآخر ليخفف ما اثقل السمع ويجبِّره .

وأما كلمة «القمل» في قول الفرزدق فجاءت في آخر البيت منقطعة

٧١- البيت هو مطلع قصيدة انشدها ابوطيب بشيراز في مدح
ضد الدولة و وصف متصيده له .

٧٢- الأعراف، ١٣٣ .

٧٣- البيت من نقائض فرزدق . ومطلع القصيدة :

بِالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بيتاً ، دعائمُهُ أعْزَّ وَأَطْوَلُ
و رواية الديوان طبع بيروت هكذا :

بِالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بيتاً ، كأنَّهُمْ لَدَيْهِ القُمَّلُ

وصارت قافية، فلم يقع بعدها ما يهوّن من امر قبجها او استكراهها^{٧٤}.
ومن أعجب امر اختيار الألفاظ ايضا انك ترى ان بناء الكلمة وصوغها
على الغرابة والكراهة والقبح فتكون وحشية ونافرة غير مأنوسة، او ثقيلة
على السمع وكريهة على الذوق، أو سخيفة ومتبذلة، إلا انها قد تقع موقعا
لا تجد فيه أحسن وأفصح منها . وليس هذا إلا لأن تلك اللفظة قد حطمت
حدودها وتحملت ايحاءات لا تؤدى بدونها .

ونظير ذلك في غير الألفاظ اننا كثيرا ما رأينا مناظر اشمازت منها
النفس ونقر منها الطبع وارتد عنها البصر، ولكن لما وقعت في يد الفنان و
سلط عليها خياله المبدع و ريشته الساحرة، أخرجها كأحسن ما يكون في
العالم ، وجعل منها لوحا شخصت عنده الأبصار وتطارت إليه القلوب و
تنافست فيه المتنافسون^{٧٥}. وما هذا إلا لأن الفنان قد صبغ المناظر بصبغة
خياله، و اودع فيها رموزاً و اشارات لم تكن موجودة من قبل .

فالألفاظ الوحشية او المتنافرة او السخيفة مثلا، إذا جاءت في كلام
الشاعر المفلق أو الأديب البارع لا تقف عند حدها بل تتحمل ايحاءات و
اشارات تلبسها حلّة قشبية من الحسن والفصاحة ، وتتجلى كوسيلة
لتجسيم الفكرة وتشخيصها .

ولقد أحسن الجاحظ حيث يقول : «وقد أصاب القوم فى عامة ما
وصفوا، إلا أنى ازعم ان سخيّف الألفاظ مّشاكل لسخيّف المعانى . وقد
يحتاج الى السخيّف فى بعض المواضع، و ربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل

٧٤- المثل السائر ١/١٤٥-١٤٨ .

٧٥- قال ارسطو : فالكائنات التى تقترحها العين حينما تراها فى-
الطبيعة تلذّ لها مشاهدتها مصورة اذا احكم تصويرها، مثل صور الحيوانات
الخسيسة والجيف . (فى الشعر، ترجمة بدوى ١٢) .

الفخم من الألفاظ، والشريف الكريم من المعاني»^{٧٦}.

فالشاعر أو الأديب المبدع ربما يخطر بباله ما يستعصى على التعبير بالألفاظ المعروفة والقوالب المألوفة، لأنه إذا عبر عنه بتلك الألفاظ وصاغه في تلك القوالب بات تجارب مألوفة وفقدت جدتها، فالظلّ لو تجسّم لم يبق ظلاً. لهذا نرى انه يستخدم الفاظاً لم يكثّر دورانها على الألسنة ولم تألفها الاسماع، فيحفظ بذلك جودة فكرته وطرافتها، ويزيد في قوة تأثير التعبير منها.

لعل خير مثال لكلمة كان صوغها وبنائها على الخلو من الحسن والقبول ولكن وقعت في موقع لا يسد مسدّها فيه غيرها، هو كلمة «ضيّزى» في القرآن الكريم من قوله تعالى: «ألکم الذکر* وله الأثى؟ تلك إذا قسمة ضيّزى»^{٧٧} فهي لفظة غريبة من اغرب ما فيه وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه.

فغرابة اللفظ في الآية أشدّ الأشياء ملامة لهذه القسمة التي انكرها الله تعالى على العرب^{٧٨}. ولم يتنبه ابن الأثير لهذه النكتة في حواره مع رجل متفلسف حول سرّ فصاحة كلمة «ضيّزى»، فيدور كل ما ذكره - واعتزّ به - على حظّها الموسيقي. فقال: ألا ترى ان السورة كلّها التي هي سورة النجم مسجوعة على حرف الياء، فقال تعالى: «والنجم إذا هوى، ما ضلّ صاحبكم وما غوى»، وكذلك الى آخر السورة، فلما ذكر الاصنام وقسمة الأولاد وما كان يزعمه الكفار قال: «ألکم الذکر وله الأثى؟ تلك إذا قسمة ضيّزى» فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه، و

٧٦- البيان والتبيين ١/١٤٥.

٧٧- النجم، ٢١، ٢٢.

٧٨- فنون الأدب، ١٢.

غيرها لا يسدّ مسدها في مكانها . . .»^{٧٩}.

ويمكن ان تعد من الكلمات التي بناؤها على الاستكراه والتنافر و معها ايحاء و اشارة، لفظة «ججيش» في قول تأبّط شرا :

يظُلُّ بمومةٍ ويُمسى بغيرها ججيشا، ويعرورى ظهور المهالك
فالظاهر ان مرادف ججيشاً اعنى فريداً او وحيداً لم يخف على تأبّط
شرا وهو من هو، فاختيار هذه الكلمة واستعمالها لم يكن عبثاً من جانبه،
بل أرى انه اودع فيها رمزا و اشارة لا يؤديها وحيد او فريد، فهو لا يريد
ان يكتفى بأن يقول انه يصرف نهاره في مفازة لاماء فيها ويمسى فى
غيرها منفردا، حتى يكون معناه انه يقاسى المتاعب فى النهار ويتخلص منها
فى المساء، بل يعنى انه يتقلب فى الشدائد والمهالك من تحمل الحرّ والعطش
فى النهار والوحدة الموحشة المستكرهة فى المساء . فعلى هذا ان كلمة
«ججيش» أنسب الألفاظ ملائمة للتعبير عن هذه الوحدة الموحشة .

فلا اوافق ابن الأثير فى قوله ها هنا : «فانّ لفظة «ججيش» من-
الألفاظ المنكرة القبيحة، ويا لله العجب : أليس انها بمعنى فريد، وفريد لفظة
حسنة لائقة، ولو وضعت فى هذا البيت موضع ججيش لما اختلف شىء من وزنه،
فتأبط شراً ملوم من وجهين فى هذا الموضع . أحدهما انه استعمل القبيح،
والآخر انه كانت له مندوحة عن استعمال فلم يعدل عنها»^{٨٠}.

فلا يغرنك اننا نريد ان ننكر وقوع كلمات غير فصيحة فى كلام
الشعراء والأدباء، كلا . إذ من البديهي ان التعبير عن التجارب المألوفة
بالألفاظ العربية والمتنافرة، كما نراه فى العصور التى يقل فيها النوابغ
والافذاذ، لا يعد فصاحة بل ضعفا و ركافة .

٧٩- المثل السائر ١/١٥٦-١٥٧ .

٨٠- المثل السائر ١/١٦٣ .

بل كل ما نريد ان نقول هاهنا انه ربما تكون الكلمات والقوالب الغريبة او المتنافرة مثلا التي تستخدم في كلام نوابغ الشعراء والأدباء ، جاءت قصدا وسعيا من وراءها لاغفلة ولاضرورة، وذلك لتضمنها ايحاءات و اشارات لم يتضمنها غيرها، فأصبحت تلك الكلمات والقوالب حسنة وفصيحة كأحسن ما يكون .

هذا الذي ذكرناه من ابتداء مبحث اسرار الالفاظ الى هنا كان قتلاً من كثر، ولكن ظهر منه ان حسن الألفاظ وقبولها وفصاحتها امر تشترك فيه عوامل كثيرة واسباب متعددة تستمد من النفس والطبع، والزمان والمكان، والمعنى واللفظ، وموسيقى الكلمات واصواتها، والاسلوب والتركيب، والملازمة بين اللفظ والمعنى وغيرها، فينبغي على من يدرس- الفصاحة الالتفات إليها والعناية بها والوقوف عندها .

ولكن علماء هذا الفن لم يدرسوا تلك العوامل دراسة تشفى من الغليل، وتهدى السالك إلى سواء السبيل، وان كان الشيخ عبدالقاهر وابن الأثير قد أتيا في هذا المجال بما يرجع اليهما فضله، واهتديا الى دقائق لم يسبقهما فيها احد .

وهذا ابن سنان الخفاجي الذي الف كتابا في اسرار الفصاحة و رموزها و ذكر في مقدمته ان الغرض من تأليفه معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسر^{٨١}ها، فعنى بدراسة الفصاحة وسعى وراءها، لكنه مع ذلك كله لم يحم حول كثير من عوامل الفصاحة كالنواحي النفسية مثلا، اولم يدرسها دراسة عميقة . فإذا رأيت في كلامه التفاتاً إلى الدواعي النفسية فاعلم أنه لا يتجاوز من نظرات عابرة و اشارات سريعة، وذلك كقوله في قبح التكرار: «واجاز لنا في بعض الأيام شيخنا ابو العلاء بن سليمان قول الشاعر» :

ألا طرقتنا بعد ما هَجَعُوا هَندَ” وقد سِرَّ نَ خَمساً وَاثَلاباً بنا نَجَدُ
 الا حَبْدًا هَندَ” وَأَرضَ” بها هَندَ وِهندأتى من دونها النَّأىُ والعبد^{٨٢}
 وقال : من حبه لهذه المرأة لم ير تكرير اسمها عيباً، ولأنه يجد
 للتلفظ باسمها حلاوة، فلم ير من الاعتذار للتكرير الا هذا العذر^{٨٣}.

فهو وان كان اهتدى الى الملائمة بين اللفظ والمعنى لكنه لم يدرس
 المسألة مستوفاة ولم ينظر إليها من الجهات المختلفة، بل اكتفى بأنه ذكر
 في جملة اوصاف الفصاحة كون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها عن شيء
 لطيف او خفى أو قليل او ما يجرى مجرى ذلك^{٨٤}. ولا يخفى ان الملائمة
 بين اللفظ والمعنى لا تنحصر في هذه الناحية، إذ لها صور أخرى كالملائمة
 في التنافر والغرابة والسخافة والعدد والعدمة، على ان هذه الملائمة ليست
 في صميم اللفظ من حيث انه لفظ، فهي الى الشكل اقرب منها الى اللفظ .

لقد سبق ان الخفاجي ذكر في فصاحة اللفظة المفردة اوصافاً ثمانية و
 اشرنا إليها باختصار . وهذه الأوصاف ترجع كلها الى اللفظ، او في اعتباره
 على الأقل، لأن الفصاحة عنده مقصورة على وصف الألفاظ، فيدل هذا على
 انه لم يهتم بعوامل الفصاحة غير لفظية .

وفيما ذكره نظر من وجوه: الأول - ان بعضاً من هذه الاوصاف يعنى

٨٢- سر الفصاحة، ١١٥ .

٨٣- البيتان للخطيب العيسى احد شعراء الهجائين والمداحين .

والبيت الأول هو مطلع قصيدة يمدح بها بنى سعد .

و رواية الديوان طبع بيروت م ص ٢٩، هكذا: الأطرقتنا بعد ما هجدوا .

وقد سرن خمسا: أى سرن خمسة ايام لا يرون فيها ماء . واثلاب :

ارتفع .

٨٤- سر الفصاحة، ٩٧ .

عن بعضه، و ذلك مثل كون تأليف الكلمة على صورة توجب فى السمع حسنا ومزببة على غيرها . قال ابن الأثير: الألفاظ داخله فى حيز الأصوات فما استلذه السمع فهو حسن، وما استنكره وكرهه فهو قبيح . فلاحاجة إذأ الى ما ذكره علماء البيان من خصائص الفصاحة وشرائطها»^{٨٥}.

فهذا الوصف ان لم يعن عن بقية الأوصاف الثمانية فلاشك انه يعنى عن بعضها، وفى رأسه المادة الاولى وهى : «ان يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج»^{٨٦}.

الثانى - انه لاحاجة الى اعتبار تباعد مخارج الحروف فى الفصاحة، و ذلك لأن بناء اللغة على الاستعمال والدوران والحسن والخفة، فنرى ان الثلاثى من الألفاظ اكثر من الرباعى والخماسى، والخماسى أقل منهما فى الوجود ولا يستعمل منه الا القليل النادر، وانه لم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والحاء والعين، ولا بين اللام والراء، ولا بين الزاء والسين . وهذا دليل على العناية ببعده المخارج .

على انه لو كان بعد المخارج فى التلفظ معتبرا فى الفصاحة، لما استطاع شاعر او أديب على قول بيت او عبارة إلا فى مدة طويلة . وايضا حينما نسال عن حسن او قبح لفظة نجيب بسرعة، ولا نقول للسائل اصبر حتى نرى هل الحروف متقاربة او متباعدة فى المخرج .

ومما يدل على ضعف اعتبار تباعد المخارج عدم اطراده، فإن كلمة «جيش» مع قرب مخارج الحروف حسنة، و «ملع» مع تباعد حروفها فى المخرج قبيحة^{٨٧}. فلم يبق هاهنا إلا أن يكون الذوق السليم مرجعا، لأقرب

٨٥- المثل السائر، ١٤٩ .

٨٦- سر الفصاحة، ٦٦ .

٨٧- المثل السائر ١/١٥٢-١٥٤ .

مخارج الحروف او بعدها، ولا ترتيبها في الصعود والنزول^{٨٨}.

الثالث - انه اعتبر في الفصاحة ان تكون الكلمة غير ساقطة عامية، و نسبه الى الجاحظ^{٨٩}. وليس الأمر كذلك لأن الجاحظ نفسه لا يرى الكلمة الساقطة والسخيفه مخلة بالفصاحة مطلقاً، فهو - كما ذكرنا - قال : «وقد أصاب القوم في عامّة ما وصفوا، إلاّ أنى أزعج أن سخيّف الالفاظ مشاكل لسخيّف المعاني . وقد يحتاج الى السخيّف في بعض المواضع، وربما أمتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم من الالفاظ والشريف من المعاني»^{٩٠} وهذا الكلام ينادى بأن وصف الكلمة بخلوها مطلقاً من السخافة والابتذال، امر اعتبره القوم ولا يرتضيه الجاحظ .

وأيضاً الظاهر من كلام الخفاجي انه يعنى من الساقطة العامية، السخيفة والمبتذلة بين العامة^{٩١}، مع أنها تنقسم الى أقسام ليس كلها عيباً في الكلام. لأن سبب الابتذال اما لان الكلمة سخيفة ضعيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصة، مثل كلمة «لقالق» في قول المتنبي :

و ملسومة سيفية ربيعه يصيح الحصا فيها صياح اللقالق^{٩٢}

٨٨- شرح مفتاح العلوم للتفتازاني، مخطوط .

٨٩- سرّ الفصاحة، ٧٨ .

٩٠- البيان والتبيين ١/١٤٥ .

٩١- سرّ الفصاحة، ٨٠، ٨١ .

٩٢- البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر ايقاعه بالطفافة

والمتمردين . ومطلعها :

تذكرت ما بين «العذيب» و «بارق»

مجرّ عوالينا ومجرّى السوابق

ملمومة : مجتمعة، صفة للكتيبة .

وكلمة «آجر» في قول نابغة الذبياني :

أو دمية في مرمٍ مرفوعةٍ بثيت بأجرٍ يشاد بقَرٍ مدٍ
فها تان اللفظتان معيتان ومتبدلتان جدًّا، فينبغي الاحتراز منهما إلا
أن تقع في موضع يراد فيه المشاكلة بين اللفظ والمعنى .

فإذا اردت ان تعرف سر فصاحة القرآن انظر الى بيانه عند التعبير
عن «الآجر» : «وقال فرعون : يا أبها الملاء ما علمت لكم من إله غيري،
فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحًا»^{٩٣} فترك كلمة «الآجر»
وعبر عنها بالوقود .

واما لأن الكلمة قد استعملت عند العامة في غير ما حقها أن تستعمل
فيه . فهذا القسم، منه ما هو مكروه ذكره مثل كلمة «الصُّرم» فإنه في
الاصل بمعنى القطع، ولكن استعملتها العامة في معنى «السرم» - المحل
المخصوص من الحيوان دون غيره - ولهذا عيب على المتنبى قوله :

أذاق الغواني حسنه ما اذقنسى وعفّ، فجازاهن عنى بالصُّرم^{٩٤}
ومنه ما هو غير مكروه ذكره، وذلك مثل كلمة «الظرف» المستعمل
في حسن الخلق والصورة واللباس مع انها تختص بالنطق . إذ يقال في
صفات خلق الانسان : الصباحة في الوجه، الوضاعة في البشرة، الجمال في
 الأنف، الحلاوة في العينين، الملاحاة في الفم، الظرف في اللسان، الرشاقة
في القدا للباقة في الشمائل وكمال الحسن في الشعر .

فإذا استعملت كلمة «الظرف» في غير المنطق والكلام لا تعد غير

٩٣ - القصص، ٣٨ .

٩٤ - البيت من قصيدة يمدح بها الحسين بن اسحق التنوخي . ومطلعها:
مَلَامِي النَّوَى فِي ظَلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ
و رواية الديوان بشرح البرقوقى: (وعفّ، فجازاهن عنى بالصُّرم).

فصيحة، ولكن يعاب قائلها بجهله بمعرفة اصل وضع اللغة. فيعاب ابونواس في قوله :

اختصم الجودُ والجمالُ فيك ، فصارا الى جدالٍ
فقال هذا : يمينه لى ، للعرِّف والبذل والنوال
وقال هذاك : وجهه لى ، للظرف والحسن والكمال
فافترقا فيك عن تراضٍ ، كلاهما صادقُ المقال^{٩٥}
لأنه وصف الوجه «بالظرف» مع انه من صفات النطق^{٩٦}.

الرابع - انه ذكر في جملة اوصاف الفصاحة ان لا يكون الكلمة قد عبر بها عن امر آخر يُكره ذكره^{٩٧} ولا يخفى ان هذا انما يصح إذا لم توجد قرينة تدل على اختصاص الكلمة بالمعنى المقبول، اما إذا وجدت فلا يكون الاشتراك حينئذ مخالفاً بالفصاحة . وذلك كقوله تعالى : «فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه ، أولئك هم المفلحون»^{٩٨}.

فلفظة التعزير مشتركة بين التعظيم والاكرام والضرب الذى هو دون الحد، وذلك نوع من الهوان ولكن القرينة ههنا خصصتها بالمعنى الحسن^{٩٩}.
الخامس انه اعتبر كثرة الحروف مطلقاً من أسباب قبح الكلمة و

٩٥- هذه ابيات يمدح بها عبدالوهاب بن مایسان من اشراف الفرس .
و رواية الديوان طبع بيروت :

وقال هذا : و وجهه لى للحسن والظرف والكمال

٩٦- المثل السائر، ١٨٠-١٨٤ .

٩٧- سر الفصاحة، ٩٢ .

٩٨- الأعراف، ١٥٧ .

٩٩- المثل السائر ١/١٨٥ .

خروجها من دائرة الفصاحة، وليس الأمر هكذا لأننا نرى ان لفظه
«سويداواتها» في قول المتنبي :

إِنَّ الْكِرَامَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ مثل القلوب بلا سُوَيْدَاوَاتِهَا

قبيحة، ولكن كلاً من لفظتي «فسيكفيكم الله»^{١٠٠} و «ليستخلفنهم
في الأرض»^{١٠١} حسن مع ان الأولى تسعة أحرف والثانية عشرة أحرف . فلو
كانت كثرة الحروف مما يوجب قبحاً لقبحت هاتان اللفظتان وليس كذلك .
فالسبب في قبح كلمة «سويداواتها» ليس الطول وكثرة الحروف
فقط، ألا ترى لو اسقط الهاء والألف - ها - منها لبقيت الكلمة أيضاً على
قبحها، فهي في نفسها قبيحة مع ان مفردتها حسنة^{١٠٢}.

السادس - ان أمر التصغير ليس شيئاً خفياً يحتاج الى التنبيه، إذ يهتدى
إليه الناظم والأديب من سياق الكلام وصياغته . وايضا ان بناء التصغير على
استعماله في الأمور اللطيفة أو الحقيرة، «فالوصية به إذاً ملغاة لاجابة
إليها»^{١٠٣}.

فإذا كان هذا صاحب سر الفصاحة في تناول اوصاف الفصاحة فما
ظنك بالآخرين ؟

١٠٠ - البقرة، ١٣٧ .

١٠١ - النور، ٥٥ .

١٠٢ - المثل السائر ١/ ١٨٨ .

١٠٣ - المثل السائر ١/ ١٥٥ .

الفصاحة بين اللفظ والمعنى

سبق ان الفصاحة يتجاذبها اللفظ والمعنى و وعدنا ان نرجع الى هذه المسئلة و ندرسها بشيء من التفصيل^{١٠٤}، فنقول وبالله التوفيق :

اعلم انه لا خفاء ولا خلاف فى ان الفصاحة دليل تفاضل الكلام، و علامة تفوق البيان، و رمز من رموز اعجاز القرآن . ولما لم يكن مكان هذه الصفات فى الكلام معلوما على سبيل التعيين، كان مورد الفصاحة منه ايضا كذلك، فلهدا اختلف العلماء فى رجوع الفصاحة الى اللفظ او المعنى او اليهما .

فهذا ابو هلال العسكري يرى ان الفصاحة مقصورة على اللفظ ، لأنها عبارة عن تمام آلة البيان، و آلة البيان و ادواته ليست شيئا غير الألفاظ . ثم يعدّ من تمام آلة البيان كون الكلام سهل اللفظ، جيّد السبك غير مستكره و لا متكلف^{١٠٥}.

وقد حدا حذوه الخفاجى و رأى ان الفصاحة مقصورة على اللفظ و تدور عليه، وقال : والفرق بين الفصاحة و البلاغة ان الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، و البلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعانى^{١٠٦}.

ثم جاء ابن الأثير و عنى من الفصاحة حسن الالفاظ و كونها ظاهرة بينة

١٠٤- انظر هذا الكتاب، ٧ و ١٧ .

١٠٥- الصناعتين، ٦-٧ .

١٠٦- سر الفصاحة، ٦٠ .

وكثيرة الدوران، وخصص اللفظ بصفة الفصاحة وجعل المعنى تبعاً له^{١٠٧}. فيستدل على صحة رأيه بأن لفظة «المُرْنة» و«الديمة» حسنة يستلذها السمع، ولفظة «البُعاق» قبيحة تكرهها السمع، فلو كانت الفصاحة في هذه الألفاظ لأمر يرجع إلى المعنى لما كانت مختلفة في الحسن والقبح لأنها سواء في الدلالة على ذلك المعنى.

ولما ورد عليه أن من آيات القرآن ما لا يفهم معناه إلا باستنباط و تفسير وتلك الآيات فصيحة لا محالة، فكيف التوفيق بينها وبين الفصاحة بمعنى الظاهر البين؟ أجاب بقوله:

قلت: «لأن الآيات التي تستنبط وتحتاج إلى تفسير ليس شيء منها إلا مفردات الفاظه كلها ظاهرة واضحة، وإنما التفسير يقع في غموض المعنى من جهة التركيب لا من جهة الفاظه المفردة، لأن معنى المفردة يتداخل بالتركيب ويصير له هيئة تخصه، وهذا ليس قدحا في فصاحة تلك الألفاظ، لأنها إذا اعتبرت لفظ لفظة وجدت كلها فصيحة أي ظاهرة واضحة»^{١٠٨}.

فهؤلاء هم الذين تجاذب اللفظ عندهم الفصاحة، فأثقلوا أكتفه واحتفلوا به أكثر من المعنى.

وقسم السكاكي الفصاحة إلى قسمين، قسم يرجع إلى اللفظ وقسم إلى المعنى^{١٠٩}. فالفصاحة عنده يتجاذبها اللفظ كما يتجاذبها المعنى، وليست مقصورة على أحدهما.

وأما الشيخ عبد القاهر فهو يرى أن الفصاحة راجعة إلى المعنى لا اللفظ

١٠٧- المثل السائر، ١/٦٥-٦٧.

١٠٨- المثل السائر، ١/٦٧.

١٠٩- مفتاح العلوم، ١٩٦-١٩٧.

وحده، وان اللفظ فيها تبع للمعنى، لأن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، والتفاضل في الألفاظ المفردة من حيث هي الفاظ لا يتجاوز من ان تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية، او ان تكون حروف هذه اخف، وامتزاجها احسن، ومما يكدر اللسان ابعده . وهذا شيء تافه وضيئيل عند تفضيل كلام على آخر ولدى وصف بيان بالفصاحة والبراعة^{١١٠}.

وهذا الخلاف في أمر الفصاحة يرجع الى خلاف آخر معروف او يلتحق به، وهو معركة نظرية اللفظ والمعنى التي يشبو نارها علماء الأدب وارباب النقد . فمنهم من قام بتفضيل اللفظ على المعنى وجعله غايته ووكده وقال : اللفظ اعلى من المعنى ثناء، وأعظم قيمة واعز مطلباً . فان المعاني موجودة في طباع الناس يستوى الجاهل فيها والحاذق^{١١١}.

والمعتبر عندهم في تفاضل الكلام، العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك وصحة التأليف . . فهؤلاء يجعلون في مقدمتهم الجاحظ ويحتجون بقوله المشهور : « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ و سهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير^{١١٢} .

ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ ولا يبالي حيث وقع من هُجْنَة اللفظ وقبحه وخشونته^{١١٣} ، ولا يحتفل بامر اللفظ إلا قليلاً، ولا يعطيه

١١٠- دلائل الاعجاز، ٣٨ .

١١١- العمدة، ١/١٢٤، ١٢٧ .

١١٢- الحيوان ٣/٤١، مطبعة الحميدية، مصر ١٣٢٣ .

١١٣- العمدة ١/١٢٦ .

من المزية "الـ" ما فضل عن المعنى، ويقول: ما في اللفظ لولا المعنى؟ وهل الكلام "الـ" بمعناه.

فالمعتبر عند انصار هذه النظرية اصابة المعنى والعمل على تضمين الكلام حكمة او ادبا او تشبيها غريبا ومعنى نادرا^{١١٤}. والباحثون يضعون الشيخ عبدالقاهر في مقدمة انصار المعنى او يعدونه من زمريتهم، ويجعلون جملا من كلامه على ذكر منهم. كقوله: «ان الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجرى في طريقيهما او صاف راجعة الى المعاني والى ما يُدَل عليه بالألفاظ، دون الألفاظ انفسها»^{١١٥} و «ان الالفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ... الخ»^{١١٦} «وليت شعري، هل كانت الالفاظ "الـ" من اجل المعاني؟ وهل هي "الـ" خدم لها، ومصرفة على حكمها؟»^{١١٧} ويستدلون بها على أن الشيخ هو زعيمهم او داخل في حزبهم.

ثم هذا الصراع لم يقف لدى بعض الباحثين عند هذا الحد والاكتفاء بزعامة الجاحظ والشيخ، بل خطا خطوة اخرى وانتهى الى معركة عنصري العربية والفارسية، فهذا الدكتور شوقي ضيف يرى ان الاعاجم قد تشيعوا للمعنى، والعرب قد اتجهوا الى اللفظ وعظموا شأنه واضنوا عليه هالات^{١١٨}. ومن أمعن النظر في كلام الشيخ في دلائل الاعجاز، وتتبع آراءه في الفصاحة والبلاغة والاعجاز، رأى أنه لم يخالف الجاحظ، كما راه انه لم يوافق انصار اللفظ ولا انصار المعنى.

١١٤- راجع دلائل الاعجاز، ١٩٤.

١١٥- المصدر السابق، ٢٠٠.

١١٦- المصدر السابق، ٣٨.

١١٧- المصدر السابق، ٣٢٠.

١١٨- في النقد الأدبي للدكتور شوقي ضيف، ١٦١ بالنقل من

مصطلحات بلاغية، ١٤، لاننى لم احصل عليه.

اما انه لا يؤيد انصار المعنى فلأنه يشدد النكير على من يقصر مزية الكلام وفضله على المعنى ولا يعبأ بأمر اللفظ، فيقول: «واعلم ان الداء التدوي» والذي اعيب امره في هذا الباب غلط من تقدم الشعر بمعناه، و اقل الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزية - ان هو اعطى - إلا ما فضل عن المعنى .

يقول : ما في اللفظ لولا المعنى ؟ وهل الكلام إلا بمعناه ؟
فانت تراه لا يقدم شعراً حتى يكون قد اودع حكمة أو أدبا، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر»^{١١٩}. فالشيخ كما تراه يشكو من هؤلاء الذين يحكمون بتقديم كلام على آخر بملاحظة اشتماله على حكمة أو أدب او نكتة، ولا يحتفلون بشأن الألفاظ إلا في القليل النادر، ويعد ذلك الحكم داء لا يبرأ ومرضا لا يشفى .

ثم حفزه الدافع الديني الى ان يببالغ في انكار مذهب انصار المعنى : ويقول : «... ان الخطأ فيه عظيم، وانه يفضى بصاحبه الى ان ينكر الاعجاز، ويبطل التحدى من حيث لا يشعر . و ذلك انه ان كان العمل على ما يذهبون اليه : من ان لا يجب فضل ومزية إلا من جانب المعنى، وحتى يكون قد قال حكمة أو أدبا واستخرج معنى غريباً او شبيهاً نادراً . فقد وجب اطراح جميع ما قاله الناس في الفصاحة والبلاغة، وفي شأن النظم والتأليف، وبطل ان يجب بالنظم فضل وان تدخله المزية وان تتفاوت فيه المنازل .

وإذا بطل ذلك فقد بطل ان يكون في الكلام معجز وصار الأمر الى ما يقوله اليهود، ومن قال بمثل مقالهم في هذا الباب، و دخل في مثل تلك - الجهالات . ونعوذ بالله من العمى بعد الإبصار»^{١٢٠}.

١١٩ - دلائل الاعجاز ١٩٤ .

١٢٠ - المرجع السابق، ١٩٨ .

فإذا رأى الشيخ ان هذا المذهب ينتهي إلى إبطال التحدى ونفى الاعجاز في الكلام حيث لا يشعر، وان غاية الأمر فيه تلتقى مع ما يقوله اليهود، فلم يبق شك انه لا يوافق انصار هذا المذهب ولا يؤيدهم .
 اما عدم تأييده انصار اللفظ فلأنه يعتقد ان المزية المطلوبة عند تفاضل كلام على آخر ما كان مبنيًا على الفكر والتأمل، حتى انه لا يكفي للكلام أو النظم في اكتساب المزية ان يجرى على الصواب ويسلم من العيب إذا لم يصحبهما فكر ورؤية^{١٢١}. ولما كانت الألفاظ من حيث هي الفاظ لا تكون مناط الفكر والتعمق إلا ان يراد تأليف النغم والجمال الظاهري لها، وهما ظاهران لا تستحقان حظاً وفيراً من الفصاحة والبلاغة والاعجاز، ظهر ان الفضيلة والمزية للكلام لا ترجعان إليهما، وان الفصاحة والبلاغة لا تنشدان عندهما .

قال الشيخ : «ان هذا النظم الذي يتواصله البلغاء ، وتفاضل مراتب البلاغة من اجله، صنعة يستعان عليها بالفكرة لامحالة . وإذا كانت مما يستعان عليه بالفكرة ويستخرج بالثروة فينبغي ان ينظر في الفكر بماذا يلبس، أبا المعاني ام بالألفاظ ؟

فأى شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ ، فهو الذي تحدث فيه صنعتك، وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك»^{١٢٢}.
 وقال أيضا : «ثم انا نعلم ان المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر من غير شبهة، ومحال ان يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر ويستعان عليها بالثروة، اللهم إلا ان تريد تأليف النغم . وليس ذلك مما نحن فيه بسبيل»^{١٢٣}.

١٢١ - المرجع السابق، ٧٧ .

١٢٢ - دلائل الاعجاز، ٤٢ .

١٢٣ - المرجع السابق، ٣٠٢ .

ولقد صرح بأن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وانما يثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ^{١٢٤}.

فإذا لم تكن الألفاظ عند الشيخ مما يلبس به فكر وروية، ولم تقع موقعا تتعلق بها فضيلة رئيسية، ظهر انه لا يوافق انصارها ولا يؤيدهم .

اما انه لم يخالف الجاحظ، فلأنه حينما يشدد الانكار على الذين يحتفلون بأمر المعنى فقط، يستمد من كلام الجاحظ ويستدل به فيقول: «وإذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك (الانكار على انصار المعنى) كل مبلغ ويتشدد غاية التشدد . وقد انتهى في ذلك الى ان جعل العلم بالمعاني مشتركاً وسوى فيه بين الخاصة والعامة، فقال: ... والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وانما الشأن في اقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، و كثرة الماء، وجودة السبك . وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير»^{١٢٥}.

فالشيخ كما رأيت ينكر على كلا الفريقين، ويذكر كلام الجاحظ تأييداً له، كانه يرى ايضاً ان المعاني مطروحة في الطريق وان الكلام صياغة وضرب من التصوير .

فهو يرى ان الفصاحة والبلاغة والبراعة في الكلام شيء يرجع الى النظم والتأليف والصياغة، ويعنى منها تنظيم الفكر وتنسيق المعنى في النفس وملاحظة الكيفيات والخصوصيات التي تتجلى فيما نسميه بالمعاني الأول، وهي ما يفهم من ظاهر اللفظ وتصل إليه بغير واسطة .

١٢٤ - دلائل الاعجاز، ٣٨ .

١٢٥ - المرجع السابق، ١٩٧-١٩٨ .

فإذا تم لك النظم والتأليف في المعاني اتبعتها الألفاظ، وقفوتَ بها آثارها، وانك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، لأنها خدم للمعاني وتابعة لها، وإن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليه في النطق ١٢٦.

فترتيب الفكر كما يقتضيه العقل، وترسيم المعاني واضحة جلية، و تلاقيها مقبولة ومطبوعة هي ما يتوافقه البلغاء، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله، ويعود مزية الكلام وفضيلته إليه . فهذه المعاني ليست مما يطرح في الطريق ويعرفه العجمي والعربي، والقروي والبدوي .

ولقد أحسن «بندتو كروتشيه» * من علماء الجمال الإيطاليين حين قال: فليس صحيحاً ما نسمعه ممن يزعمون أن لديهم أفكاراً كثيرة هامة ولكنهم لا يصلون إلى التعبير عنها، ففي الحقيقة لو كانت لديهم هذه الأفكار لصاغوها في كلمات جميلة عذبة في السامع، فدلوها بذلك عليها . فإذا بدت الأفكار مستعصية هزيلة حين يريدون التعبير عنها، فذلك لأنها واهنة هزيلة في وضوحها في أذهانهم .

وليست الأشياء والصور من الوضوح في ذهن العامة مثل ما هي من- الوضوح في ذهن الفنان . وليس من الحق أن يقال : أن كل الناس يستطيعون أن يتخيلوا الصور التي رسمها «رفائيل» أو المعاني التي تحدث عنها «دانتة» . فإن الفنان يرسم بذهنه كما يصور الشاعر بفكره، و ادراكهما عميق شامل لا يتاح لكثير من الناس ١٢٧ .

فالشيخ يعتقد أن المراد بقولهم : الألفاظ زينة للمعاني وحملة عليها، أو المعاني كالجواري والألفاظ كالمعارض لها وكالوشى المحبّر، ليس هو

١٢٦ - دلائل الإعجاز، ٤٤ .

١٢٧ - النقد الأدبي الحديث، ٢٨٨ .

اللفظ المنطوق ولكن معنى اللفظ الذي دللتَ به على المعنى الثاني . فمثلا في «جبان الكلب» و «مهزول الفصيل» ان المعانى الاول المفهومة من انفس الألفاظ هي الوشى والمعارض وان المعانى الثانية التى تكنى عنها بالمعانى الأول هي التى كست تلك المعارض وتحلت بها^{١٢٨}.

لكن الشيخ يسمي المعانى الاول بـ «المعنى» والمعانى الثواني بـ «معنى المعنى» فيقصد من «المعنى» المفهوم من ظاهر اللفظ وما يوصل إليه بغير واسطة، ومن «معنى المعنى» ما يفهم من معنى اللفظ ويحصل عليه بسببه^{١٢٩}. فمثلا ان «المعنى» فى قوله تعالى : «وكانا يأكلان الطعام»^{١٣٠} ما يفهم من منطوق الآية، وه وان المسيح عليه السلام وامه يتناولان الطعام . و «معنى المعنى» ما يتوصل اليه من مفهوم منطوق الآية، اعنى ما يتبع الاغتذاء بالطعام . «فمعنى المعنى» هو الغرض الذى يؤدى بعينه بصور مختلفة، واما «المعنى» فهو الصورة التى تجعل معرضا وحلية لمعنى المعنى ويخرج فيها . و «المعنى» لا يؤدى بعينه فى عبارات متفاوتة على الوجه الذى يكون عليه فى التعبير الأول، حتى تعقل ما عقلته هناك، و حتى يكون الحال فى النفس حال الصور المتشابهة فى العين كالأساور والأشناف، وهذا فى غاية الإحالة^{١٣١}.

ويرى الشيخ ان منشأ أوهام الناس فى حديث اللفظ وظنّهم ان له من حيث هو لفظ حسنا ومزية ونبلا وشرفا، هو انهم رأوا النقاد والعلماء يفردون اللفظ عن المعنى ويجعلون له حسنا على حدة، و رأوهم قد قسموا

١٢٨- دلائل الاعجاز، ٢٠٤ .

١٢٩- دلائل الاعجاز، ٢٠٣ .

١٣٠- مائدة، ٧٥ .

١٣١- دلائل، ٢٠١-٢٠٢ .

الشعر فقالوا : ان منه ما حسن لفظه ومعناه، ومنه ما حسن لفظه دون معناه . فلم يفصلوا بين المعنى الذى هو الغرض وبين الصورة التى يُخرج فيها، فنسبوا ما كان من الحسن والمزية فى صورة المعنى الى اللفظ^{١٣٢}.

وأحيانا ينسب بعض المحاسن والكيفيات المخصوصة التى توجب تغيير النظم كالتهديم والتأخير والتأكيد وغيرها الى اللفظ مع انها راجعة الى المعنى، وذلك لأنها خصائص وزيادات ليست من اصل المعنى فلم يطلقوا اسم المعانى عليها تمييزاً لاصل المعنى مما هو زائد عليه. «فتوصلوا الى الدلالة عليها بأن وصفوا اللفظ فى ذلك بأوصاف يعلم أنها لا تكون أوصافاً له من حيث لفظ . كنجو وصفهم له بأنه لفظ شريف، وانه قد زان المعنى، وأن له ديباجةً وان عليه طلاوة، وان المعنى منه فى مثل الوشى، وانه عليه كالحلى، الى اشباه ذلك مما يعلم ضرورة انه لا يعنى بثله الصوت والحرف»^{١٣٣}.

فاذا عرفت ذلك فأعلم :

١- انه حيثما يدل كلام الشيخ على ان الفصاحة والبلاغة والبراعة و ما شاكل ذلك، من صفات الألفاظ أو المعانى فهو يريد بهما المعانى الأول و ما ترتبه النفس ويجعل له الذهن رسماً وتنسيقاً، ثم يتبعه اللفظ فى ذلك الترتيب . وحيث ينفى ان تكون من صفاتهما، او ينكر على الذين يحتفلون بامر المعنى ويلتقى مع الجاحظ فى ان المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العربى والعجمى، والقروى والبدوى، يريد بالالفاظ الالفاظ المنطوقة و بالمعانى الاغراض والمعانى الثوانى^{١٣٤}.

١٣٢- دلائل الاعجاز، ٢٠١-٢٠٢ .

١٣٣- المصدر نفسه، ٢٠٥ .

١٣٤- راجع المطول، ٢٨ .

٢- ليس كلام الشيخ في الألفاظ المفردة ومعانيها ولكن في النظم والتأليف، لأنهما محور الفضيلة والمزية في الكلام ومرجع الإعجاز لا الألفاظ ومعانيها. والآن يلزم ان يحدث في مذاقة حروف اللغة وأصدائها، وفي معنى «الحمد» و«الرب» و«العالمين» و«الملك» مثلاً اوصاف و مزايا لم تكن موجودة قبل نزول القرآن و ذلك محال^{١٣٥}.

٣- ان الشيخ لا يأبى ان تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل النطق داخلاً في الفصاحة وان تكون لها اثر في الإعجاز، ولكنه ينكر ان تكون عمدة واصلاً في تفاضل الكلام وامر الإعجاز^{١٣٦}.

لعل «تشارلتن» * قد الهم من كلام الشيخ في هذا المقام حيث يقول: «نعم ان لبعض الألفاظ في السامع نغماً اشجى من بعضها الاخر، وبعض الألفاظ أسلس* في يد الشاعر من بعضها، واكثر اتساقاً وانسياقاً في الكلام الموزون. لكن هذه العوامل كلها متصلة بجمال الألفاظ الظاهري الخارجى وهو جمال تافه ضئيل إذا قيس بالجمال الباطنى الحقيقى، جمال المعنى والشعور الذى توحى به اللفظة عند كاتبها وسامعها.

جمال اللفظ ان يؤدي ما أريد له ان يؤديه أداء كاملاً مليئاً بالقوة والحياة»^{١٣٧}.

معنى البلاغة

البلاغة لغة :

قد عرفت فيما سبق معنى «الفصاحة» لغة واصطلاحاً، واما البلاغة

١٣٥- دلائل الإعجاز، ٢٩٥-٢٩٦، ٢٠٢، ٣٢٤، ٣٠١، ٢٩٥.

١٣٦- المصدر نفسه، ٤٧، ٤٠١.

١٣٧- فنون الأدب، ١٧.

* H. B. Charlton

فإن أصلها في وضع اللغة الوصول والانتها. جاء في اللسان : بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً : وصل وانتهى . . . وبلغت المكان بلوغاً : وصلت إليه ، وكذلك إذا شارفت عليه . ومنه قوله تعالى : فإذا بلغن أجلهن : أى قاربنه. البلاغة اصطلاحاً :

لقدورد من أمراء البيان وفرسان مضمار الأدب، ومن الأقوام والشعوب المختلفة، أقوال كثيرة وعبارات متعددة في تحديد البلاغة وبيان المراد بها. قال علي (عليه السلام) : البلاغة الإفصاح عن حكمة مستغلة وإبانة علم مشكل .

وقال الحسن بن علي - رضي الله عنهما - البلاغة إيضاح الملتبسات، وكشف عورات الجهالات بأحسن ما يمكن من العبارات . قيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قرب طرفاه، وبعد منتهاه. وقيل لبعض البلغاء : من البليغ ؟ قال : الذي إذا قال أسرع، وإذا أسرع أبدع وإذا أبدع حرك كل نفس بما أودع^{١٣٨}.

سئل ابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة . فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعا وخطباً، ومنها ما يكون رسائل .

فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى^{١٣٩}.

١٣٨ - نهاية الأدب، ٧/٦-٨، راجع الصناعتين، ٤٩-٥٠ .

١٣٩ - البيان والتبيين ١/١١٥-١١٦، وفي الصناعتين، ص ١٤

والاشارة الى المعنى ابلغ، والايجاز هو البلاغة .

قال العنابي : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ^{١٤٠}.
وسأل الساموан الحسن بن سهل عن البلاغة فقال : ما فهمته العامة ورضيته الخاصة .

وقال بعض الحكماء : البلاغة قول يسير، يشتمل على معنى خطير^{١٤١}.
وسئل حكيم عن البليغ، فقال: من إذا أخذ شبراً كفاه وإن أخذ طوماراً أملاه . وقيل في تفسير البلاغة : الإيجاز من غير عجز، والاطناب من غير خطل^{١٤٢}.

و ذكر الجاحظ انه قال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه:-
لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك^{١٤٣}.

فسرّ الشيخ في دلائل الاعجاز هذا القول بانه ليس المراد من اللفظ اللفظ المنطوق به لأن القارئ أو السامع إما عالم بوضع اللفظ للمعنى أو جاهل، فإذا كان عالماً بمعاني الألفاظ لا يكون هناك تفاوت في فهم المعنى كما إذا كان جاهلاً بها لا يحصل أى نوع من العلم على السواء . بل المراد به هو المعنى الأول الذى يجعل دليلاً على المعنى الثانى، فمن شرط البلاغة أن يكون ذلك المعنى متمكناً فى دلالة و واضحاً فيها ولا يحتاج الى كلفة وتأويل^{١٤٤}.

١٤٠- المصدر نفسه ١/١١٣ .

١٤١- الصناعتين، ٣٧ .

١٤٢- محاضرات الأدباء ١/٥٨ .

١٤٣- البيان والتبيين ١/١١٥ .

١٤٤- دلائل الاعجاز، ٢٠٦-٢٠٧ .

وقال ابوحيان : سألت أبا سليمان عن البلاغة : ما هي ؟ ... فقال : هي الصدق في المعاني مع ائتلاف الأسماء والافعال والحروف، وإصابة اللغة وتحري الملاحظة المشاكلة برفض الإستكراه ومجانبة التعسف^{١٤٥}.

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل والوصل .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ فقال : تصحيح الاقسام، واختيار الكلام.

وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ فقال : حسن الاقتضاب عند البداهة ،

والغزارة يوم الاطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة : فقال : وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة ،

وحسن الإشارة^{١٤٦}.

وقال بزرجمهر ان فضائل الكلام خمس ان نقصت منها فضيلة واحدة

سقط فضل سائرهما، وهي: ان يكون الكلام صدقا، وان يوقع موقع الاتفاح

به، وان يتكلم به في حينه، وان يحسن تأليفه، وان يستعمل منه مقدار

الحاجة^{١٤٧}.

وقال العربي : البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد من حشو

الكلام، وقرب المأخذ، وإيجاز في صواب، وقصد الى الحجة، وحسن

الاستعارة^{١٤٨}.

فهذه الأقوال وان كان بعضها اشمل من بعض، لكن اكثرها يرتكز

على ناحية من النواحي التي تعنى بها البلاغة . اما على ناحية الافصاح

والابانة، أو ناحية الابداع والتأثير، أو ناحية طول الكلام وقصره، أو ناحية

١٤٥ - المقابسات، ٢٩٣ .

١٤٦ - الموازنة ١/٤٠٤ .

١٤٧ - البيان والتبيين ١/٨٨ .

١٤٨ - الصناعتين، ٤٧ .

الاتصال والانفصال، أو ناحية تصحيح الاقسام ... ، أو غيرها . ولا يخفى ما فى بعض هذه الاقوال من ملامح الشخصية الفردية أو القومية، فمثلا نرى اليونانى الذى ترعرع فى أحضان المنطق والفلسفة، يفسر البلاغة بتصحيح الاقسام واختيار الكلام .

فاذا تركنا امراء البيان وفرسان الأدب نرى علماء الفن فسروها بما يلي:
قال الآمدى (٣٧٠ هـ) : البلاغة انما هى اصابة المعنى وادراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة، سليمة من التكلف، لا تبلغ الهدر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية ...

فإن اتفق مع هذا - معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن فذاك زائد فى بهاء الكلام، وان لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه^{١٤٩}.

وقال أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) : البلاغة كل ما تبلّغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن^{١٥٠}.

فكان «لاسل آبركرومبى» * حينما يشترط على الأديب فى ايصال تجاربه، ان يبعث فى نفس القارئ صورة ماثلة لما فى نفسه، وان يحرّك بواسطة الألفاظ خيال قرائه ويسيطر عليه بحيث تصبح تجاربهم بقدر الامكان تقليدا صحيحا لتجاربه^{١٥١}، يريد ان يقول ان الأدب لا ينفك عن البلاغة بالمعنى الذى يعنيه العسكري منها .

وأما البلاغة عند الشيخ عبدالقاهر (٤٧٤ هـ) فهى ترادف الفصاحة و

١٤٩- الموازنة ١/٤٠٠-٤٠١ .

١٥٠- الصناعتين ١٠ .

١٥١- قواعد النقد الأدبى، ٣٤ .

* Lascelles Abercrombte

يعنى منها ما يعنى من الفصاحة . قال فى ردّ من ادعى انه لامعنى للفصاحة سوى التلاوم اللفظى، وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى فى النطق حروف تثقل على اللسان : «إنا ان قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك، و جعلناه المراد بها لزمنا ان نخرج الفصاحة من حيّز البلاغة ومن ان تكون نظيرة لها»^{١٥٢}.

فهو لا يذكر للفصاحة والبلاغة تعريفاً فنياً ولكن يستنبط من كلامه ما هو المراد بهما .

لقد انتقى الدكتور احمد بدوى والدكتور احمد مطلوب قول الشيخ فى الفصاحة والبلاغة : «مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا، واخبروا والسامعين عن الاغراض والمقاصد، وراموا ان يعلموهم ما فى نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم»^{١٥٣} ونقله^{١٥٤} حجة على تحديد الفصاحة والبلاغة عنده . ولا يخفى ان كل ما يدل عليه هذه العبارة هو ان الفضيلة والمزية فى الكلام ترجعان الى الفصاحة والبلاغة وأما ما هو كنههما فلا يعلم من هذا القول .

ولكن وجدت فى دلائل الاعجاز كلاما اوضح وأبين فى تحديد الفصاحة والبلاغة مما نقله هذان الأستاذان، و ذلك قوله : «وإذا عادت المعارضة الى جهة المعنى، وكان الكلام يعارض من حيث هو فصيح وبلغ ومتخير اللفظ، حصل من ذلك أن الفصاحة والبلاغة وتخير اللفظ عبارة عن خصائص و وجوه تكون معانى الكلام عليها، وعن زيادات تحدث فى

١٥٢ - دلائل الاعجاز، ٤٧ .

١٥٣ - المصدر نفسه، ٣٥ .

١٥٤ - علم البيان، ٩ . مصطلحات بلاغية، ٤٦ .

أصول المعاني . كالذى أريتك فيما بين «زيد كالأسد» و «كأن زيداً الأسد» وان لانصيب للألفاظ من حيث هي الفاظ فيها بوجه من الوجوه»^{١٥٥} .
فالبلاغة عند الشيخ العناية بتلك الخصائص والوجوه والزيادات و توفيتها حقها، وهي التي ترجع اليها مزية الكلام وتأثيره في المعنى . ففي الحقيقة ليست البلاغة عنده غير مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

وأحياناً يشير الشيخ الى ما ذكره غيره في حدود البلاغة : من وضوح الدلالة، وصواب الاشارة، وتصحيح الاقسام، وحسن الترتيب والنظام، والابداع في طريقة التشبيه والتمثيل، والاجمال ثم التفصيل و وضع الفصل، والوصل موضعهما، وتوفية الحذف والتأكيد والتقديم والتأخير شرطهما^{١٥٦} .
وقال السكاكي (٥٦٢٦هـ) : «البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها، وإيراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»^{١٥٧} .

و ذكر ابن الأثير (٦٣٧هـ) أشياء ثلثة واعتبرها الاصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر . وهي :

- ١- اختيار الألفاظ المفردة كما تتخير اللآلئ المتفرقة قبل النظم .
- ٢- نظم كل كلمة مع اختها المشاكلة لها كما يقترن كل لؤلؤة في العقد باختها المشاكلة لها، لئلا يجيء الكلام قَلْباً نافرأ عن مواضعه .
- ٣- وضع الكلام في موضع يستحقه، كما يوضع العقد المنظوم على الرأس إذا كان اكيلا، وفي العنق إذا كان قلادة .

ثم قال : «فالأول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد

١٥٥- دلائل الاعجاز، ٢٠٠ .

١٥٦- المصدر نفسه، ٤٧ .

١٥٧- مفتاح العلوم، ١٩٦ .

بالفصاحة، والثلاثة بجملتها هى المراد بالبلاغة»^{١٥٨}. فالبلاغة عند ابن اثير
شاملة للالفاظ والمعانى وجامعة لاوصافهما .

وقال النويرى (٧٣٣ هـ) : «فاما البلاغة فهى ان يبلغ الرجل بعبارته
كنه ما فى نفسه . ولا يسمى البليغ بليغا إلا إذا جمع المعنى الكثير فى اللفظ
القليل، وهو المسمى إيجازاً^{١٥٩} .

فالمفهوم من صدر هذا الكلام هو أن البلاغة تعبير الأديب عن كنه
ما فى نفسه، أعم من أن يكون موجزاً أم لا . ولكن عجزه يدل على شىء
آخر، وهو أن البلاغة عبارة عن جمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل الذى
يسمى فى الاصطلاح الإيجاز . والبلاغة على التفسير الأول شىء فى متناول
الأديب نفسه، لأنه وحده يمكنه ان يدعى انه استطاع التعبير عن كنه ما
فى نفسه لاغيره، إذ لا يعلم كنه ما فى نفس الأديب إلا شخصه .

ولما استقرت البلاغة كواحد من العلوم على يد السكاكى، واتضحت
معالمها جاء القزوينى (٧٣٩ هـ) وقسم البلاغة إلى قسمين : بلاغة الكلام و
بلاغة المتكلم .

وقال عن الأول : «وبلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته»
وعن الثانى : «وفى المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ»^{١٦٠} . و
يعنى من الحال الأمر الذى يتطلب من المتكلم ان يأتى بكلامه على كيفية
مخصوصة، ومن المقتضى تلك الكيفية . فمثلا ان الانكار حال تقتضى
تأييد الحكم وتأكيده، والتأكيد هو مقتضاها . فلا أظن أن الأستاذ امين-

١٥٨- المثل السائر، ١/١٤٢ .

١٥٩- نهاية الارب، ٧/٤ .

١٦٠- الايضاح مع شروح التلخيص ١/١٢٢، ١٤٢ .

الخولى اصاب الحق حيث فسّر المقتضى والاعتبار المناسب بانكار السامع وموافقته مثلاً ١٦١.

ولما كانت بلاغة الكلام عبارة عن مطابقته لمقتضى الحال، فالمتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض، فيجب عليه ان يراعى حاله ويفرض له ما يناسب طبعه، ويتكلم معه على قدر يلائم عقله، لأن لكل مقال مقاماً، ولكل كلام موضعاً.

فمن وضع الألفاظ موضعها ان لا يعبر في مقام المدح بالألفاظ المستعملة للذم، ولا في مقام الذم بالألفاظ المعروفة للمدح، ولا في مقام الجدّ بما هو يناسب الهزل. وان لا يستعمل في الشعر والنثر الأدبي الفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم، والألفاظ التي تختص بها أهل المهن والعلوم ١٦٢.

قيل لبشار : بينما تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب، مثل قولك :

إذا ما غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضَرِّيَّةً هتكن أحجاب الشمس أو تمطر الدما
إذا ما أعرّنا سيِّداً من قبيلة ذرى منبرٍ صلّى علينا وسلّمنا

تأتى بالشىء الهجين المتفاوت وتقول :

رَبَابَةٌ رَبَّةٌ الْبَيْتِ تَصَّبَ الْخَلُّ فِي الزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدَيْكٌ حَسُنَ الصَّوْتِ

فقال : لكل وجه وموضع، فالقول الأول جدّ، والثانى قلته فى ربابة جاريتى، وأنا لا آكل البيض من السوق، و ربابة هذه لها عشر دجاجات

١٦١- مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ١٣٨/٤-١٣٩.

١٦٢- سر الفصاحة، ١٨٩، ١٥٩.

و ديك فهي تجمع لى البيض وتحفظه عندها، فهذا القول عندها أحسن من قول امرىء القيس :

قِفَانَبِكِ مِنْ ذَكَرَى حَيْبٍ وَمَنْزَلِ

عندك^{١٦٣}.

قال بشر بن المعتمر : « والمعنى ليس يشرف بان يكون من معانى الخاصة، وكذلك ليس يتضع بان يكون من معانى العامة » .

وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال^{١٦٤}.

فإصابة المعنى و وقوعه فى موضعه من البلاغة، وخلافها قبيح يخل بها، ولهذا عيب على ابي نواس قوله فى صفة الأسد :

كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا نَظَرَتْ °
بارزة الجفن ، عينٌ مخنوق
لأنه وصف عين الأسد بالجحوظ وهى توصف بالغرور . قال الراجز :
« كأنما ينظر من خرق حجر » .

وعلى ابي تمام قوله :

رَقِيقٌ حَوَاشَى الْحَلَمِ لَوْ أَنَّ حَلْمَهُ بِكَفِيكَ ، مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدٌ °
لأنه لا يوصف الحلم بالترقة بل بالرزانة والرجحان^{١٦٥}.

إعلم إنك إذا تأملت ما قيل فى تحديد البلاغة وتفسيرها رأيت ان قول ابن المقفع أجمع وأشمل من غيره، حتى ممّا ذكره القزوينى الذى لوحظ فيه ناحية الفن والعلم بوضوح . لأننا إذا وقفنا عند تفسير مطابقة الكلام لمقتضى الحال والمسائل التى انتهت إليها أبحاثهم فى علمى المعانى

١٦٣ - الأغانى ٣ / ١٥٦ .

١٦٤ - البيان والتبيين ١ / ١٣٦ .

١٦٥ - الصناعتين ١١٨ - ١١٩ .

والبيان، وجدنا أنهم يعنون من الكلام ما يرادف الجملة التي هي جزء من اجزاء البيان وعنصر من عناصر التعبير . كأن المطابقة تنحصر فيها، والبلاغة تختص بها، فدرسوا الجملة وعناصرها خبراً وانشاءً، فصلاً ووصلاً، تعريفاً وتنكيراً، ذكراً وحذفاً في علم المعاني، والتشبيه والمجاز والكنية والتعريض في علم البيان .

فهذه الدراسة التي لا تتجاوز الجملة والصورة قاصرة في مجال البلاغة، لأنها لا تنحصر فيهما، إذ البيان أو التعبير ليس كله الجملة والصورة . فهناك غيرهما الحرف والكلمة والعبارة والفنون الأدبية شعراً أو نثراً، كالخطابة والرسالة والوصف والجدل وغيرها، والأسلوب . فالمطابقة لمقتضى الحال كما تعتبر في الجملة تعتبر فيها جميعاً، فلا تتم البلاغة والبراعة في بيان إلا إذا لوحظت تلك المطابقة في جميع عناصره وأجزائه . لقد سبق أن الكلمة تحمل معها اضافة على معناها اللغوي إيجاءات كثيرة، فإذا صدرت من البليغ والعارف بمواضعها واستعملت على هدى من العقل والبراعة وقعت في موقع لا يسد مسدها غيرها، حتى انها تكون أبلغ كلمة وأحسن لفظة بذلك المقام .

قال ابن رشد : « وإنما صارت الألفاظ والاصوات تفعل في هاتين الصناعتين - الخطابة والشعر - هذا الفعل من أجل أنها تخيل في المعنى رفعة أو خسة، وبالجملة أمراً زائداً على مفهوم اللفظ، مثل غرابة اللفظ فانها تخيل غرابة المعنى، وكذلك فخامته تخيل فخامة المعنى . والنغم كذلك يفيد فيه هذا المعنى»^{١٦٦}.

فلا أو افق ما يقال من ان المطابقة لمقتضى الحال لا تتأني في الكلمة ،

وأن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة^{١٦٧}، الا ترى ان لفظه «ضيزى» فى قوله تعالى: «ألكم الذكر وله الأثنى، تلك إذا قسمة ضيزى» أبلغ كلمة من حيث مطابقتها لحال المخاطبين الذين يدعون على الله شيئاً نكراً وغريباً. أمّا البلاغة عند ابن المقفع فهى أبسط آفاقاً وأوسع اجواء، لشمولها موارد متعددة من التعبير، واعتبارها فى عناصر كثيرة من البيان، حتى انها تحظم قوالب اللفظ وتلتقى مع قوالب أخرى كالسكوت والاستماع والاشارة، فربما تجد فيها معنىً وغرضاً لا تجدها فى الكلام والألفاظ. لما مات الاسكندر وقف عليه بعض اليونانيين فقال: قد طالما وعظنا هذا الشخص بكلامه، وهو اليوم لنا بسكوته أوعظ، وقال ابو العتاهية:

وكانت° فى حياتك لى عظات° و أنت اليومَ أوعظُ حياً

وأحسن وأبلغ من هذا الكلام كله قوله تعالى^{١٦٨}: «وان° من شىءٍ إلا° يُسبح بحمده، ولكن لا تفقهون° تسبيحهم»^{١٦٩}.

فلا بن المقفع الفضل فى هذا المجال، وله السبق فى هذا المضمار. وبلغاء العرب فى البلاغة أقوال تشبه ما قال بلغاء العرب فى اجمال المعنى وبعد الاشارة. قال لاهارب^{١٧٠}: «البلاغة هى التعبير الصحيح عن عاطفة حق».

١٦٧- المثل السائر، ٧٠.

١٦٨- بنى اسرائيل، ٤٤.

١٦٩- الصناعتين، ١٥.

١٧٠- لاهارب Lahrpe ناقد فرنسى اشتهر بدروسه الأدبية التى

القها فى الليسية وجمعها فى مجلدين بعنوان (ليسية) ولد سنة ١٧٢٩ و

توفى سنة ١٨٠٣.

وقال سورين^{١٧١}: «هي الفكرة الصائبة، ثم الكلمة المناسبة» .
 وقال لابرويير^{١٧٢}: «هي نعمة روحية تولينا السيطرة على النفوس» .
 وتخيّلها^{١٧٣} سنيك إلهاً مجهولاً في صدر الإنسان .
 ويستخلص مما قيل في تحديد البلاغة وتفسيرها ان البلاغة ملكة
 يؤثر بها صاحبها في عقول الناس وقلوبهم من طريق الكتابة أو الكلام، أو
 غيرهما كما اشار إليه ابن المقفع .
 فالتأثير في العقول عمل الموهبة المعلمة المفسرة، والتأثير في القلوب
 عمل الموهبة الجاذبة المؤثرة وترجع الى هاتين الموهبتين عملية الإقناع و
 تحريك النفوس وبعث الهمم وتنشيط الطباع^{١٧٤} . وليس كل كاتب أو أديب
 يملك هاتين الموهبتين، الموهبة نور يقذفه الله في قلب من يشاء . قال جورج
 ديهاميل : «وأنا استطيع ان أعدد الكتاب الذين يملكون أن يجعلوني أشعر
 بالجوع . فلقد يتحدث بعضهم عن كل أنواع الطعام والولائم، ولقد
 يصفون الصيد واللحوم و... ولكنهم لا يملكون إلا في النادر موهبة
 تحريك أعصاب معدتي واثارة غددها، وعلى العكس من ذلك ديكنز
 Dickens فهو مدهش في هذه المسألة ... لست أدري ماذا يعمل لكى
 يسيل لعابى فهو ليس بحاجة الى أى احتيال . انه يملك الموهبة»^{١٧٥} .

١٧١- سورين Sourin شاعر درامى ولدومات فى باريس سنة
 ١٧٨١ .

١٧٢- لابرويير Jean de la Bruyere كاتب اخلاقى فرنسى
 ولد فى باريس سنة ١٦٤٥ وتوفى بفرساي سنة ١٦٩٦ .
 ١٧٣- سنيك Senekue احد علماء البيان فى رومة و والدسنيك-
 الفيلسوف، ولد فى قرطبة سنة ٦١ قبل الميلاد وتوفى سنة ٣٠ بعده .
 ١٧٤- دفاع عن البلاغة، ٣٣-٣٤ .
 ١٧٥- دفاع عن الأدب ١٨٢ .

وهذه الموهبة ترتكز على ركنين قويين لا ثالث لهما، الاول : الطبع الموهوب الذى يشمل ملكات النفس الأربع، وهى الذهن الثاقب، والخيال الخصب، العاطفة القوية، والأذن الموسيقية . ويلزم وجود هذه الملكات فى البليغ، ولا حيلة فى ايجادها لغير الخالق .

الثانى : العلم المكتسب وادمان قراءة روائع عباقرة الفن والبيان و مطالعة نتائج قرائحهم واذواقهم، وتقليب آثارهم الرفيعة وآدابهم البليغة . فآلة البلاغة فى الحقيقة الطبع الموهوب والعلم المكتسب^{١٧٦}، فلا الطبع يعنى من العلم ولا العلم يعنى من الطبع .

والحاصل ان البلاغة هى التأثير فى العقول والقلوب، وايقاظ الشعور والاحساس، واخراج الطبع من السأم والفتور، والبلوغ الى قرارة النفوس، والاستيلاء على مقاومة هوى السامع و رأيه، ونقله عن حالته وامتلاك قلبه، او ان شئت فقل : البلاغة ما يحمل معه هذه الصفات . روى أن بشارا كان شاهدا حينما انشد ابو العتاهية هذه الأبيات فى مدح المهدي :

أَتَتْهُ الْخِلاَفَةُ مُنْقَادَةً	إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ	وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرَهُ	لَزُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالُهَا
وَلَوْ لَمْ تَطْعَهُ نِيَاتُ الْقُلُوبِ	لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالُهَا

فلما سمعها قال : انظروا الى امير المؤمنين هل طار عن اعواده^{١٧٧}؟
فالبلاغة تعنى بالقلوب كما تعنى بالعقول، وتعنى الشعور والإرادة

١٧٦- دفاع عن البلاغة ٤٤ .

١٧٧- المثل السائر ١/١٧٧ .

كما تغذى الفكر، وتخطب خالى الذهن كما تخطب المسبوق بالإصرار أو الميل أو العزم، وتتوجه الى فاطر الطبع غير ناشط لحديث وغير مرتاح الى رأى، كما تتوجه الى من لا ينكر كون الأمر حقا ولكن يستثقله، ولا يشك فى فضيلته ولكن يسترذله، ولا يتردد فى كونه عدلا ولكن يخيل إليه انه يعارض نفعه ويصادم هواه . فهى فى كل من هذه المجالات تلبس ثوبا يناسبها، وتتلون بلون يلائمها، وتتأتى على شكل يرافقها . إذ الحالات النفسية التى تعرض للمخاطب أو السامع مختلفة، والمقاومة فى هواه و رأيه أيضا متفاوتة فأحيانا تكون فاعلة كالمخالفة والإنكار، واعتساف الحكم، وخطل الرأى الثابت باستمرار العادة، وفساد الوهم القائم على قوة القرينة . وحينئذ يلزم ان تتعاون قوى العقل على كسر هذه المقاومة من طريق البرهان .

وقد تكون المقاومة منفعله كالجهل أو الشك أو خلو الذهن ، ففى هذه الصورة لا يحتاج المتكلم فى قهرها الى الوسائل البلاغية القوية .
وقد تكون المقاومة ضعيفة او معدومة من جهة العقل، وقوية من جهة النفس، فجهد البلاغة هنا يجب ان يوجه الى ناحية النفس بالتأثير، لا العقل بالإقناع والاثبات .

وإذا كان السامع أو المخاطب سائما غير مرتاح، يجب على صاحب البلاغة ان يوشى الحقيقة بخياله، ويحيى الاسلوب بروحه حتى يدفع عنه السأم ويحرك فيه النشاط . وفى هذه الحال يظهر فضل البلاغة على الفلسفة .
والأحوال المعروضة أو المفروضة للمخاطب أو السامع ما هى إلا انفعالات العواطف فى النفس، أو اتجاهات الخواطر فى الذهن، وليست

مقتضياتها إلا الصور التي يهتدى إليها البليغ بطبعه و ذوقه فيؤثر في تلك العواطف والخواطر كيفما يشاء^{١٧٨}.

فالصور التي يهتدى إليها البليغ، وصياغة الكلام على حسب ما يقتضيه المقام، وتنسيق الأفكار وترتيبها في قالب يليق بحال المخاطب أو السامع، شيء يحتاج إلى مراعاة أمور عدة، وملاحظة أسباب مختلفة من مثل حالات النفس، والفنون الأدبية، والجملة، والصورة، وقواعد النحو وغيرها. فالنظم البليغ والكلام البارع، ما كان مبنياً على مراعاة هذه الأمور، ومتكناً على العناية بهذه الأسباب. فليس الكلام البليغ مولود مراعاة النحو فقط، ولا لفضله ونقصه مقصوران عليه، إذ لكل من تلك الأسباب دخل في فضل التأليف أو النظم.

ولكن الشيخ يعتقد أن النظم نتيجة ملاحظة قواعد علم النحو وأن المزية راجعة إلى رعاية هذه القواعد. فقال: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه و أصوله ... فليست بواجب شيئاً يرجع صوابه أن كان صواباً وخطؤه أن كان خطأ إلى النظم ... إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه و وضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له»^{١٧٩}.

نعم إن كثيراً من نواحي النظم كالتقديم والتأخير، والتعريف والتذكير، والحذف والتكرار، والإضمار والأظهار، والفصل والوصل، ووجوه الخبر والشرط والجزاء والحال، وتمييز الأدوات بعضها من بعض

١٧٨- دفاع عن البلاغة ٣٥-٣٧.

١٧٩- دلائل الإعجاز، ٦٤-٦٥.

يرجع الى النحو، ولكن هناك نواحي أخرى كتوشية الحقائق بالخيال، والنبض بالقوة والحياة، والملازمة بين اللفظ والموضوع، وموسيقى الكلمات وتموجات الاصوات . فهذه النواحي لا تتصل بالنحو كما ان الصواب او الخطأ فيها لا يرجع إليه، وإتتها يتولاها الموهبة والطبع والدوق .

ويمكن أن يقال إن عبد القاهر لا يفهم من «النحو» علم الإعراب بل يريد منه العلم بالوصف الموجب للإعراب، ولهذا يتحول «النحو» عنده علماً بلاغياً يستحق الإهتمام والمجد عند طلب المزايا في النظم . وايضا انه لا يريد «ان يبدد كل جمال في سبيل هذا «النظم» المبني على مقتضيات علم النحو، كالجمال اللغوي، والجمال المعنوي، والجمال التصويري المبني على الاستعارة والتشبيه، انما يريد منك مع اقراره بهذا الجمال التراجع الى عدة نواح في البلاغة، ان تراعى معه النظم وان تجعل الفضل له في النهاية، لأن مزية النظم تفوق كل المزايا الجمالية»^{١٨٠}.

موضوع البلاغة :

إذا راجعت كتب القدماء في البلاغة رأيت ان مباحثهم تدور حول الجملة والصورة الادبية، حتى انهم لما انتهوا إلى ان البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال لم يخطوا خطوة الى الامام . فحاموا حول ما حام عليه أسلافهم، ودرسوا الجملة وما يعرض لها في علم المعاني، والصورة و ما يتنوع منها في علم البيان، كأن موضوع البلاغة ينحصر فيهما، ومباحثها لا تتجاوز عنهما .

ولقد عرفت عند رأى ابن المقفع في البلاغة ان آفاقها واسعة، وان مسائلها تتناول قوالب مختلفة من التعبير والبيان، وتجرى في طبيعة الجنس الأدبي كما تجرى في أجزاءها. فموضوع البلاغة لا يختص بالجملة والصورة، لأنهما جزء من أجزاء الجنس الأدبي، الذي لا يكتمل الحكم عليه - كما قال ارسطو - إلا بالنظر إلى طبيعة الجنس الأدبي والموقف عامة^{١٨١}. فإذا ندرس في عملنا هذا، ثلاثة أشياء :

١- الجملة .

٢- الصورة .

٣- الأسلوب .

ونخص كلا منها بباب يخصه . فلاندعى هنا اننا نأتى بما هو كامل، لأن الكمال ليس إلا لله وحده، بل نقول: ان ما لا يدرك كله لا يترك كله.

فائدة علم البلاغة :

لهذا العلم فوائد جلييلة، منها معرفة دقائق العربية والحصول على أسرارها . ومنها كشف القناع عن وجوه نكت كثيرة في اعجاز القرآن . و منها تمييز الجيد من الرديء والصواب من الخطأ، من البيان . ومنها تذوق روائع الأدب وتعرف مدى نجاح الأديب وتوفيقه . ومنها الإهداء إلى مخاطبة الاشخاص بما يليق بحالهم . ومنها التعبير عن المراد بحيث يبلغ قرارة نفس السامع والمخاطب .

قال الأستاذ أحمد الشائب : «ان علم البلاغة نافع للأديب والناقد

والمؤرخ، ولكلّ كاتب أو متكلم أو خطيب أو مدرس . فانه ينير السبيل
امام هؤلاء جميعا ويعينهم على ان تكون آثارهم اللغوية مفيدة مؤثرة،
ممتعة تغذي العقول والشعور والأذواق»^{١٨٢}.

الباب الاول فى الجملة

الفصل الأوّل : منزلة الجملة عن الدلالة والبيان

إعلم إن الإنسان لا يعلم حاجة أخيه، ولا يهتدى الى ضمير صاحبه ، ولا يعرف ما فى قلبه، ولا يدرك حبه وبغضه، علمه وجهله، صدقه وكذبه ، قبوله و انكاره ، إلا من طريق الامارات والبيان . فالمعاني القائمة فى صدور الناس، والمفاهيم المتصورة فى اذهانهم، والمطالب الموجودة فى نفوسهم، والأفكار المتعلقة بخواطرهم، تبقى مستورة خفية، بعيدة مجهولة، ومحجوبة مكنونة لا تعرف ولا تدرك . وانما تكشف القناع عن وجوه تلك المعانى القرائن والدلالات، وانما يحيى تلك المفاهيم ذكرهم لها و اخبارهم عنها .

لم تعرف سرائر القلوب، ولم يتم التفاهم بين الناس ولم يتعارفوا ، ولم يبلغوا ذروة العلوم والمعارف ولم يتمكنوا تبادل الافكار والتجارب إلاّ من طريق الدلالة والبيان . فكلما كانت الدلالة أوضح كانت المعانى اظهر، والبلوغ الى قرارة النفوس أيسر .

الدلالة والبيان :

الدلالة هى كون الشئ بحيث يلزم من العلم به العلم بشئ آخر ،

والشيء الأول يسمى التّال أو الدليل، والثاني المدلول .

تنقسم الدلالة عند الجاحظ الى خمسة أقسام :

الأول — دلالة اللفظ، وهي ما تعتمد على مقطع من الصوت، و

تستخدم للإبانة عن المفاهيم اللفظ الذي يمتاز به الإنسان من غيره .

الثاني — دلالة الإشارة ، فتكون باليد والرأس والعين والحاجب

والمنكب، كما تكون بالسيف والثوب إذا تباعد الشخصان .

و رافع السيف والسوط قد يتهدّد بهما، فيكون رفعهما زاجرا و

مانعا كما يكون وعيدا وتحذيرا .

ويجد الشخص في الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح،

معوثة كبيرة في أمور يسترها على بعض الناس او يخفيها من جلسائه .

قال الشاعر في دلالة الإشارة :

اشارتْ بَطرفِ العين خيفةً أهلها

فأيقنتُ أن الطرف قد قال مرحبا

وقال الآخر :

العينُ تبدى الذي في نفس صاحبها

والعينُ تنطق والأفواه صامتة

الثالث — دلالة الخط، فكفاك في فضيلته قوله تعالى: «اقرأ وربك

الأكرمُ الذي علّم بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يعلم»^٢. وقوله عزّ من

قائل : «ن، والقلم وما يسطرون»^٣.

ومما يدل على الاهتمام بشأن الخط ما قالوا في وصف القلم :

١ — القلم أحد اللسانين .

٢- القلم أبقى اثرأ واللسان اكثر هذرا .

٣- اللسان مقصور على القريب الحاضر ، والقلم مطلق فى الشاهد والغائب، وهو للغاير الحائن مثله للقائم الراهن .

الرابع - دلالة العقد، وهو الحساب دون اللفظ والخط . والدليل على فضيلته قوله عز وجل : «الرحمن، علّم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان»^٤، وقوله تعالى : «هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق»^٥ .

والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جلييلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب فى الآخرة.

الخامس - دلالة النصب، والمراد بها الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشييرة بغير اليد . وذلك ظاهر فى خلق السموات والأرض، وفى كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، و زائد وناقص . فالدلالة فى السموات الجامد كالدلالة فى الحيوان الناطق، ولذلك قيل : «سل الأرض فقل : من شق أنهارك وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا» .

وقال خطيب بجانب الاسكندر وهو ميت : «الاسكندر كان امس انطق منه اليوم، وهو اليوم او عظم منه امس»^٦.

واما البيان - فهو ما يدلّ به على المعنى، ويعبر به عن المراد، و

٣- القلم، ١ .

٤- الرحمن، ١-٥ .

٥- يونس، ٦ .

٦- البيان والتبيين ١/٧٦-٨٤ .

يتوسل إليه في معرفة الحقائق . فباي شيء يتمكن الانسان على فهم المقاصد وافهامها ، فهو البيان كائنا ما كان نوعه وجنسه . «لأن مدار الامر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع ، انما هو الفهم والإفهام»^٧.

فإذا كان البيان هو ما يدل به على المعنى، فهو يتفق مع الدليل و يصدق على ما يصدق عليه الدليل، فتجرى فيه الأقسام التي تجرى في الدلالة كائنا ما كان عددها . فترى ان البيان عند الرمانى اربعة اقسام : كلام، و حال، وإشارة، وعلامة^٨. كأن اقسام الدلالة عنده لا تتجاوز هذه الأربعة .
والذى يهتم به البليغ من أصناف الدلالات وأقسام البيان، ويعتمد عليه الأديب فى فنونه، ويرتكز عليه الخطيب فى ترغيبه وترهيبه، هو ما يرجع الى اللفظ ويمتد إليه . إذ به يكمل البيان وينتهى الى حد الإعجاز ، وفيه يصح الإتيان بالسحر الحلال .

فمن آحاد البيان اللفظى وما يرجع الى دلالة الالفاظ «الجملة» او ان شئت فقل : الجملة هى من صميم البيان اللفظى والعمدة فيه، لأن البيان كما يكون بالجملة يكون باسم اوصفة، لكن دلالتها متناهية بخلاف دلالة الجملة المعتمدة على التأليف فليس لها نهاية .

الجملة وعناصرها :

الجملة، هى عبارة تشتمل على نسبة تامة بين طرفين يسميان مسندا و مسنداً إليه . كقوله (ص) : خير الناس أنفعهم للناس . وقوله ايضاً : لا يقضين احدكم وهو غضبان . «فخير الناس» فى المثال الاول و «احدكم»

٧- المصدر نفسه ١/٧٦ .

٨- النكت فى إعجاز القرآن، ١٠٦ .

- فى الثانى مسند اليه، و «انفعهم» فى الأول و «لا يقضين» فى الثانى مسند .
وتتكوّن الجملة من عناصر ثلاثة :
- ١- الإسناد، وهو النسبة التامة بين الطرفين .
 - ٢- المسند إليه، ويسمى المنسوب إليه .
 - ٣- المسند، فيسمى المنسوب ايضا .

موارد المسند إليه :

يأتى المسند إليه على الصور التالية :

- ١- صورة الفاعل، مثل قوله تعالى : «وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى»^{١٠} . وقوله ايضا : «أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم»^{١١} ؟
وقال جرير :
- فهيها هيهات العقيق ومن به هيهات خلّ بالعقيق نواصله
- ٢- صورة نائب الفاعل، كقول النبى (ص) : «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» . ونحو ما مخلّد بالدنيا ديّار .
- ٣- صورة المبتدأ^{١٢}، كقوله تعالى : «وجزاء سيئة سيئة مثلها»^{١٣} .

٩- فالإسناد كما يجرى فى الخبر يجرى فى الانشاء ، فاذا انتهى الى الحكم بثبوت شئ لشيئ او نفيه عنه، سمي الكلام المشتمل عليه خبرا وفى غير ذلك انشاء ، فالخبر يلزم الحكم والايقاع او النفى والانتزاع، واما الانشاء فهو خال منها، فالخبر تصديق والانشاء تصور. (راجع المطول، مبحث الاسناد الخبرى، وآخر مبحث الانشاء، وعروس الافراح فى الاسناد الخبرى) .

١٠- القصص، ٢٠ .

١١- مريم، ١٩ .

١٢- فالمبتدأ اعم من ان يكون مبتدأ فى الاصل والحال، او مبتدأ

وقوله ايضاً : «إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»^{١٤}.

موارد المسند :

يقع المسند على الصور الآتية :

١- صورة الخبر، اعم من ان يكون خبراً في الاصل والحال، للمبتدأ او لغيره، كقوله عز وجل : «جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ عَدْنٌ»^{١٥} . و قوله ايضاً : «كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا»^{١٦} . او خبراً في الاصل فقط، كقوله تعالى : «و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون»^{١٧} .
٢- صورة الرفع للفاعل او نائبه، وهذا الرفع قد يكون فعلاً ، كقوله تعالى : «وينصرك الله نصراً عزيزاً»^{١٨} و قوله : «قتل الإنسان ما اكفره»^{١٩} .

وقد يكون صفة مبتدأة كما مرّ في : «أراغب» و «ما مخلّد» وقد يكون مصدرًا ومفعولاً مطلقاً، نحو سعيًا وراء الخير . كما قد يكون اسم الفعل، نحو : هيهات الحرّان يدوم على التّذل .
وتعرض للجملّة باعتبار كلّ من تلك العناصر احوال واعتبارات ،

→

في الاصل فقط .

- ١٣- الشورى، ٣٩ .
- ١٤- مائدة، ٧ .
- ١٥- البينه، ٨ .
- ١٦- الفتح، ١٢ .
- ١٧- آل عمران، ١٦٩ .
- ١٨- الفتح، ٣ .
- ١٩- عبس، ١٧ .

فيلزم على صاحب البلاغة الاهتمام بشأنها، والاعتناء بامرها، وتطبيق الكلام على مقتضاها .

واما باعتبار الجملة كلها، لاسيما إذا انتظمت مع اخرى، فتعرض لها مناسبات اخرى تستحق الالتفات إليها والعناية بها أيضا^{٢٠}.

الفصل الثاني : الجملة الخبرية

تنقسم الجملة من حيث انه يقصد بها حكاية شيء في الخارج ام لا ، الى قسمين : خبرية وانشائية .

فالخبرية، ما كان لنسبته خارج قصدت حكايته، كقولك : اثار التريخ الغبار . فاثارة التريخ للغبار او عدمها شيء موجود في الخارج، سواء تلفظت بذلك الكلام أم لا . فإذا اخبرت به فلا تريد انشاء مدلوله في- الخارج، بل تقصد منها حكاية ذلك الواقع، وافادة المخاطب ما جرى في نفس الأمر .

فائدة الخبر :

يلقى الخبر في الأصل لافادة المخاطب او السامع شيئا لم يعلمه من قبل، فهذه الفائدة ان كانت راجعة الى منطوق الجملة وصلبها تسمى «فائدة الخبر» كما اذا اخبرت شخصا بخبر لم يكن عالما به، كأن تقول له : غزوة بدر وقعت في اليوم السابع عشر من شهر رمضان .

وان كانت الفائدة راجعة الى وراء منطوق الجملة وممتنها، تسمى «لازم فائدة الخبر» كأن اخبرت شخصا بخبر كان معلوما له، وقصدت به افادة المخاطب انك عالم بذلك الخبر ايضا .

وقد تخرج الجملة الخبرية عن اصلها فلا يقصد بها الإخبار والاعلام، فتزد لأغراض اخرى سوى افادة الحكم او لازمه، تعرف بالذوق من- السياق والقرائن . منها :

١- اظهار التحسر، كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران : «ربّ إني وضعتها أنثى»^{٢١}. فانها كانت ترجو ان تلد ذكرا، ولكن خاب رجاؤها وتقديرها .

٢- اظهار الضعف والخشوع، كقوله عزوجل حكاية عن زكريا عليه السلام : «ربّ، إني وهن العظم مني»^{٢٢}.

٣- التذكير بتفاوت المراتب، كقوله تعالى : «لا يستوى القاعدون من المؤمنين»^{٢٣} فهذه الآية تذكّرة بتفاوت عظيم بين مرتبة القاعد والمجاهد، حتى يتأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته^{٢٤}.

٤- الاستعطاف والاسترحام، كقول الشاعر :

الهي عبدك العاصي أناكا مقرأ بالذنوب وقد دعاكا
٥- اظهار الفرح بمقبل والشماتة بمدبر، كقوله تعالى : «جاء الحق و زهق الباطل»^{٢٥}.

٢١- آل عمران، ٣٦ .

٢٢- مريم، ٤ .

٢٣- النساء، ٩٥ .

٢٤- المطول، ٤٣ .

٢٥- بنى اسرائيل، ٨١ .

٦- التحذير، نحو «أبغض الحلال الى الله الطلاق» .

٧- التوييح، كقولك للعائر : «الشمس طالعة»^{٢٦}.

فالجملة الخبرية فى الأمثلة المذكورة مستعملة فى معناها، لكن لا للاعلام والابخار الذى هو الاصل فيها، بل للأغراض أخرى غيره . فالظاهر ان هذا الاستعمال لا يعد من الحقيقة، بل من الكناية او المجاز المرسل^{٢٧} . لأنه جاء على خلاف الاصل الذى قررّه عرف البلغاء .

تقسيم الجملة الخبرية باعتبار حال المخاطب :

تنقسم الجملة الخبرية التى يقصد بها الاعلام والابخار، من حيث موقف المخاطب امام الغرض منها إلى أربعة اقسام .

١- ابتدائية، وهى ما كان المخاطب خالى الذهن من الحكم والتردد فيه، ففى هذه الحالة لا يحتاج الكلام الى التأكيد . كقول النبى (ص) : القناعة مال لا ينفد .

فالخبر إذا واجه الذهن الخالى والقلب الفارغ فكثيرا ما يتمكن فيهما ويتلقى بالقبول . فما أحسن قول الشاعر :

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

٢- طلبية، وهى ما كان المخاطب متردداً فى الحكم وطالباً له ، فيشتاق الى معرفته والوقوف عليه . فيحسن فى هذه الصورة تقوية الكلام بمؤكد من أدوات التأكيد، مثل إنّ وغيرها . نحو : «إنّ غنى نفسك

٢٦- راجع جواهر البلاغة، ٥٥ .

٢٧- راجع چلبى على المطول، ٣٥ .

في اليأس»^{٢٨}.

قال الشيخ في دلائل الإعجاز : «فإذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظن في خلافه البتة، ولا يكون قد عقد في نفسه ان الذي تزعم انه كائن غير كائن، وان الذي تزعم انه لم يكن، كائن، فانت لا تحتاج هناك إلى «إنّ» وانما تحتاج إليها إذا كان له ظن في الخلاف، وعقد قلب على نفسى ما تثبت، او اثبات ما تنفى . ولذلك تراها تزداد حسنا إذا كان الخبر بامر يبعد مثله في الظن، وبشئ قد جرت عادة الناس بخلافه»^{٢٩}.

٣- انكارية، وهى ما يقصد المخاطب خلافه وينكر الحكم الذى تضمنه الخبر ويقاومه بالرد . فيجب تقوية الكلام بالتأكيد، ويتفاوت التأكيد قلة وكثرة بحسب الانكار شدة وضعفا .

فكلما ازداد فى الانكار زيد فى التأكيد، كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى (عليه الصلاة والسلام) لما كذبوا فى المرة الأولى: «إِنَّا إِلَيْكُمْ مَرْسَلُونَ»^{٣٠} مؤكدا «بِإِن» والجملة الاسمية . وفى المرة الثانية : «رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمَرْسَلُونَ»^{٣١} مؤكدا بالقسم وان، واللام، والجملة الاسمية، لمبالغة المخاطبين فى الانكار^{٣٢}.

٢٨- هذا مصراع من قول ابى نواس :

عليك باليأس من الناس إن غنى نفسك فى اليأس

٢٩- دلائل الإعجاز، ٢٥٠ .

٣٠- ياسين، ١٤ .

٣١- ياسين، ١٦ .

٣٢- التلخيص مع المطول، ٤٧-٤٨ .

والأصل في التقسيم الى هذه الاقسام جواب ابي العباس^{٣٣} للكندى^{٣٤} المتفلسف لما ركب اليه وقال له : انى أجد فى كلام العرب حشوا حيث يقولون عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، وان عبد الله لقائم . فالمعنى فيها واحد والعبارات متكررة . فقال ابو العباس : بل المعنى ايضا متكرر، لان- الأول اخبار، والثانى جواب سؤال سائل، والثالث جواب عن انكار منكر^{٣٥}.

٤- تنشيطية، وهى ما كان المخاطب عارفا بمضمون الخبر، ولكن يستثقله، وعالما بغرضه وافادته ولكن اكتنفه الفتور والسامة فلا يجد فى نفسه ميلا و رغبة الى مضمون الخبر وتسلما له . فيجب على صاحب البلاغة فى هذه الصورة توشية حقيقة الخبر بالخيال والاستمداد من الصور البيانية، وبعث الحياة والقوة فيه، والاهتمام بما يؤثر فى النفس اكثر من العقل . كأن تقول لمن يعرف منزلة الصلاة فى التشريع الاسلامى ولكن يستثقلها : «الصلاة معراج المؤمن» .

فهذا القسم مما لم نجده فى الكتب البلاغية، ولكن أضفناه من عندنا متكئاً على الذوق والاستنباط .

اعلم أن تطبيق الكلام على تلك الأحوال التى اكتتفت المخاطب فى- الحقيقة ونفس الامر، يسمى اخراج الكلام على مقتضى الظاهر، «وانته فى علم البيان يسمى بالتصريح»^{٣٦}.

٣٣- هو اما ثعلب او المبرد، وكانا معاصرين .

٣٤- هو يعقوب بن اسحاق الكندى المترجم من نسل الأشعث بن قيس رضى الله عنه . وكان عظيم المنزلة عند المأمون وابنه احمد، وله نحو مائتى تأليف ما بين كتاب و رسالة فى جميع العلوم .

٣٥- راجع دلائل الاعجاز و ذيله، ٢٤٢ .

٣٦- مفتاح العلوم، ٨٢ .

وقد يلقي الكلام الى مخاطب لم تلاحظ حاله في الواقع، بل طبق-
الكلام على احوال إدعائية له، فيسمى ذلك التطبيق الإخراج على خلاف
مقتضى الظاهر، «وانه في علم البيان يسمى بالكنائية»^{٣٧}.

واخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر يأتي على وجوه :

١- تنزيل العالم بالخبر منزلة الجاهل ، او السائل، او المنكر، وairاد
الكلام مجردا عن التأكيد او مؤكدا، استحسانا أو وجوبا . كأن تقول لمن
تعرف وجوب الصلاة ولكن لايجرى على علمه : الصلاة واجبة ، او إن-
الصلاة واجبة، أو إن الصلاة لواجبة .

٢- تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، وتأكيد الحكم بمؤكد
استحسانا كقوله تعالى : «وما ابرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء»^{٣٨}
وقوله ايضا : «وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم»^{٣٩} او تنزيله منزلة-
المنكر إذا لاح عليه شيء من امارات الانكار، وتأكيد الحكم بمؤكد او
مؤكدات وجوبا . و ذلك مثل قول حجل بن نضلة القيسي :

جاء شقيق عارضاً رمحه إن بنى عمك فيهم رماح
فشقيق لا ينكر وجود الرمح في بنى عمه ، الا ان مجيئه واضعا
رمحه على العرض مما يوهم انه ينكر وجود السلاح فيهم .

٣- تنزيل المتردد منزلة خالي الذهن، او المنكر، وairاد الكلام
مجردا من التأكيد او مؤكداً وجوبا . كقولك للسائل عن الوحدة الاسلامية

٣٧- المصدر نفسه، ٨٣ . راجع لتوجيه هذه الكناية «المطول مع

حاشية السيد، ٥٢ .

٣٨- يوسف، ٥٣ .

٣٩- التوبة، ١٠٣ .

المنشودة : الوحدة الاسلامية قريبة، او إن الوحدة لقريبة .
 ٤- تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن، او المتردد، وايراد الكلام مجرّداً من التأكيد او مؤكداً استحساناً، إذا كان امام المنكر شواهد و دلائل إن ° تأملها ارتدع عن انكاره . كقولك لمنكر الاسلام : «الاسلام حق» من غير تأكيد، تنبيهها على ان الحكم واضح لا يستحق الانكار، وانه يوجد امام المخاطب قرائن و دلائل كثيرة على صحة الحكم، فيكفيه أدنى تأمل ودقة ٤.

تقسيم الجملة باعتبار الدوام والحدوث :

تنقسم الجملة من حيث إفادة الدوام والحدوث الى قسمين : اسمية وفعليّة .

فلاسمية، هي تركيب المتبداً والخبر، نحو : آفة العلم النسيان . فهذا النوع من الجملة يفتقد الثبوت بأصل الوضع، والدوام بحسب القرائن والمقام .

والفعليّة، هي تركيب الفعل مع فاعله او مع نائبه، نحو : يعيش البخيل عيشة الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء ٤ . فهي تفتقد التجدد والحدوث على أخصر وجه، لتضمنها الفعل الدال على الزمان بصيغته، فلا تحتاج الى اضافة قيد مثل كلمة امس، او الآن ، او غدا .

ليس فنّ من فنون الأدب، او صنف من صنوف البيان يختص بالجملة

٤- راجع المطول مع حاشية السيّد، ٤٩-٥٠ .

٤١- مقتبس من كلام علي (عليه السلام) .

الاسمية او الفعلية . بل انهما تتعاقبان وتتواردان في انواع البيان واقسام الأدب، غير ان الاسمية اكثر ملائمة للمدح والذم، ولوصف الأشياء الجامدة والحقائق الثابتة، كما ان الفعلية تناسب حكاية المعارك و وصف الحروب والقتال، وبيان المغامرات والبطولات .

فالجملة الفعلية تمتلىء بالقوة والحيوية، وتزخر بالحركة والجدة، فتدعو الى التغير والتطور، كما تنادى بالحدوث والتحول .

الفصل الثالث

في الجملة الإنشائية ، وفيه مباحث

المبحث الأول - في تعريف الإنشائية وتقسيمها :

الإنشائية ، ما لم يكن لنسبته خارج قصيدته حكايته، نحو : كونوا أحرارا في دنياكم . فانك لا تريد بهذا الكلام حكاية ما وقع في الخارج وما حدث في نفس الامر، بل المراد إحداث مدلوله، وهو طلب التعامل والتعايش بالحرية .

فان قصيدت بالكلام حكاية ما في الواقع والخارج، اعنى طلب التعايش بالحرية القائم بالنفس، صار الكلام خبرا مجازا . ومعناه حينئذ : انا طالب تعاملكم بالحرية في الدنيا^{٤٢} .

٤٢- راجع حاشية الدسوقي على المختصر ١/١٦٦ و ٢/٢٣٥ .

تقسيم الجملة الإنشائية :

تنقسم الجملة الإنشائية إلى قسمين : طلبية وغير طلبية . فالثاني ما كان خاليا من الاستدعاء والطلب، وذلك مثل جملة القسم، وجملة ربّ (انشاء التقليل) وجملة كم الخبرية (انشاء التكثير) وجملة افعال المقاربة الرجائية، وجملة افعال المدح والذم، وجملة صيغ التعجب، وجملة صيغ العقود .

فهذه الجمل لا تستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ولا تتطلب شيئا غير موجود عند التلفظ بها . فهي دائما خالية من الاستدعاء والطلب و ما يرجع اليها .

ولما كانت المباحث البيانية المتعلقة بها قليلة، وايضا ان اكثرها اخبار نقلت الى الإنشاء، لم يهتم بها البلاغيون ولم يدرسوها^{٤٣}.

والاول - وهو الطلبية - ما استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، اعم من ان يكون غير حاصل اصلا او غير حاصل في اعتقاد المتكلم، ضرورة امتناع تحصيل الحاصل . فاذا وردت الجملة الطلبية و كان المطلوب بها حاصلًا، أخرج ذلك الطلب على خلاف مقتضى الظاهر .

والمعروف ان الطلبية تتنوع الى خمسة انواع: الاستفهام، والامر، والنهي، والنداء والتمنى^{٤٤}. لأن المطلوب اما ممكن الحصول اولًا، والثاني التمني .

٤٣- المطول، ٢٢٤ .

٤٤- أما العرض والتخصيض، فهما مولدان من الاستفهام و راجعان

اليه .

والاول ، ان استدعى حصوله في ذهن الطالب، فهو الاستفهام . وان استدعى حصوله في الخارج، فان كان انتفاء فعل، فهو النهي . وان كان ثبوته، فان كان باحدى حروف النداء فهو النداء، والا فهو الامر^{٤٥}.

لم يتفق القوم على هذه الانواع، فمنهم من زاد قسما آخر وهو الترجي، ومنهم من ترك «التمنى» بناء على ان العاقل لا يطلب ما يعلم استحالته، و «النداء» بناء على ان طلب الاقبال خارج عن مفهوم النداء الذي هو صوت يهتف به الانسان وان كان يلزمه^{٤٦}.

البحث الثاني - الاستفهام :

الاستفهام، هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بادوات مخصوصة، اعنى : أ، هل، ما، من، اي، كم، كيف، أين، انى، متى وايتان .

وطلب حصول صورة الشيء يعم التصور والتصديق، لان المطلوب بتلك الادوات ان كان صورة وقوع نسبة بين امرين اولا وقوعها فهو تصديق، وان كان صورة الموضوع او المحمول او النسبة فهو تصور .

انقسام أدوات الاستفهام :

تنقسم ادوات الاستفهام باعتبار المطلوب بها الى ثلاثة أقسام :

- ١- ما يطلب به التصور والتصديق، وهو الهمزة .
- ٢- ما يطلب به التصديق فقط، وهو «هل» .
- ٣- ما يطلب به التصور فقط، وهو بقية أدوات السؤال .

٤٥- المطول، ٢٢٤-٢٢٧ .

٤٦- چلبى على المطول، ١٧٩ وحاشية الدسوقي ٢/٢٣٨ .

« أ »

تختص الهمزة بين ادوات الاستفهام باستعمالها لطلب التصور والتصديق. فهي تارة تستعمل لطلب التصديق بوقوع نسبة تامة بين الشئين، اذا كان اصل الحكم مجهولا عند المتكلم. كقولك في الجملة الاسمية: أشعبنا سعيد؟ وفي الجملة الفعلية: أفاض شعبنا؟

فالمطلوب بالهمزة في هذين المثالين حصول انقياد الذهن واذعانه بوقوع سعادة الشعب وفوزه، اولا ووقوعهما.

وتارة تستعمل لطلب التصور وادراك غير النسبة، كقولك في طلب المسند اليه على وجه التعيين. أعلى خطب اليوم ام سعيد؟ اذا كنت عالما بوقوع النسبة والقاء خطابة في جانب شخص ما، ولكنك جهلت المسند اليه على وجه التعيين. وفي طلب تصور المسند على وجه التعيين: أعلى في الصف ام في المكتب؟ اذا كنت عالما بوقوع النسبة وحصول على في واحد من المحلين لا على التعيين، فتطلب بهذا القول تعيين المسند.

فان قلت: ان مقتضى كون الهمزة في الامثلة المذكورة لطلب التصور وان المتكلم عالم بوقوع النسبة، تاختر التصور عن التصديق، مع انه قد تقرر في موضعه ان التصديق مسبق بالتصور.

قلنا: ان المطلوب بالهمزة التصور على وجه التعيين لا على سبيل الاجمال^{٤٧}، وهذا متأخر عن التصديق على سبيل الاجمال. وسبق التصور على التصديق انما يكون اذا جريا على وتيرة واحدة من الاجمال والتفصيل. فالتصديق بوقوع خطابة لعلى او سعيد لا على التعيين مسبق بتصور شخص ما، كما ان التصديق بوقوع خطابة لاحدهما معينا مسبق بتصور المسند اليه على التعيين.

فهناك تصور ان وتصديقان مختلفان في التعيين وعدمه، والاجمال والخصوصية . فالتصور والتصديق على وجه الاجمال في المثال المذكور حاصلان قبل السؤال، فلا يتوجه اليهما السؤال والاّ يلزم تحصيل الحاصل. واما التصور والتصديق على وجه التعيين فلا يتحققان الاّ بعد السؤال .

فان قلت اذا كان التصور والتصديق على وجه التعيين يتحققان بعد السؤال، فما وجه الاقتصار اذا على كون الهمزة لطلب التصور؟

قلت ان تصور المسند اليه او المسند على وجه التعيين هو المقصود للسائل، بقرينة أم المتصلة، وأما التصديق الخاص فهو حاصل غير مقصود^{٤٨}.

والفرق بين الاستفهام بالهمزة عن التصور والتصديق، من وجهين : لفظي، وهو ان الاستفهام عن التصور يصلح لأن يقع بعده «ام المتصلة» واما الاستفهام عن التصديق فلا يصلح الا «لام المنقطعة»^{٤٩}.

ومعنوي، وهو ان التردد والشك في الاستفهام عن التصور يرجعان الى تعيين احد طرفي الجملة، وفي الاستفهام عن التصديق يرجعان الى النسبة بينهما من حيث الثبوت او النفي^{٥٠}.

احكام الهمزة :

تختص الهمزة باحكام، منها :

٤٨- حاشية الدسوقي، ٢/٢٤٩.

٤٩- ومن الفرق بين المتصلة والمنقطعة، ان المتصلة تكون دائما مصاحبة للاستفهام، اما لفظا ومعنى نحو ازيد قائم ام عمرو؟ او لفظا فقط، نحو: سواء علىّ أرتنى ام هجرتنى . فالاستفهام فيه لفظي فقط .

واما المنقطعة فانها يصح ان لا يقع بعدها الاستفهام لالفاظا ولا معنى .

١- جواز دخولها على الجملتين : الاسمية والفعلية، ولكن دخولها على الجملة الفعلية أكثر .

٢- مجيئها - كما سبق - لطلب التصور والتصديق .

٣- ايلاء المسؤول عنه لها في طلب التصور أو التصديق، كقولك في السؤال عن الفاعل أو المسند إليه : أأنتَ قلتَ ؟ وفي السؤال عن المفعول : أربكَ نسيتَ ؟ وفي السؤال عن المسند : أتركتَ واجبكَ في حق أبنائكِ؟ إذا كنت عالما بوقوع النسبة، ولكن جهلت المسند على سبيل التعيين .

اما اذا جهلت أصل النسبة وأردت ان تسأل عنها، فتأتي بهذه الجملة ايضا في السؤال .

فإن قلت : ان ايلاء المسؤول عنه للهمزة في طلب تصور المسند او المسند إليه أو شيء من متعلقات الفعل ظاهر، إذ لكل منها لفظ يدل عليه و يمكن ايلاؤه للهمزة .

واما اذا كان المطلوب بها التصديق، فأمر ايلاء المسؤول عنه للهمزة غير ظاهر، لانه ليس للنسبة لفظ واحد يخصها حتى يمكن ان يلي الهمزة . واجيب بانه لما كان الغرض من السؤال بالهمزة عن التصديق، السؤال عن حال النسبة وهي جزء من مدلول الفعل، فناسب ان يجيء الفعل الهمزة في هذه الصورة ايضا كما يقع بعدها في صورة السؤال عن المسند^{٥١} .

ولكن اقول : ان اللفظ الدال على النسبة او التصديق، هو مجموع المسند والمسند اليه، فلانسلم ان امر الايلاء عند السؤال عن النسبة غير

→

(راجع عروس الافراح ٢/٢٤٧) .

٥٠- حاشية الدسوقي، ٢/٢٤٨ .

٥١- راجع حاشية الدسوقي ٢/٢٥٣ .

ظاهر، لانه كما يتحقق امر الايلاء في طلب التصور بايلاء لفظ المسند او المسند اليه للهمزة، يتحقق في طلب التصديق بايلاء مجموع ما يدل عليهما للهمزة . ولا فرق في ذلك بين ان يتقدم المسند او المسند اليه، اذ المراد بالايلاء للهمزة في السؤال عن التصديق، ان لا يقع بعد الهمزة شيء آخر غير المسند او المسند اليه من قبيل متعلقات الفعل .

٤- جواز دخولها على المبتدأ والمنفى، كقوله تعالى: «أأنت قلت للناس...؟» و «ألم أعهد إليكم؟»^{٥٣}.

٥- جواز حذفها، سواء تقدمت على ام كقول عمر بن ابي ربيعة :
بدالى منها معصم حين جمرت ° وكف خضيب ° زينت ° بينان
فوالله ما أدري وان كنت دارياً ° بسبع رمين الجمر ام بثمان
فأراد أبسبع رمين ام بثمان ؟
او لم تتقدمها، كقول الكميث :

طربت ° وماشوقا الى البيض أطرب ° ولا لعبا منى، و ذوالشيب يلعب ؟
اراد : أذوالشيب يلعب ؟

٦- تمام التصدير، وذلك لأنها لا تذكر بعد «ام» للاضراب كما يذكر بعدها غيرها .

ولأنها تقدم على العاطف إذا كان واوآ، او فاء، او ثم . نحو : أولم ينظروا ؟ أفلم يسيروا ؟ أثم إذا ما وقع آمنتهم ؟
واما بقية أدوات السؤال فتتأخر عن حروف العطف^{٥٤}.

٥٢- المائة، ١١٦ .

٥٣- يس، ٦٠ .

٥٤- راجع معنى اللبيب، ٦٥ .

«هل»

تمتاز «هل» بين أدوات السؤال بأنها لطلب التصديق فقط، نحو :
هل قدم المسافر؟ فى الجملة الفعلية، وهل سيويه مدفون بشيراز؟ فى
الجملة الاسمية .

ف «هل» فى هذين المثالين تفيد أن اصل الحكم فيهما غير محقق -
الثبوت عند المتكلم، فيشك فى ثبوت القدوم للمسافر وكذا فى دفن سيويه
بشيراز، فيستفهم بها ليحصل التصديق عنده .

ولأن اصل «هل» لطلب التصديق وافادة ان اصل الحكم مجهول عند
المتكلم، وجب ان لا تكون الجملة التى سئل عنها ب «هل» بحيث تدل
على ان العلم بثبوت اصل الحكم حاصل . ويتفرع من هذا الاصل امران :
احدهما ، امتناع مثل هل فاز باللذة الجسور؟ ام الجبان؟ لان «هل» تفيد
ان اصل الحكم مجهول، ولكن «ام» المتصلة التى وقع بعدها المفرد ،
تدل على ان المطلوب بالاستفهام تعيين احدا المرين مع العلم بثبوت اصل
الحكم، فكيف يمكن الجمع بينهما .

والثانى، قبّح مثل : هل الكتاب قرأت؟ لان تقديم المفعول يدل
على ان اصل الحكم محقق الثبوت عند المتكلم وان المطلوب تعيين المفعول،
مع ان «هل» تتطلب حصول التصديق باصل الحكم، «فيكون» هل «طلبا
لحصول الحاصل وهو محال»^{٥٥}.

فإن قلت : لماذا حكم بقبح مثل : هل الكتاب قرأت، لا بالامتناع؟
قلنا: لانه يجوز ان يكون الكتاب مفعولا لفعل مقدر يفسره الفعل الظاهر^{٥٦}.

٥٥- المطول، ٢٢٨ .

٥٦- راجع المطول، ٢٢٨ .

أقسام هل :

تنقسم هل الى قسمين : بسيطة ومركبة .
 فالبسيطة، ما يطلب به وجود الشيء اولا وجوده، بمعنى انه «يطلب به ان يتعرف بهذا المطلب حال الشيء في الوجود المطلق، او العدم المطلق»^{٥٧}. كقولك : هل جزيرة العميان موجودة ؟ وهل الخلاء موجود ؟
 فالمطلوب في هذين المثالين وجود جزيرة العميان اولا وجودها، ووجود الخلاء اولا وجودها، فليس وراء وجود الموضوع شيء آخر .
 فالمعتبر بهذا المطلب ليس إلا شيئا واحدا في الحقيقة، ولهذا سمي بسيطة. ففيها يسأل عن التصديق بوقوع النسبة بين موضوع ما، ومحمول هو عين الوجود لذلك الموضوع^{٥٨}.

والمركبة، ما يطلب به وجود شيء لشيء آخر، اولا وجوده . بمعنى انه «يطلب به ان يتعرف هل الشيء موجود على حال ما، او ليس»^{٥٩} كقولك : هل الحرب منتهية في لبنان ؟ فالمسؤول عنه بهل في هذه الجملة وجود انتهاء الحرب، والمعتبر في هذا السؤال وراء الوجود شيان :
 الإِنتهاء والحرب .

فاذا لم يعتبر في البسيطة والمركبة الوجود، يبقى في الاولى شيء واحد وفي الثانية شيان، واما اذا اعتبر الوجود ففي الاولى شيان وفي الثانية ثلاثة أشياء . وعلى كل حال الاولى اقل^{٦٠} واخصر^{٦٠} من الثانية .

٥٧- النجاة، ٦٤ .

٥٨- مواهب، ١/٢- ٢٧٢ .

٥٩- النجاة، ٦٧ .

٦٠- راجع مواهب الفتاح ٢/٢٧٣ .

ويقال ايضا فى الفرق بين البسيطة والمركبة : ان الاولى يطلب بها وجود نفس الموضوع والثانية يطلب بها وجود المحمول، وان الوجود فى الاولى مقصود لذاته لانه محمول، وفى الثانية ليس مقصوداً لذاته، بل هو رابطة بين الموضوع والمحمول^{٦١}.

أحكام هل :

تختص «هل بأحكام، منها :

- ١- اختصاصها بالتصديق كما سبق .
- ٢- اختصاصها بالايجاب فى الجملة الفعلية والاسمية، لانها بمعنى قد . فلا يقال : هل لايشد الشعب ضالتهم ؟ كما لا يقال : قد لايشد الشعب ضالتهم .
- ٣- تخصيصها المضارع بالاستقبال كالسين وسوف، ولهذا لا يصح : هل تترك القتالَ والعدوَّ فى دارك ؟
- ٤- انها لا تدخل على الشرط، ولا على إنَّ، ولا على اسم بعده فعل فى الاختيار، بخلاف الهمزة . فالهمزة تدخل عليها، بدليل انه جاء فى القرآن الكريم :

الف - أفانٍ مِتَّ ففهم الخالدون^{٦٢} ؟

ب - أإنك لأنتَ يوسف^{٦٣} ؟

ج - أبشراً منّا واحداً نتبعه^{٦٤} ؟

٦١- راجع عبد الحكيم، ٣٣٥، وحاشية الدسوقي ٢/٢٧٢ .

٦٢- الانبياء، ٣٤ .

٦٣- يوسف، ٩٠ .

٦٤- القمر، ٢٤ .

٥- انها تقع بعد العاطف، وبعد «أم» كقوله تعالى : فهل يهلك إلا القوم الفاسقون^{٦٥} ؟ وقوله ايضا : هل يستوى الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوى الظلمات والنور^{٦٦} .

٦- مزيدا اختصاصها - بين أدوات الاستفهام - بالفعل^{٦٧}، فلا تخرج على خلاف هذا الاصل في الكلام البليغ إلا لنكتة، فهي في قوله تعالى : فهل أنتم شاكرون^{٦٨} ؟ أدعى لطب الشكر من قولنا : فهل تشكرون ؟ «لان ابراز ما سيتجدد في معرض الثابت أدل على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله . وكذا من قولنا : أأنتم شاكرون ؟ وان كانت صيغته للشبوت، لان هل أدعى للفعل من الهمزة، فتركه معها ادل على كمال العناية بحصوله . ولهذا لا يحسن : هل زيد منطلق ؟ الا من البليغ»^{٦٩}.

٦٥- الاحقاف، ٣٥ .

٦٦- الرعد، ١٦ .

٦٧- جاء في الكتاب : «وحروف الاستفهام كذلك بنيت للفعل إلا انهم قد توسعوا فيها فابتدؤا بعدها الاسماء ، والاصل غير ذلك . الا ترى انهم يقولون : هل زيد منطلق، وهل زيد في الدار، وكيف زيد اخذ ؟ فان قلت : كيف زيدا رأيت ؟ وهل زيد يذهب ؟ قبح ولم يجز الا في الشعر ، لانه لما اجتمع الفعل والاسم حملوه على الاصل ... واعلم ان حروف الاستفهام كلها يقبح ان يعبر بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم، لو قلت هل زيد قام ؟ واين زيد ضربته ؟ لم يجز الا في الشعر . فاذا جاء في الشعر نصبته الا الالف فانه يجوز فيها الرفع والنصب» (الكتاب ١/٥٢) .

٦٨- الانبياء، ٨٠ .

٦٩- الإيضاح ٢/٧-٢٦٨ .

٧- أنها عند ما يستفهم بها لا يترجح في نفس السائل اثبات ولا نفي، بخلاف الهمزة فإنها لا يستفهم بها حتى يهجس في النفس ما يستفهم عنه، كذا ذكر بعضهم^{٧٠}.

٨- انها تأتي بمعنى النفي ولذلك تقع بعدها «الإِ» كقوله تعالى: هل جزاء الإِحسان إلا الإِحسان^{٧١}. وتزاد بعدها الباء، كقول الفرزدق: أأهل أخو عيشٍ لذيذ بدائم؟

ويصح العطف في قول امرئ القيس:

وإن شفاى عبرة "مُهْرَاقَة" وهل عند رسمِ دارسٍ مِن معْوَلٍ
واما الهمزة، فإنها تأتي للإِنكار على من ادعى وقوع الشيء، لا للنفي. فيلزم من الإِنكار النفي، فيرادها للنفي بطريق الإستلزام^{٧٢}.

٩- انها تأتي بمعنى «قد» مجردا عن الاستفهام، فتفيد معنى التقريب او التحقيق او التوقع مثل «قد»، وفسروا بذلك قوله تعالى: هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر^{٧٣}.

وقال بعض: إن هل في الأصل بمعنى «قد» وليس من ادوات الاستفهام، وكان في الأصل «أهل» فمعنى الاستفهام جاء من الهمزة المذكورة

٧٠- راجع عروس الافراح ٢/٢٧١.

٧١- الرحمن، ٦٠.

٧٢- الإنكار على ثلاثه اوجه: الاول، انكار على من ادعى وقوع الشيء، ويلزم من هذا النفي. الثانى، انكار على من اوقع الشيء، وهذا ان الوجهان يختصان بالهمزة.

الثالث، انكار لوقوع الشيء، وهذا هو معنى النفي الذى تنفرد به هل عن الهمزة. (معنى اللبيب، ٤٦٠).

٧٣- الدهر، ١.

معه، ولكن لما كثر وقوع «هل» في الاستفهام تركوا الهمزة فاقيم هل مقامها^{٧٤}.

ماعداء الهمزة وهل :

لقد سبق ان الادوات التي تختص بطلب التصور فقط، هي ماعداء الهمزة وهل . فهذه الادوات وان كانت مشتركة في افادة التصور، الا انها مختلفة من حيث ان المتصور في كل منها غيره في الاخر . وندرس فيما يلي تفصيل ذلك، فنقول :

منها : «ما»

وهي تنقسم الى قسمين : شارحة وحقيقية^{٧٥}. فالشارحة، ما يطلب به شرح مفهوم اللفظ وبيان المراد منه . فان كان المطلوب بها بيان ما دل عليه اللفظ، والمعنى الذى وضع له، كان الجدير بالجواب ايراد لفظ اشهر . وذلك كأن تسمع لفظ «الخبب» ولكن لاتعرف معناه وما هو المراد به ، فتسأل عن معناه وتقول : ما الخبب ؟ فيجاب بأنه ضرب من العدو . وهذا البيان من صميم المباحث اللغوية، ومآله الى التصديق دون التصور^{٧٦}. وتسمى «ما» فى هذه الصورة، «ماللفظية» .

٧٤- راجع معنى اللبيب، ١٨٠-١٨١ والتلخيص مع شروحه، و

حاشية الدسوقي ٢/٢٦٠ .

٧٥- قال الحكيم السبزواري :

«فما» هو الشارح والحقيقى و ذو اشتباكٍ مع هل انيق

٧٦- راجع حاشية السيد على المطول، ٢٣٢ .

وان كان المطلوب بها «ماهيّة مفهوم الاسم المستعمل»^{٧٧} وتفصيل ما دلّ عليه الاسم اجمالاً، كان الجواب حدّاً بحسب الاسم او رسماً بحسب الاسم . و ذلك كقولك فى جواب ما الانسان؟ - قبل العلم بوجوده: حيوان ناطق، او حىّ مستقيم القامة عريض الازفار . وتسمى «ما» فى هذه الحالة، «ما الاسمية»^{٧٨}. فعلم مما سبق ان «ما الشارحة» ليست مختصة بطلب الحد الاسمى، وان كان الشايح ذلك^{٧٩}.

والحقيقية، ما يطلب به ذات الشىء، وحقيقته التى هو بها هو^{٨٠}. و ذلك، كقولك : ما الانسان فى وجوده ؟ اى ما حقيقته الموجودة .

ترتيب «ما» و «هل» عند السؤال :

اعلم ان «ما» و «هل» تأتيان عند السؤال على صلة وثيقة، و على نظام مرتبطة . «فالشارحة» تأتى مقدمة على «هل البسيطة»، ضرورة أنه لا يطلب وجود شىء لم يُعرف بصورة ما، ولم يُفهم لا بالاجمال ولا بالتفصيل. وتأتى هل البسيطة فى الترتيب مقدمة على «ما الحقيقية» اذ الوجود مقدم على الماهية وما الوجود له لا ماهية له . و «هل المركبة» متأخرة عن الجميع، لان ثبوت شىء لشىء فرع لثبوت المثلث له^{٨١}.

ويقال فى هذا الترتيب: ان «هل» تقع بين مائين، و «ما» تقع بين

هلين .

٧٧- الإشارات، ١/٤٤٠ .

٧٨- راجع تعليقة مهدى الاشتيانى على شرح المنظومة ١/٢٠٣ .

٧٩- راجع عبد الحكيم، ٣٥٥ .

٨٠- الإشارات، ١/٥٤ . والمطول، ٢٣٢ .

٨١- راجع شرح المنظومة، ٣١ .

ولا يخفى ان تقدم «ما الشارحة» - اذا اريد بها بيان ما دل عليه اللفظ ووضعت له الكلمة - على هل البسيطة ظاهر، «لان من لا يعرف مفهوم اللفظ استحاله منه ان يطلب وجود ذلك المفهوم»^{٨٢}. واما تقدمها على البسيطة اذا كان المطلوب بها شرح الاسم، وتفصيل ما دل عليه اللفظ اجمالا، فمحل توقف. اذ لا يلزم من عدم معرفة الشيء بالتفصيل استحالة طلب وجوده، لان المعرفة الاجمالية كافية في هذا المقام.

لكن كلام الشيخ في النجاة والإشارات والشفاء^{٨٣} صريح في تقدم ما مطلقا، على هل البسيطة. ويمكن أن يستدل على تقديم ما الشارحة الاسمية على هل البسيطة في اصطلاح المنطقيين، بان المتراض بصناعة المنطق لا يسأل عن وجود الشيء الا بعد المعرفة به تفصيلا. أو أن المراد من التقديم، التقديم على سبيل الأولوية لا الوجوب والقطع، كما اشار إليه السيد في حواشي المطول^{٨٤}.

ومنها: «من»

والمطلوب بها، هو الامر العارض لذى العلم وما يفيد تشخيصه وتعيينه، علما كان الأمر العارض او وصفا. وذلك نحو: من حفر بئر زمزم؟ فيجاب اما بالعلم، مثل أن يقال: عبد المطلب. «فان العلم يفيد إحضار ما وضع له بعينه، وهو عارض له بمعنى انه خارج عن ماهيته، او شبيه بالعارض القائم»^{٨٥}.

٨٢- مختصر المطول ٢/٢٧٦.

٨٣- النجاة، ٦٨. والإشارات، ١/٥٤٠. الشفاء ٢/٢٦٢-٢٦١.

٨٤- حاشية السيد، ٢٣٢.

٨٥- عبد الحكيم، ٣٥٦.

او يجاب بغير العكَم مما يفيد التشخص، كأن يقال في الجواب : مَنْ °
تولّى امر النبي (ص) بعد أن مات أبوه .

ولك ان تقول : اذا كانت «من» من الأدوات التي تختص بطلب-
التصور، فكيف يمكن ان يؤتى في جوابه بالتصديق ؟ و ذلك كقوله تعالى
على لسان الحواريين : «نحن أنصار الله» في جواب عيسى (عليه السلام)
لما سأل : «من أنصاري إلى الله ؟»^{٨٦}.

فيُجاب بأن «من» وان كانت سؤالاً عن التصور، لكن السائل بها تارة
يجزم بحصول المبهم فيسأل عن تعيينه، وتارة لا يجزم و ذلك كمن يرجو
ناصرًا يحتتمل ان يوجد وان لا يوجد ويطلب تعيينه، فقوله : من أنصاري ؟
محمول على ذلك^{٨٧}.

أقول : ليس الإتيان بالجواب في صورة التصديق، دليلاً على أن
المطلوب «بمن» في الآية التصديق لا التصور . لأن تعيين السند إليه
المطلوب «بمن» كما يحصل بالاكْتفاء في الجواب بكلمة «نحن» وامثالها،
من غير ضمٍّ ضميمية اخرى، يحصل ايضاً بجملة «نحن أنصار الله» . غير
ان المعروف في الجواب هو الصورة الاولى، وان البلاغة هي الاكْتفاء على
قدر الحاجة، فلا يُخرَج الجواب عنها إلا لنكتة كما نرى في قول
الحواريين . فانهم لم يكتفوا بكلمة «نحن» وان كانت مُجْزِية هاهنا،
بل أضافوا عبارة «أنصار الله» عليها، افتخاراً بهذا العنوان وتأكيداً عليه و
اهتماماً بشانه، فهذا زادوا عليها : «آمنّا بالله وأشهد بأننا مسلمون»^{٨٨}.

٨٦- آل عمران، ٥٢ .

٨٧- راجع عروس الافراح ٢/٢٧٩ .

٨٨- آل عمران، ٥٢ .

احكام «من» :

تمتاز «من» بين أدوات الاستفهام بأحكام :

الأول - انها تختص بذى العلم فلا تستعمل لغيره إلا إذا نُزِلَ منزلته.
الثانى - لزوم مطابقة جوابها لما فى الواقع من غير زيادة ولا نقص ،
كما ان الجواب الصحيح بالحدّ يلزم ان يكون جامعا ومانعا . فمثلا إذا
كان من حفر بئر زمزم واحداً، يلزم ان يُكْتَفَى فى الجواب بواحد، و
اذا كان طائفة من الناس، يجب ان يُدْكر جميعهم، فلا يصح حينئذ الاكتفاء
ببعض منهم^{٨٩}.

الثالث - ان جوابها مفرد لا مركب، بمعنى انه اذا قيل فى جواب
من حفر بئر زمزم : «عبدالمطلب» لا يُقَدَّر له المبتدأ كما لا يقدر فى
حيوان ناطق حدا للانسان . روى ذلك صاحب عروس الافراح عن والده^{٩٠}.
اقول : ان هذا الحكم لا يختص «بمن» بل يجرى عادة فى جميع
ادوات الاستفهام التى يُطَلَب بها التصور لا التصديق .
الرابع - انها صالحة بلفظ واحد للمذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى
والجمع .

الخامس - أنها تعد من أس المطالب، مثل هل وما .

رأى السكاكى فى «ما» و «من» :

قال السكاكى^{٩١}: يسأل ب «ما» عن الجنس من ذوى العلم وغيرهم .

٨٩- راجع عروس الافراح ٢/ ٢٨٠ .

٩٠- المصدر نفسه ٢/ ٢٨٠ .

٩١- مفتاح العلوم، ١٤٩ .

فتقول : ما عندك ؟ أى أى " أجناس الأشياء عندك ؟ فيجاب بانسان او فرس او كتاب او طعام، وكذلك تقول : ما الكلمة ؟ فيجاب بلفظ مفرد موضوع . فالمراد بالجنس عند السكاكي هو الماهية الكلية، متفقة الأفراد او مختلفة ، مجملة او مفصلة .

والفرق بين «ما» في رأى السكاكي وبينه فيما تقدم - وان كان يُطلب بها في كلتا الصورتين شرح الاسم وشرح الماهية - هو انها تختص عند السكاكي بالأمر الكلى، وأما على ما تقدم فيسأل بها شرح الاسم كليا او جزئيا^{٩٢}.

وايضا ان «ما» يسأل بها عند السكاكي عن الوصف كما يسأل بها عن غيره، فتقول : ما زيد ؟ وجوابه كريم . فتجرى «ما» فى هذه الصورة مجرى «اى» فى السؤال عن الصفات المميّزة . وهذا، اخراج من السكاكي لـ «ما» عن حقيقتها، «فان المنطقيين قالوا لا يسأل عن الصفات المميّزة بـ «ما» بل يسأل عنها بـ «اى» وانما يسأل بـ «ما» عن مفهوم اللفظ وعن حقيقة الشيء^{٩٣}.

وأما «من» عند السكاكي، فيسأل بها عن الجنس من ذوى العلم فقط، تقول : من جبريل ؟ بمعنى أبشر " هو أم ملك " ام جنسى ؟ و ذكر فى قوله تعالى حكاية عن فرعون: «فمن ربكما ياموسى؟»^{٩٤} ان المراد من السؤال من مالِككُما ومدبّر أمركما ؟ أم لك هو ؟ ام جنسى ؟ ام بشر؟^{٩٥}.

٩٢ - عبد الحكيم، ٣٥٦-٣٥٧ .

٩٣ - عروس الافراح ٢/٢٨٣ .

٩٤ - طه، ٤٩ .

٩٥ - مفتاح العلوم، ١٤٩، ١٥٠ .

و ردّ بان الحق في جواب من جبريل ؟ ان يقال : ملك يأتي بالوحى من الله الى الرسل، او ما يشبه ذلك مما يفيد التشخص والتعين. وبان جواب موسى لفرعون : «ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى»^{٩٦} يدل على ان المطلوب «بمن» هو الامر الذى يعرض لنزول العلم ويفيد تشخصه وتعيينه .

وايضا مما لا يؤيد رأى السكاكى، أن «من» تستعمل لما يعقل والجنس الكلى ليس بعقل، لانه حقيقة كلية، فلا يسأل عنه بمن . ولهذا قال النحاة . انه حيث اريد الجنس يؤتى فى السؤال : «ما»^{٩٧}.

ومنها : «أى»

والمطلوب بها ما يُميّز أحد المتشاركين أو المتشاركات فى أمر عام، هو مضمون ما أضيفت إليه . يعنى أنه إذا كان هناك شيان يتصفان بصفة ويشتركان فيها ويُعرفان بها عند المتكلم، ولكن ثبت لاحدهما حكم لا على التعيين، فللمتكلم أن يسأل : «أى» فى هذه الصورة عما يُميّز صاحب الحكم ويشخصه . و ذلك كقوله تعالى حكاية عن المشركين فى سؤالهم : «أى الفريقين خير» مقاما* ؟ فالمؤمنون والكافرون هما الشيطان اللذان اشتركا فى الفريقية التى هى مضمون المضاف اليه فى الآية، والحكم الذى علم ثبوته لاحدهما لا على التعيين هو الخيرية، فسئل باىّ عما يعين صاحب الحكم من غيره، فيجاب بانتم أو أصحاب

٩٦- طه، ٥٠ .

٩٧- عروس الافراح ٢/٢٨٢ .

* مريم، ٧٣ .

محمد^{٩٨} (ص) .

تقسيم أى :

تنقسم «أى» الى قسمين : جوهرية وعرضية . فالاول ما يُطلب به مميّزٌ هو من ذاتيات صاحب الحكم، والثانى ما يطلب به عوارض الشئ . فيرجع الجوهرية الى ما الحقيقة، والعرضية الى هل المركبة^{٩٩}.

أحكام أى :

تختص «أى» باحكام، منها :

- ١- انها لا تضاف الى مفرد معرفة، لأن المضاف اليه لها، امر مشترك بين متعدد فلا بد أن يكون اما نكرة، او معرفة متعددة .
- ٢- انها اذا اضيفت الى مثنى او جمع معرفة افرد ضميرها، كقولك: أى المقاتلين جرح ؟ واذا اضيفت الى نكرة طوبق، نحو: أى الدين لا يرغبان فى سعادة ولدِهما ؟^{١٠٠}
- ذكر سيبويه ان «أى» و «من» اذا استفهم بهما عن النكرة، تطابقان مع المستفهم افراداً وتثنيةً وجمعاً وتذكيراً وتأنيثاً . فلو قال شخص : رأيت رجلاً، قلت : أيّاً ؟ كما تقول : من ؟

٩٨- مختصر المطول ٢/٢٨٥ .

٩٩- راجع شرح المنظومة، ٣٢٠ جاء فى النجاة (٦٨) : «واما مطلب ال «أى» فهو داخل بالقوة فى الهل المقيد، وانما يطلب التمييز اما بالصفات الذاتية، واما بالخواص» .

١٠٠- راجع الفية ابن مالك وشرحه للسيوطى، ١٢٧ .

وإذا قال : رجلين، قلتَ : أيّينَ؟ كما تقول : منين ؟ . وإذا قال :
رجالا، قلت : أيّينَ؟ كما تقول : منين؟

وإذا قال : امرأةً، قلت : أيّةً؟ كما تقول : منه°؟ وفي المشنى
والجمع يقال: أيتانٍ وإيآتٍ، وممتانٍ ومماتٍ، بسكون الآخر في مَن°١١٠.

٣- انها تأتي للسؤال عن الزمان والمكان والحال والعدد والعاقل
وغير العاقل والجنس والفصل والنوع وغيرها، فتعرف هذه المعاني ممّا
أضيفت إليه١٠٢.

ومنها : «كم»

فيسأل بها عن العدد المعين، كقوله تعالى : قال قائلٌ "منهم : كم
لبِئْتُم؟ قالوا لبِئتنا يوماً او بعضَ يومٍ"١٠٣.

قال سيبويه : «إذا قال لك رجل : كم لك؟ فقد سألك عن عدد،
لأن «كم» انما هي مسألة عن عدد ها هنا. فعلى المجيب ان يقول: عشرون،
او ماشاء ممّا هو أسماء لعدّة .

فاذا قال لك : كم لك درهماً؟ او كم درهماً لك؟ ففسر ما يسأل
عنه، قلت : عشرون درهما . فعملت «كم» في الدرهم عمل العشرين فى-
الدرهم، ولك مبنية على «كم»١٠٤.

١٠١- راجع الكتاب، ٤٠١ .

١٠٢- راجع النحو الوافى ١٠٦/٣ وعلم المعانى، ٥٢ .

١٠٣- الكهف، ١٩ .

١٠٤- الكتاب ٢٩١/١ .

الفرق بين كم الاستفهامية والخبرية :

تمتاز الاستفهامية من الخبرية بوجوده :

الأول - أن الاستفهامية تدل على عدد مبهم عند المتكلم، ولكنه معيّن عند المخاطب في ظن المتكلم . واما الخبرية، فتدل على عدد مبهم عند المخاطب ربّما يعرفه المتكلم .

الثاني - أن الكلام مع الاستفهام لا يحتمل الصدق والكذب، بخلافه مع الخبرية .

الثالث - أن المتكلم في الاستفهامية يستدعي جوابا من المخاطب ، واما في الخبرية فلا يستدعيه، لأنه مُخبر لا مُستخبر^{١٥} .

ومنها : « كيف »

فيسأل بها عن الحال او الصفة التي يقع عليها الشيء، كالصحة والمرض والجلوس والقيام وغيرها، فيقال : كيف على ؟ اي : أصحيح او مريض؟ وكيف جاء سعيد ؟ اي : أراكبا او ماشيا ؟
قيل : من حق كيف أن يُسأل بها عن الصفات الغريزية لا الخارجية، فلهذا لا يقال : كيف على ؟ بمعنى : أقاتم أم قاعد^{١٦} ؟

ومنها : « أين »

فيسأل بها عن المكان، فيقال : اين تسافر أيّام عطلة النيروز ؟

١٠٥ - حاشية الدسوقي ٢/٢٨٨ .

١٠٦ - راجع عروس الأفراح ٢/٢٨٧ .

ومنها : «أنى»

يسأل بها تارة عن الحال فتفيد معنى «كيف» وذلك، نحو قوله تعالى : «أتى يحيى هذه الله بعد موتها»^{١٠٧}؟
والفرق بينها وبين كيف في هذه الصورة، انها تأتي دائما مع الفعل ماضيا او مضارعا، ولم يسمع : أتى زيد ؟ بمعنى : كيف هو^{١٠٨}.
وتارة يسأل بها عن المكان وتفيد معنى من أين، وذلك كما جاء في القرآن الكريم : أتى لك هذا^{١٠٩}؟ اي : من أين .
يقال في الفرق بينهما : ان «أين» للسؤال عن المكان الذي حل فيه الشيء، وان «من أين» للسؤال عن المكان الذي برز منه الشيء^{١١٠}.
اعلم ان المستفاد من كلام القوم عند استعمال «أتى» في المعنيين المذكورين، انها تحتمل ان تكون حقيقة في الاستعمالين كالمشترك، وان تكون حقيقة في أحدهما ومجازا في الآخر .
أقول : الظاهر هو الاحتمال الأول، وذلك لانها لم تستعمل في غير الاستفهام ولم تفارق معنى السؤال، وايضا انه لم ينقل عن احد انها وضعت لواحد من المعنيين على سبيل التعيين، حتى يكون استعمالها في المعنى الآخر مجازا .
وقيل انها تستعمل ايضا بمعنى «متى» كقولك : «أتى يفيض- النيل^{١١١}؟

١٠٧- البقرة، ٢٥٩ .

١٠٨- راجع المطول، ٢٣٤ .

١٠٩- آل عمران، ٣٧ .

١١٠- راجع عروس الافراح ٢/٢٨٩ .

١١١- علم المعاني، ٥١ .

ومنها : «متى»

يسأل بها عن الزمان، ماضيا كان او مضارعا .

ومنها : «أَيَّان»

يسأل بها عن الزمان المستقبل ، وتستعمل كثيرا فى مواضع التفضيم ،
و ذلك نحو قوله تعالى : أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ١١٢؟ و ذكر الرضى انها تفيد
التفضيم دائما ١١٣.

اخراج أدوات السؤال إلى معانى غير استفهامية

اعلم ان ما سبق من المعانى لأدوات السؤال، هى المعانى الأصلية التى
إذا استعملت تلك الأدوات فيها، كانت حقيقة، فأدوات الاستفهام من هذه-
الناحية ليست من صميم المباحث البلاغية .
ولكن كثيرا ما تُخْرَج تلك الأدوات الى معانى أخرى، لنُكْتَبَ
بلاغية وايحاء فوائد لا تؤيدها المعانى الأصلية ، و بهذا الاعتبار يلتقى
مبحث الاستفهام مع المباحث البلاغية ويؤول إليها .

وتلك المعانى البلاغية شائعة الاستعمال ، حتى ان الاستعمال الغالب
لأساليب الاستفهام فى القرآن يرجع إليها . وهى تتأثر باختلاف القائل
والمخاطب والاحوال المحيطة بهما ، وتستفاد من الأدوات الاستفهامية

١١٢- الذاريات، ١٢ .

١١٣- شرح الكافية ١١٦/٢ .

بمعونة سياق الكلام والقرائن على سبيل المجاز او الاستعارة او غيرهما^{١١٤}.
صرح العلامة التفتازانى بأن استعمال أدوات الاستفهام فى تلك المعانى مجاز، ولكن لم يقدّم احد بتعيين نوعه^{١١٥}. وعلّق السيد على قوله هذا، وعلل اهمال القوم بصعوبة تبين علاقة هذا المجاز. ثم قال: «ونحن نذكر فى هذه المواضع ما يتضح به وجه المجاز»^{١١٦} وتلخيص كلام السيد فى هذا المقام هو أن المجاز ينتهى الى المرسل، وأن أكثر العلاقات يرجع الى الاستنزام^{١١٧}.

وامّا عبد الحكيم، فهو يرى ان ارادة تلك المعانى البلاغية من أدوات الاستفهام، تصلح لان تكون مجازا او كناية او غيرهما. فقال: «لكن التحقيق انه قد يراد منها تلك المعانى بطريق المجاز، وقد يراد بطريق الكناية، وقد يراد بطريق أنها مستتبعات الكلام»^{١١٨}.

ثم ان المعانى البلاغية لكلمات السؤال كثيرة، «ولا ينحصر ... شىء منها فى أداة دون أداة، بل الحاكم فى ذلك هو سلامة الذوق وتتبع التراكيب، فلا ينبغي ان تقتصر فى ذلك على معنى سمعته، او مثال وجدته من غير ان تتخطاه»^{١١٩}.

١١٤- راجع أساليب الاستفهام فى القرآن، ١٩٢، ٢٤٦، ٢٤٨-٢٥٠.
وجدير بالذكر ان أسلوب الاستفهام الحقيقى فى القرآن لا يتجاوز (١٩) موردا، مع ان مجموع الاستفهام القرآنى يبلغ (١٢٦٠) موردا.

١١٥- المطول، ٢٣٥.

١١٦- حاشية السيد، ٢٣٥.

١١٧- المصدر نفسه، ٢٣٥.

١١٨- عبد الحكيم، ٣٥٩.

١١٩- مطول، ٢٣٩.

لقد ذكر السيوطي ١٢٠ في «الاتقان» من تلك المعاني اثنين وثلاثين كما يلي :

١- الانكار، والمعنى فيه على النفي، وما بعده منفي . و لذلك تصحبه «الإل» ويعطف عليه المنفي كقوله تعالى : «فَهَلْ يُهْمُكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ» ١٢١ ؟ و «فمن يهدي من أضل الله ؟ وما لهم من ناصرين» ١٢٢ .

وكثيرا ما يصحبه التأكيد، وهو في الماضي بمعنى لم يكن، وفي المستقبل بمعنى لا يكون . نحو : أفأصفاكم ربكم بالبنين ١٢٣ ؟ وأتألز - مكموها وأنتم لها كارهون ١٢٤ ؟ .

٢- التوبيخ، والمعنى على ان ما بعده واقع ولكن جدير بان ينفي . والفرق بينه وبين الانكار، ان النفي هنا غير قصدي والاثبات قصدي ، والانكار على العكس .

ثم التوبيخ كما يقع على فعل جدير بالترك نحو : أتعبدون ما تنحتون ١٢٥ ؟ يقع على ترك فعل كان ينبغي ان يقع ، كقوله : ألم تكن

١٢٠- الاتقان، ٢/٨٢-٨٣ .

١٢١- الاحقاف، ٣٥ .

١٢٢- الرّوم، ٢٩ . وكقول محمود الورّاق :

إذا كتم الصديق أخاه سرّاً فما فضل الصديق على العدو

(المحاضرات ١/١٢٨)

١٢٣- بنى إسرائيل، ٤٠ .

١٢٤- هود، ٢٨ .

١٢٥- الصافات، ٩٥ .

أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها؟^{١٢٦}.

٣- التقرير، وهو حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر عنده . كقوله تعالى : «ألم نشرح لك صدرك؟»^{١٢٧} و قوله : «أكدبتُم بآياتي ولم تحيطوا بها علما؟»^{١٢٨}

و روى عن سيبويه منع التقرير في «هل» ، ولكن قال بعض منهم الزمخشري بورودها له، فأنه يرى ان «هل» في قوله تعالى: «هل أنسى على الإنسان...» للتقرير^{١٢٩}.

٤- التعجب، نحو : «كيف تكفرون وانتم تتسلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله؟»^{١٣٠} و «مالي لا أرى الهدهد؟»^{١٣١}.
قال عبدالحكيم : «عدم الرؤية قد يكون لحال في جانب الرائي ، و

١٢٦- النساء ، ٩٧ .

١٢٧- الانشراح، ١ .

١٢٨- النمل، ٨٤ .

١٢٩- الكشاف، ١/١٤٨ .

- قال صاحب (تأويل ... ٤١٠) : «هل تكون للاستفهام، ويدخلها من معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الالف التي يستفهم بها، كقوله تعالى : هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء ؟ وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ . و كذلك قوله تعالى : هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟» .

ومن مجئ «هل» للتقرير قول النبي (ص) : و هل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم؟ فيما قال لمعاذ : أمسك عليك هذا - وأشار الى لسانه - فقال معاذ : اونحن مؤاخذون بما نتكلم ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل (المثل السائر ١/٤٠٣) :

١٣٠- آل عمران، ١٠١ .

١٣١- النمل، ٢٠ .

قد يكون لحال في جانب المرئى . فقوله : «مالى لا أرى الهدهد؟» ان كان استفهاما عن حال في جانب الرائي يوجب عدم الرؤية، فالاستفهام لا يمكن حمله على حقيقته، إذ لا معنى للاستفهام عن حال نفسه فهو مجاز عن التعجب .

وان كان استفهاما عن حال في جانب المرئى يوجب عدم الرؤية كالسائر فيجوز ان يكون الاستفهام على حقيقته .

فان قُصِدَ منه التعجب، ويكون ارادة المعنى الحقيقى لمجرد التصوير والانتقال ، كان كناية .

وان قُصِدَ منه المعنى الحقيقى مع التعجب، كان التعجب من مستتبعات الكلام» ١٣٢ .

٥- العتاب، كقوله تعالى : ألم يكأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ١٣٣ ؟

ومن أَلطَفَه ما عاتب الله به خير خلقه بقوله : عفا الله عنك لم أذنت لهم ١٣٤ ؟

٦- التذكير، كقوله تعالى : ألم اعهد اليكم يا بنى آدم، ان لا تعبدوا الشيطان ١٣٥ ؟

وقوله : ألم اقل لكم انى أعلمُ غيبَ السموات والارض ١٣٦ ؟

١٣٢- عبد الحكيم، ٣٥٩ .

١٣٣- الحديد، ١٦ .

١٣٤- التوبة، ٤٣ .

١٣٥- يس، ٦٠ .

١٣٦- البقرة، ٣٣ .

- ٧- الافتخار، نحو: أليس لى ملك مصر ١٣٧؟
- ٨- التفضيم، نحو: ما لهذا الكتاب لا يُعادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً ١٣٨؟
- ٩- التهويل والتخويف، نحو: الحاقة ما الحاقة ١٣٩؟
- ١٠- عكسه وهو التسهيل والتخفيف نحو: وماذا عليهم لو آمنوا ١٤٠؟
- ١١- التهديد والوعيد، نحو: ألم نهلك الأولين ١٤١؟
- ١٢- التكثير، نحو: وكم من قرية اهلكناها ١٤٢؟
- ١٣- التسوية، نحو: سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم ١٤٣؟
- ١٤- الأمر، نحو: فهل أنتم منتهون ١٤٤؟ اى انتهوا.
- ١٥- التنبيه، نحو: ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ١٤٥؟
- ١٦- الترغيب، نحو: هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم ١٤٦؟
- ١٧- النهى، نحو: أنخشوهم؟ فالله أحق أن تخشوه ١٤٧. فالمعنى،

١٣٧- الزخرف، ٥١.

١٣٨- الكهف، ٤٩.

١٣٩- الحاقة، ١.

١٤٠- النساء، ٤.

١٤١- المرسلات، ١٦.

١٤٢- الاعراف، ٤.

١٤٣- البقرة، ٦.

١٤٤- المائدة، ٩١.

١٤٥- الحج، ٦٣.

١٤٦- الصف، ١٠.

١٤٧- التوبة، ١٣.

لا تخشوهم .

وقوله ايضا : يا أيها الانسانُ ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ١٤٨؟ اى لا تغتر .

١٨- الدعاء، وهو كالنهى الا أنه من الأدنى الى الاعلى، نحو :

أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ ١٤٩؟ اى لا تهلكنا .

١٩- الإسترشاد، نحو : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ١٥٠؟

٢٠- التمنى، نحو : فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءِ ١٥١؟

٢١- الإستبطاء، نحو : متى نصر الله ١٥٢؟

٢٢- العرض، نحو : أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ١٥٣؟

٢٣- التحضيض، نحو : أَلَا تَتَّقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ١٥٤؟

٢٤- التجاهل، نحو : أَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ١٥٥؟

٢٥- التعظيم، نحو : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ... ١٥٦؟

٢٦- التحقير، نحو : «أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ؟» ١٥٧ و «أَهَذَا

الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا؟» ١٥٨

١٤٨- الإنفطار، ٦ .

١٤٩- الاعراف، ١٥٥ .

١٥٠- البقرة، ٣٠ .

١٥١- الاعراف، ٥٣ .

١٥٢- البقرة، ٣١٤ .

١٥٣- النور، ٢٢ .

١٥٤- التوبة، ١٣ .

١٥٥- ص، ٨ .

١٥٦- البقرة، ٢٥٥ .

١٥٧- الأنبياء، ٢٦ .

١٥٨- الفرقان، ٤١ .

- ٢٧- الاكتفاء ، نحو : أليس في جهنمَ مشوىً للمتكبرين ١٥٩ ؟
 ٢٨- الاستبعاد ، نحو : أتى لهم الذكرى ١٦٠ ؟
 ٢٩- الايناس ، نحو : وما تلك يمينك يا موسى ١٦١ ؟
 ٣٠- التهكم والاستهزاء ، نحو : أصلاتك تأمرُك ١٦٢ ؟
 ٣١- التأكيد ، لما سبق من معنى أداة الاستفهام ، نحو : أَمِنَ حَقٌّ عليه كلمة العذاب ؟ أفأنتَ تَنقِذُ مَنْ في النار ١٦٣ ؟

«فمن» اسم الشرط وجملة «فأنت...» جوابه، و دخلت عليه الهمزة لتأكيد معنى الإنكار .

- ٣٢- الاجبار ، نحو : افي قلوبهم مرض ١٦٤ ؟

فهذه المعاني والأغراض البلاغية لأدوات الاستفهام ليست متباعدة و متنافرة معا، بحيث لا يلتقى بعضها مع بعض، ولا يجتمع واحد منها مع الآخر . الا ترى انه يمكن ارجاع التوبيخ الى الانكار كما فعل الخطيب القزويني حيث يقول : «والانكار اما للتوبيخ اى ما كان ينبغى» وإرجاع الامر والتحضيض الى الترغيب، والافتخار والتذكير فى الأمثلة السابقة ، الى التقرير .

وهذا الارتباط الوثيق بين الاغراض لم يكن مجهولا على السيوطى ،

١٥٩- الزمّر، ٦٠.

١٦٠- الدخان، ١٣.

١٦١- طه، ١٧.

١٦٢- هود، ٨٧.

١٦٣- الزمّر، ١٩.

١٦٤- النور، ٥٠.

لان نفسه أشار الى تداخل التوييح مع الانكار، والتنبيه مع الامر، والدعاء مع النهي .

ويمكن ايضا جمع بعضها مع بعض كما نقل السيوطي^{١٦٥} عن الزمخشري في «أتامرون الناس بالبّر وتنسون أنفسكم؟» : ان الهمزة للتقرير مع التوييح والتعجب من حالهم .

ثم يرد على السيوطي ان التسوية ليست من المعاني البلاغية للاستفهام، وان الهمزة بعد كلمة «سواء» لاتدل على معنى الاستفهام لاحقيقه ولا مجازا، وانما الكلام معها خبر لانشاء^{١٦٦}.

ويرد أن المثال في «الخامس والعشرون» لا يطابق المثل له، إذ جملة «من ذا الذي» لاتدل على تعظيم المسؤول عنه، بل الجملة تفيد تعظيم الخالق وهو ليس مسؤولا عنه، فالمثال يناسب الانكار او النفي .

ظواهر بعض المعاني البلاغية

اعلم ان لبعض من هذه الاغراض ظواهر وميزات جديدة بالذكر، فنشير اليها باختصار :

- ١- الانكار يقع مع الهمزة أكثر من بقية أدوات السؤال .
- ٢- ان الانكار اكثر الاغراض البلاغية للاستفهام .
- ٣- لايجرى التعجب في الذات، بل يجرى في الافعال بكثرة و في النسب بقلة .

١٦٥- الاتقان ٢/٨٢ .

١٦٦- راجع اساليب الاستفهام، ٢٥٨ .

٤- الانكار للنفي، يأتي مع «هل» بكثرة، ويليه «ما» و «من» في كثرة الدلالة على الانكار المنفي .

٥- ان الهمزة وهل، تستعملان للدلالة على معنى الامر أكثر من بقية أدوات الاستفهام .

٦- التحقير والتعظيم يتعلقان بالاسماء في الاكثر، ويأتيان مع «من» و «ما» في الغالب .

٧- التعجب، والانكار للنفي والتكذيب، والاستبطاء، والاستبعاد، وكذلك التهويل والتخويف، قد يصحبها ما ينبىء عن المعانى البلاغية . كما نرى في هذه الآيات :

الف - «قالت يا ويلتا أألدُّ وأنا عجوز» وهذا بعلى شيخا ؟ إن هذ لشيء عجيب»^{١٦٧}، فجملة «إن هذا ...» تنبىء عن التعجب الذى تضمنه الاستفهام .

ب - «أفمن° كان مؤمنا كمن° كان فاسقا؟ لا يستون»^{١٦٨} .
فقوله : «لا يستون» يدل على نفى المشابهة بين المؤمن والفاسق .

ج - «أفأصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا؟ انكم لتقولون قولا عظيما»^{١٦٩} فجملة «انكم لتقولون ...» تدل على ما يستفاد من الاستفهام، وهو التكذيب .

د - «ويقولون متى هذا الوعد إن° كنتم صادقين؟ قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون»^{١٧٠} فعبارة بعض الذى ... تنبىء

١٦٧- هود، ٨٢ .

١٦٨- السجدة، ١٨ .

١٦٩- المؤمن، ٤٠ .

١٧٠- النمل، ٧١ .

عما تضمنه الاستفهام ها هنا ١٧١ .

هـ - «الحاقة ما الحاقة ؟ وما أدراك ما الحاقة» . فقله : «وما أدراك ...» ينبىء عما تضمنه الاستفهام من التهويل والتعظيم، حيث يدل على ان المستفهم عنه بلغ من العظمة درجة لا يدرك كنهه ولا يعرف معرفة تامة .

بلاغة أساليب الاستفهام

اعلم ان لاساليب الاستفهام فى قوة التعبير والحيوية، وبيان ما يكتنف الانسان من الاحوال والعواطف والغرائز، وافادة معنى كثير بلفظ قليل، والافصاح عن المراد بأحسن صورة، و دعوة المخاطب الى الصواب بالطف وجه، مزايا ليست باجمعها فى غيرها، فمنها :

- ١- ان اسلوب الاستفهام ليس اسلوب سرد ممل يقص به المتكلم ، بل المتكلم يحفظ صلته مع المخاطبين ويثركهم فى بيان المراد والوصول الى الصواب . فالمتكلم والمخاطب فيه بيدلان موضعهما، فيصبح المتكلم مخاطبا والمخاطب متكلماً . فكل منهما يحس الإلتزام امام هذا الاسلوب .
- ٢- ان الحالات النفسية والعواطف والغرائز للانسان كثيرة لا يحصرها لفظ ولا ينفدها عدد، ولعل انبى واشمل اسلوب لها هو اسلوب الاستفهام، و ذلك لان اساليب الاستفهام ايضا لا يضيّقها مفهوم، ولا يعصى عليها مجهول .

١٧١- راجع اساليب الاستفهام فى القرآن، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٢، ٢٣٤،

٢٤١، ٢٥٢ .

٣- ان المتكلم يستطيع ان يعبر بأسلوب الاستفهام عما يريد بالاختصار .

فمثلا اذا أردنا ان نهتد سارقا وندعوه الى الصلاح وترك العمل ، نستفيد من الاستفهام ونقول له : ألم تقطع أيدي السارقين ؟ وهذا أوجز من ° لا تسرق وأقبل على الصلاح، والآن تقطع أيديك كما تقطع أيدي بقية السارقين .

٤- أن المتكلم يفصح عما يعتقد على أحسن صورة، لانه يعرض مراده على صورة المجهول، ويجعل نفسه في الظاهر مترددا فيه، ومستفهما وطالبا للصواب . فلا يعبر عن مراده جازما، لئلا يخيل انه يريد ان يلقي فكرة، فتنكر ولا يصغى اليها ابتداء .

وايضا ان المتكلم يجعل المخاطب مشاركا له فيه ويدعوه الى التأمل والاجابة، فيسد عليه طريق الانكار ابتداء .

٥- ان المتكلم يعرض مراده في بعض اساليبه معرض المعلوم الذي يكفيه ادنى ملاحظة، ويجعل المخاطب فيه اعلم به في الظاهر، قال الدسوقي في بلاغة «اين تذهبون؟» عند افادة التنبيه على الضلال :

«واعلم ان استعمال أداة الاستفهام في التنبيه المذكور ... يتضمن معنىً لطيفا، وهو الاشارة الى ان كون ذلك الامر ضلالا امر واضح يكفي في العلم به مجرد الالتفات، وايهام ان المخاطب اعلم بتلك الطريق من المتكلم من حيث اتيانه له بالاستفهام الذي من شأنه انه انما يوجه لمن هو اعلم بالمستفهم عنه» ١٧٢ .

المبحث الثالث الامر

عرفوا الامر بتعبيرات مختلفة، منها :

- ١- اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه بغير كف ١٧٣.
 - ٢- طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء ١٧٤.
 - ٣- طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الالزام ١٧٥.
- والاستعلاء أعم من أن يكون الأمر عاليا في الحقيقة، كقول الأب لابنه: اجلس مكانك . أو السيد لخادمه : اذهب الى السوق فاشتر كذا وكذا .
 اولم يكن عاليا، بل يُظهر نفسه بمظهر من له علو المرتبة، كأن يطلب الابن من ابيه والخادم من سيده شيئا على سبيل الاستعلاء والالزام .
 ثم الامر لطلب الماهية، لا لتكرار ولا مرة وان كانت ضرورية، اذ لا تتحقق الماهية باقل منها، وليس حقه الفور خلافا لقوم في جميع ذلك ١٧٦.

صيغ الامر :

الألفاظ الدالة عليه أصالة، والصيغ الموضوعية له حقيقة، أربع :
 الاول - فعل الامر، كقوله تعالى : «يا يحيى خذ الكتاب» ١٧٧.

-
- ١٧٣- جمع الجوامع ٢١٢/١ .
 - ١٧٤- المختصر ٣٠٨/٢-٣٠٩ .
 - ١٧٥- جواهر البلاغة، ٧٧ .
 - ١٧٦- راجع جمع الجوامع ٢٢٠/١ .
 - ١٧٧- مريم، ١٢ .

الثانى - المضارع المجزوم بلام الامر، كقوله : «لينفق ذو سعةٍ من سعته»^{١٧٨}.

الثالث - اسم الفعل بمعنى الامر، نحو : «عليكم انفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم»^{١٧٩}.

الرابع - المصدر النائب عن فعل الامر نحو: سعيًا في سبيل الخير^{١٨٠}. واختلفوا فيما تدل عليه تلك الصيغ بالوضع والحقيقة، «والاظهر - انها - موضوعة لطلب الفعل استعلاء»^{١٨١} لانه المتبادر الى الفهم عند السماع. ثم الامر كسائر اقسام الانشاء لا يعد من صميم المباحث البلاغية الا باعتبار لطائف واغراض تتحقق بعدول الامر من حقيقته الاصلية اليها، وتحصل باخراج صيغه عليها، فيلتقى مبحث الامر حينئذ مع المجاز أو الكناية .

وهذه الاغراض كثيرة والحاكم فيها هو الذوق، وتستفاد بمعونة السياق والقرائن . لعل صاحب عروس الافراح و «جمع الجوامع» اكثر من حشدوا تلك الاغراض^{١٨٢}، فنذكرها ههنا ثم نقدها .

الاجراض البلاغية المستفادة من صيغ الأمر :

كثيرا ما تخرج صيغ الأمر عن حقيقتها، وتستعمل للأغراض الآتية :

١٧٨ - الطلاق، ٧ .

١٧٩ - المائدة، ١٠٨ .

١٨٠ - راجع جواهر البلاغة، ٧٨ .

١٨١ - تلخيص المفتاح ٣١١/٢ .

١٨٢ - راجع عروس الافراح ٣١٢/٢ - ٣٢٢ وجمع الجوامع ٢١٥/١ -

- ١- الاباحة، نحو : كلوا من الطيبات ١٨٣.
 - ٢- التهديد، نحو : اعملوا ما شئتم ١٨٤.
 - ٣- التعجيز، نحو : فأتوا بسورة من مثله ١٨٥.
 - ٤- التسخير، بمعنى التذليل والامتهان، او التحويل من حال الى حال نحو : كونوا قردة خاسئين ١٨٦.
 - ٥- الالهانة، نحو : ذق انك انت العزيز الكريم ١٨٧.
 - ٦- التسوية، نحو : فاصبروا او لاتصبروا ١٨٨.
 - ٧- التمني، كقول امرء القيس :
- الا ايها الليل الطويل األا انجلى بصبح وما الاصبح منك بأمثل
- ٨- الدعاء، نحو : ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ١٨٩.
 - ٩- الالتماس، وهو الطلب ممن يساويك رتبة، حقيقة او ادعاء، نحو : افعل كذا .
 - ١٠- الندب، نحو : فكاتبوهم ان علمتم فيهم حقا ١٩٠.

١٨٣- المؤمنون، ٥١ .

١٨٤- فصلت، ٤٠ .

١٨٥- البقرة، ٢٣ .

١٨٦- البقرة، ٦٥ .

١٨٧- الدخان، ٤٩ .

١٨٨- بنى اسرائيل، ٥٠ .

١٨٩- الاعراف، ٨٨ .

١٩٠- النور، ٣٣ .

- ١١- الارشاد، نحو : واستشهدوا شهيدين من رجالكم ١٩١ .
 ١٢- الانذار، نحو : قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ١٩٢ .
 ١٣- الامتتان، نحو : كلوا مما رزقكم الله ١٩٣ .
 ١٤- الاكرام، نحو : ادخلوها بسلام آمنين ١٩٤ . فالسلام والامن قرينة على كون الصيغة للاكرام .
 ١٥- الاحتقار، نحو : القوا ما انتم ملقون ١٩٥ . فان ما يليه السحرة وان كان عظيما لكنه محقر بالنسبة الى معجزة موسى .
 ١٦- التكوين، وهو الايجاد عن العدم بسرعة، نحو : كن فيكون ١٩٦ .
 ١٧- الخبر، نحو : اذا لم تستح فاصنع ما شئت .
 ١٨- الانعام، بمعنى تذكير النعمة نحو : كلوا من طيبات ما رزقناكم ١٩٧ .
 ١٩- التفويض، نحو : فاقض ما انت قاض ١٩٨ .
 ٢٠- التعجب، نحو : انظر كيف ضربوا لك الامثال ١٩٩ .
 ٢١- التكذيب، نحو : قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ٢٠٠ .

- ١٩١- البقرة، ٢٨٢ .
 ١٩٢- ابراهيم، ٣٠ .
 ١٩٣- الانعام، ١٤١ .
 ١٩٤- الحجر، ٤٦ .
 ١٩٥- يونس، ٨٠ .
 ١٩٦- البقرة، ١١٧ .
 ١٩٧- البقرة، ٥٧ .
 ١٩٨- طه، ٧٢ .
 ١٩٩- بنى اسرائيل، ٤٨ .
 ٢٠٠- آل عمران، ٩٣ .

وايضا، نحو: قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا^{٢٠١}.

٢٢- المشورة، نحو: فانظر ما ذا ترى^{٢٠٢}.

٢٣- الاعتبار، نحو: انظروا الى ثمره اذا أثمر^{٢٠٣}.

٢٤- الامتثال، كقولك لآخر عند العطش: اسقني ماء.

٢٥- الاذن، كقولك لمن طرق الباب: ادخل.

فهذه الاغراض المستفادة من صيغ الامر، اذا لم تقم قرينة على منع

ارادة المعنى الحقيقي تعتبر معاني كناية، اوتعد من مستتبعات الكلام.

واذا قامت قرينة، تعتبر معاني مجازية، وترجع العلاقة بينها وبين

المعنى الاصلى للامر، الى المشابهة وشبه التضاد، او الملازمة، او العموم

والخصوص، او الإطلاق والتقييد. ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع الى

حاشية البناني^{٢٠٤} على شرح جمع الجوامع، وحاشية عبد^{٢٠٥} الحكيم على

المطول، وشروح^{٢٠٦} التلخيص مع حاشية الدسوقي.

نقد الاغراض المذكورة للامر:

اعلم ان ما سبق من معاني الامر، هو ما ذكره القوم في هذا المجال.

وهو قابل للمناقشة من وجوه:

الأول - ان منها - كما عرفت - اغراضا تتشابه وتتقارب معا بحيث

٢٠١- الانعام، ١٥٠.

٢٠٢- الصافات، ١٠٢.

٢٠٣- الانعام، ٩٩.

٢٠٤- ٢/٢١٥.

٢٠٥- ٣٦٥.

٢٠٦- ٢/٣١٣-٣٢٠.

لا ترى الفصل بينها سهلا ولا تحديد كل منها ظاهرا، فلو رجعت الى اصل واحد لكان اولى . و ذلك لما فيه من الاختصار مع التخلص من التمثل والتكلف في الاعتبارات المختلفة لبيان الفرق والفصل بينها .

فمن تلك الاغراض المتشابهة الانذار والتهديد، فيمكن ان يرجعا الى اصل كلي وهو التخويف مطلقا .

قيل في الفرق بينهما : ان الانذار لا يستعمل الا بمصاحبة الوعيد، كما مر في قوله تعالى : قل تمتعوا فان ...

واما التهديد فيستعمل مع الوعيد نحو دم على عصيانك فالعصا امامك، وبدونه كقوله تعالى : اعملوا ما شئتم .

ومنها - الامتنان والانعام، فيجوز رجوعهما الى اصل واحد كبيان التفضل ونحوه .

وقيل في الفرق بينهما : ان الامتنان يختص بأعلى ما يحتاج إليه - الإنسان، بخلاف الإنعام^{٢٠٧}.

ومنها - النذب والارشاد، فهما يرجعان إلى اصل كلي وهو الدلالة على الخير او المصلحة .

قالوا في الفرق بينهما : ان المصلحة في النذب اخروية و في الارشاد دنيوية^{٢٠٨}.

ومنها - التسخير - بمعنى التذليل والامتهان - والاهانة والاحتقار، فيمكن ارجاعهما الى اصل عام مثل الاستخفاف وقلة المبالاة مطلقا .

يقال فيما يمتاز به كل منها : انه يؤتى مع الإهانة لفظ يدل على الخير والكرامة، ولكن يراد منه ضد ذلك .

٢٠٧- راجع حاشية البناني ١/٢١٧ .

٢٠٨- راجع البناني ١/٢١٥ .

وان التسخير يحصل الفعل المأمور به معه، بخلاف الالهانة .
وان الاحتقار كما يمكن بالقول والفعل وتركهما، يمكن بالاعتقاد
ايضا^{٢٠٩}.

ومنها - الاذن والاباحة، فيجوز ان يرجعا الى اصل واحد وهو
رفع الحظر .
وقيل في الفرق بينهما : ان الاول مسبوق بالسؤال والانتظار، بخلاف
الثاني .

الثاني - من وجوه المناقشة، ان المستعمل للتسوية في المثال المذكور
هو المجموع المركب من صيغة الامر و «او» فلا يصدق ان صيغة الامر تاتي
للتسوية .

وكذا معنى التمني في بيت امرىء القيس، فانه مستفاد من صيغة الامر
مع «ألا»^{٢١٠}.

والتسوية تفارق الاباحة بان المخاطب فيها كأنه توهم أن احد الطرفين
من الفعل وتركه انفع له وارجح بالنسبة اليه، فرفع ذلك التوهم وسوى
بينهما^{٢١١}.

المبحث الرابع النهي

وهو طلب الكف عن الفعل استعلاء .

٢٠٩- راجع البناني ٢١٦/١، والدسوقي ٣١٨/٢ .

٢١٠- راجع حاشية البناني ٢١٦/١ .

٢١١- راجع المطول ٢٤١ .

وقالوا في تعريفه ايضا : هو اقتضاء كف عن فعل لا بقول كف^{٢١٣}.
وله صيغة واحدة وهى المضارع المجزوم بلاء النهى، نحو: ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل^{٢١٣}.
والنهي على عكس الامر حقه الفور والدوام جزما، لانه لدفع المفسدة،
فعلى هذا لو قيل لاحد : «لا تشرب الخمر» فشرب بعد النهى مدة ثم
تركها، او تركها مدة ثم عاد اليها، لم يعد ممثلا فى كلتا الصورتين^{٢١٤}.
تستعمل صيغة النهى فى معان غير طلب الكف، مجازا أو كناية أو
غيرهما .

فمنها - الكراهية، كقوله تعالى : ولا تمش فى الارض مرحا^{٢١٥}. و
كقوله ايضا : ولا تيمموا الخيم منه تنفقون* .
ومنها - الدعاء ، كقوله تعالى : ربنا لاتزغ قلوبنا^{٢١٦}.
ومنها - الارشاد، نحو: لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم^{٢١٧}.
ومنها - التسوية، نحو : أولاتصبرا^{٢١٨}. ويرد عليه ان التسوية
ليست مستفادة من صيغة النهى وحدها، بل من المجموع المركب منها ومن
كلمة «او» .
ومنها - الاحتقار والتقليل، نحو : لاتمدن عينيك الى ما متعنا به

٢١٢ - جمع الجوامع ١/ ٢٢٦ .

٢١٣ - آل عمران، ١٨٨ .

٢١٤ - راجع الدسوقي ٢/ ٣٢٥، وعبد الحكيم، ٣٦٦ .

٢١٥ - بنى اسرائيل، ٣٧ . * البقرة، ٢٦٧ .

٢١٦ - البقرة، ٢٦٨ .

٢١٧ - المائدة، ١٠١ .

٢١٨ - الطور، ١٦ .

أزواجاً منهم ٢١٩. أى فهو قليل حقير بخلاف ما عند الله .
ومنها - بيان العاقبة، نحو : ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
أمواتاً بل أحياء ٢٢٠. أى ان عاقبة الجهاد فى سبيل الله الحياة لا الموت .
ثم يرد على هذا المعنى ايضاً انه مستفاد من مجموع صيغة النهى و
كلمة «بل»، لامن النهى فقط .

ومنها - اليأس، نحو : لا تعتذروا اليوم ٢٢١.
ومنها - الاهانة، نحو : اخسئوا فيها لا تكلمون ٢٢٢.
ومنها - التهديد، كقولك لمن يعصيك : لا تطع امرى .
ومنها - الالتماس، كقولك لمن يساويك فى الرتبة بدون الاستعلاء :
لا تتركنى ايها الصديق .
ومنها - التمنى، نحو : لا ترحل أيها الشباب .
وترجع العلاقة بين هذه الاغراض والمعنى الموضوع له الى ما سبق
فى الأمر .

المبحث الخامس النداء

النداء هو طلب اقبال المدعو بحرف نائب مناب «ادعو» سواء كان

٢١٩- الحجر، ٨٨ .

٢٢٠- آل عمران، ١٦٩ .

٢٢١- التحريم، ٧ .

٢٢٢- راجع جمع الجوامع ١/٢٢٦-٢٢٧، والاتقان ٢/٨٤-٨٥ .

ذلك الحرف ملفوظا نحو : يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض ٢٢٣. او مقدرًا نحو : يوسف أعرض عن هذا ٢٢٤.

النداء يفارق اقسام الطلب المذكورة بانه لا يدل على طلب الاقبال مباشرة، لأن مفاد الحرف ومدلوله هو «ادعو» واما الاقبال فهو مطلوب باللزوم، لان الانسان انما يدعى للاقبال .

حروف النداء :

إن حروف النداء على ما ذكره سيبويه خمسة، حيث قال : «فاما الإسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء: ياء، وأيا، وهيا، وأى وبالالف» ٢٢٥. لقد جاء فى كل من «أى» و «أ» لغة أخرى ٢٢٦ وهى «آى» و «آ» ولكن لم يذكرها سيبويه .

تمتاز «يا» بامور وهى :

الاول - انها تستعمل فى كل نوع من انواع المنادى : مندوبا او مستغاثا او غيرهما .

الثانى - انها تتعين وحدها لنداء اسم الله تعالى .

الثالث - تعيينها وحدها ايضا للاستغاثة، نحو : يا الله للمسلمين ٢٢٧ .

الرابع - جواز حذفها و ذكرها .

٢٢٣- راجع المواهب ١/٣٣٢ . ص، ٣٨ .

٢٢٤- يوسف، ٢٩ .

٢٢٥- الكتاب ١/٣٢٥ .

٢٢٦- راجع التصريح مع التوضيح ٢/١٦٣، و راجع معنى اللبيب ١/٨

و ٤٠ .

٢٢٧- راجع التوضيح مع التصريح ٢/١٦٤ .

الخامس - انه لا يستعمل مع أيّتها وايتها غيرها .
ان حروف النداء غير الهمزة لنداء البعيد او ما يشبهه، واما الهمزة فهي
لنداء القريب .

قال صاحب الالفية :

وللمنادى النائي او كالنائى، يا ، وأى، وآ، كذا أيا، ثم هيا
هذا، هو الظاهر من كلام سيبويه حيث يقول : «إلا ان الاربعة
غير الالف قد يستعملونها اذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشىء المتراخى
عنهم، او للانسان المعرض عنهم الذى يرون انه لا يقبل عليهم الا باجتهاد ،
او النائم المستقل» ٢٢٨ .

وقال بعضهم : ان أيا وهيا للبعيد، واى والهمزة للقريب، ويا حقيقة
فى القريب والبعيد ٢٢٩ .

لطائف واغراض بلاغية لصيغ النداء :

لقد ظهر مما سبق ان صيغ النداء موضوعة لطلب اقبال البعيد او
القريب، بمعنى انه لوحظ فى معناها شيئان : طلب الاقبال والفاصلة
المكانية، فيعرض لها باعتبار العدول من كل منهما لطائف واغراض بلاغية
تجعل مسائل النداء من صميم المباحث البلاغية .

فالموضوعة لنداء البعيد قد تستعمل فى القريب مجازا على سبيل
الاستعارة التبعية لنكت :

منها - الدلالة على بلادة المخاطب وغفلته وانه لا يتنبه الا باجتهاد
وامتداد صوت، نحو : يا ايها الغبى، أين تذهب ؟

٢٢٨ - الكتاب ١/ ٣٢٥ .

٢٢٩ - راجع مطول ١/ ٢٤٤ .

وكقول ابي العتاهية يعنى نفسه :

أَيَا مَنْ يَوْمَلْ طُولُ الْحَيَاةِ وَطُولُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ خَطَرٌ
إِذَا مَا كَبُرَتْ وَبَانَ الشَّبَابُ فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ
ومنها - اظهار الحرص على اقبال المنادى، لان النفس اذا اشتاقت
الى الشيء تحسب الزمان والمكان قبل الوصول اليه طويلا وبعيدا . نحو :
يا موسى أقبِلْ» ٢٣٠.

ومنها - التنبيه على عظم شأن المدعو اليه، وكون الخطاب المتلو
للنداء معتنى به، نحو : يا ايها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك ٢٣١ . يا ايها الناس
اعبدوا ربكم ٢٣٢.

ومنها - قصد تعظيم شأن المدعو نحو : يا رب .
ومنها - قصد انحطاطه كقول فرعون : وإِنِّي لِأَظُنُّكَ يَا مُوسَى
مَسْحُورًا ٢٣٣.

والموضوعة للقريب، قد ترد لنداء البعيد مجازا تنسيها على انه حاضر
في قلب المتكلم ولا يغيب عنه فكانه ماثل امام عينيه . كقول الشاعر :
أَسْكَنْانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ تَيْقَنُوا بِأَنْكُمْ فِي رِبْعِ قَلْبِي سَكَّانُ
وقد تستعمل هذه الصيغ في غير طلب الاقبال، على سبيل المجاز او -
الكناية او غيرهما كما هو التحقيق، و ذلك مثل :

١- الاغراء ، نحو قولك لمن اقبل يتظلم : يا مظلوم . فانت تريد
اغراءه على بث الشكوى واظهار التظلم، ولا تطلب اقباله لانه حاصل .

٢٣٠- القصص، ٣١ .

٢٣١- المائدة، ٧٠ .

٢٣٢- البقرة، ٢١ .

٢٣٣- بنى اسرائيل، ١٠١، راجع الدسوقي ٣٣٤/٢، والإتقان ٨٥/٢ .

٢- والاستغاثة، نحو يا لله للمؤمنين .

٣- والتعجب، نحو يا للماء .

وكقول الشاعر :

يا لكِ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خلا لكِ الجَوْ، فيضى واصفرى

٤- والتدكئة والتضجر والتحير، كما نرى في نداء الاطلاق والمنازل

والمطايا، قال الشاعر :

أيا منازلَ سلمى أينَ سلماكِ؟ مِنْ أجل هذا بكيناها بكيناكِ

٥- والتوجع والتحسر، كقوله :

فيا قبرٍ معنٍ كيفَ وارىتَ جوده وقد كان منه البرّ والبحر مُتّرعاً

وكقوله :

يا عينُ بكى كلَّ صباحٍ جودى بأربعة على الجراح

٦- والاختصاص، هو في الاصطلاح تخصيص اسم ظاهر أتى بعد

ضمير المتكلم^{٢٣٤} بيانا له، بحكم قد علق على ذلك الضمير . وهذا الاسم

يسكن ان يكون «ايّها» مع صفته، نحو : انا أكرم الضيف ايّهما الرجل . أو

معرفاً بأل، نحو : نحن العرب أقرى الناس للضيف . او معرفاً بالإضافة ،

نحو : نحن معاشر الانبياء لانورث . او معرفاً بالعلمية نحو : بنا تميما

يُكشف الضباب .

والمراد هاهنا، تخصيص ذلك الاسم اذا جاء على صورة المنادى،

بالحكم . مثل : نحن ذخائر الوطن ايّها الطلاب .

فالاصل فيه * تخصيص الطلاب بطلب الاقبال على المتكلم، ولكنه جرّد

٢٣٤- والمتكلم اعم من ان يكون وحده او مع الفير، فهذا الباب

يجبئ فيهما . راجع عبد الحكيم، ص ٣٧٠ .

اي في هذا المنادى ، واليه يرجع ضمير جرّد، او الى الطلاب باعتبار

المنادى .

من ذلك المعنى ونقل الى تخصيصه بما اسند الى ضمير «نحن» ، اذ ليس المراد بالطلاب شيئاً غير ما يدل عليه ضمير المتكلم .
 وفائدة الاختصاص اما التفاخر، نحو : أنا اكرم الضيف ايها الرجل .
 او التصاغر، نحو : انا المسكين ايها الرجل .
 او مجرد بيان المقصود بذلك الضمير نحو : انا ادخل ايها الرجل .
 ٧- والندبة، نحو : يا محمداه ! ، كأنك تدعوه وتقول له : تعال، انا مشتاق اليك^{٢٣٥}. فهذه المعاني كثيرة لا تنحصر فيما سبق بل يستخرج في كل مقام ما يناسبه . فيحمل نحو قول الشاعر :
 أيا منزلي سلمى، سلامى عليكما هل الأزمن اللائى مَضِين رواجع؟
 على التذكر .
 ونحو قوله :
 ايها القلبُ قد قضيتَ مراما فيلام الولوعُ بالشهوات؟
 على الزجر^{٢٣٦}.

العلاقة بين هذه الاغراض والمعنى الاصلى

اعلم ، انك اذا استعملت صيغ النداء في المعاني المتقدمة و قامت قرينة على عدم ارادة المعنى الحقيقي، لم يبق الا تكون مجازا يعتمد على علاقة بين المعنيين . فهذه العلاقة اما مشابهة، او اطلاق وتقييد، او عموم و خصوص .

٢٣٥- راجع المطول ١/٢٤٥-٢٤٦ .

٢٣٦- راجع جواهر البلاغة، ١٠٦ .

فمثلا العلاقة بين النداء والتعجب او التحسر والتوجع مشابهة، اذ كل منها ينبغى الاقبال عليه والاهتمام به وامتلاء القلب بشأنه .
والعلاقة بينه والاختصاص اطلاق وتقييد، وذلك لان اصل النداء للتخصيص بطلب الاقبال، ففى الاختصاص يجترّد من طلب الاقبال فيقيّد بالتخصيص بما نسب لمدلول الضمير .
والعلاقة فى الاستغاثة العموم والخصوص، لان صيغة النداء موضوعة لمطلق طلب الاقبال، والاستغاثة طلب الاقبال لخصوص الاغاثة^{٢٣٧}.

أساليب النداء

يجرى النداء على هذه الاساليب فى الاكثر :

- ١- يصحب الأمر والنهى، متقدما وهو الغالب، نحو : يا ايها الناس اعبدوا ربكم^{٢٣٨}. يا عبادى فاتقون^{٢٣٩}.
- يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله^{٢٤٠}.
- او متأخرا، نحو : وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون^{٢٤١}.
- ٢- يصحب الجملة الخبرية، متلوثة بجملة الامر، نحو : يا ايها الناس ضرب مثل، فاستمعوا له^{٢٤٢}. ونحو يا قوم هذه ناقه الله لكم... فذروها^{٢٤٣}.

٢٣٧- راجع شروح التلخيص مع حاشية الدسوقي ٢/٣٣٥-٣٣٧ .

٢٣٨- البقرة، ٢١ .

٢٣٩- الزمر، ١٦ .

٢٤٠- الحجرات، ١ .

٢٤١- النور، ٣١ .

٢٤٢- الحج، ٧٣ .

او غير متلوة بها، نحو: يا عبادى لاخوف عليكم اليوم^{٢٤٤}. يا ايها-
الناس انتم الفقراء الى الله^{٢٤٥}. يا ابت هذا تأويل رؤياى^{٢٤٦}.
٣- تصحبه الجملة الاستفهامية، نحو: يا ابت لم تعبد ما لا يسمع و
لا يبصر^{٢٤٧}.

— يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله^{٢٤٨}؟

— ويا قوم ما لى ادعوكم^{٢٤٩}؟

ثم ان اسلوب «يا ايها» من حقه ان يستعمل فى أمور عظام وخطوب
جسام، ومعان تستحق التيقظ والتنبيه لها، والاقبال بالقلب والبصيرة عليها،
وذلك لان فيه بلاغة ليست فى غيره .

وهذه البلاغة جاءت من التأكيد والتنبيه فى «يا» ومن التنبيه فى
«ها» ومن التدرج من الابهام فى «أى» الى التوضيح .
وهذا الاسلوب هو اكثر اساليب النداء فى القرآن الكريم^{٢٥٠}.

→

٢٤٣- الاعراف، ٧٣ .

٢٤٤- الزخرف، ٦٨ .

٢٤٥- فاطر، ١٥ .

٢٤٦- يوسف، ٤ .

٢٤٧- مريم، ٤٢ .

٢٤٨- التحريم، ١ .

٢٤٩- المؤمن، ٤١ .

٢٥٠- راجع الإتقان ٢/٨٥ .

المبحث السادس التمني

التمنى، هو طلب حصول شيء بشرط المحبة ونفى التوقع والطماعية في وقوعه، وذلك النفي اما لكون حصول الشيء مستحيلا، نحو : ليت الشباب يعود . ليت الانسان يعرف ماذا يكسب غدا . او لكونه ممكنا مقطوعا بعدم وقوعه، نحو : يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون^{٢٥١}.

فخرج بقيد بشرط المحبة، سائر أنواع الطلب لأن المحبة ليست بشرط فيها . أما نفي التوقع والطماعية، فلاخراج الرجاء خاصة اذا كان المتمنى ممكنا .

فالفرق بين الرجاء والتمنى فيما اذا كان المتمنى ممكنا، انه يشترط في التمني نفي التوقع والطماعية في حصول المطلوب بخلاف الرجاء . اعلم انه اذا كان المطلوب ممكنا ولم ينتف التوقع والطماعية، يستعمل له لعل وعسى . «ان كان فيه توقع يستعمل فيه لعل، وان كان فيه طمع يستعمل فيه عسى . والفرق بين التوقع والطمع ان الاول ابلغ من الثاني، ولهذا اخر الطماعية عن التوقع»^{٢٥٢}.

لقائل ان يقول : إن القوم لم يتفقوا على اشتمال الترجي على الطلب، بل قال بعض منهم : انه ليس بطلب بل هو ترقب الحصول^{٢٥٣}.

٢٥١- القصص، ٧٩.

٢٥٢- چلبى، بدون رقم الصفحة .

٢٥٣- دسوقى ٢/٢٣٩. هذا اشارة الى فرق آخرين الرجاء والتمنى.

كلمات التمني

اللفظ الموضوع للتمني المتعلق بالنسبة التي بين المسند والمسند اليه، والذي يدل عليه اصالة هو «ليت» لا غير^{٢٥٤}.

لكن المستعمل له أربع كلمات :

١- ليت .

٢- هل .

٣- لو .

٤- لعل^{٢٥٥} .

« ليت »

تستعمل «ليت» في التمني حقيقة لجريانه على الوضع والاصل، نحو :
يا ليتني كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً^{٢٥٥}.

« هل »

— «هي قد تستعمل في التمني تجوزاً اذا امتنع حملها على معناها

٢٥٤- مفتاح العلوم، ١٤٧ .

٢٥٥- النساء، ٧٣ .

الأصلي أعني حقيقة الاستفهام، كقوله تعالى حكاية عن الكفار : فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا^{٢٥٦}. فهل هاهنا لا يصح حملها على حقيقة الاستفهام، لأن الكفار يعلمون انه لا شفيع لهم والاستفهام يقتضى عدم العلم بالمستفهم عنه ثبوتاً او نفيًا، «فحمل الكلام على الاستفهام يؤدي الى التناقض»^{٢٥٧}. فتعين الحمل على معنى آخر غير ما وضع له لعلاقة، وذلك المعنى عبارة عن التمني، لانه لما حصل الجزم بانتفاء المستفهم عنه الذي هو مطلوب و محبوب لدى المتكلم، لم يبق الا طلب شيء لا يكون فيه توقع ولا طمعية في حصوله، وذلك هو التمني نفسه .

«فهل» مستعمل في التمني إما «على سبيل الاستعارة التبعية بان شبه التمني المطلق بمطلق استفهام بجامع مطلق الطلب في كل، فسرى التشبيه للجزئيات، فاستعيرت هل الموضوعه للاستفهام الجزئي للتمني الجزئي ، و إما على سبيل المجاز المرسل من استعمال المقيد في المطلق ثم استعماله في المقيد»^{٢٥٨}.

بلاغة «هل» في التمني

«والنكته في التمني بهل والعدول عن ليت، هو ابراز التمني، لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه»^{٢٥٩}.

٢٥٦- الأعراف، ٥٢ .

٢٥٧- دسوقي ٢/٢٤٠ .

٢٥٨- المصدر نفسه، ٢/٢٤٠ .

٢٥٩- مختصر مطول ٢/٢٤٠ .

« لو »

هي قد تأتي للتمنى وتحمل عليه، اذا كان المضارع الواقع بعد الفاء في جوابها منصوباً، نحو: ولو أن لنا كفرةً فنكون من المؤمنين^{٢٦٠}.
وذلك لانه قد تقرر في موضعه ان المضارع لا ينتصب بعد الفاء إلا في جواب النفي والامر والنهي والاستفهام والتمنى والعرض، ولم يصف احد على الاشياء الستة «لو».

فاذا انتصب المضارع بعد الفاء في جوابها، كان ذلك دليلاً على انها ليست واردة على أصلها وهو الشرطية والتعليق، فتعين الحمل على معنى آخر يجوز نصب المضارع بعد الفاء في جوابه، على سبيل التجوز.
والأولى بالحمل عليه بين الاشياء الستة التمنى، وذلك لان «لو» «في الاصل تدخل على المحال والممنوع، والمحال يُتمنى كثيراً»^{٢٦١}.

بلاغة «لو» في التمنى

نقل الدسوقي عن شيخه العدوي، ان النكتة في التمنى بلو والعدول عن ليت، هي عزة التمنى حيث أبرز في صورة ما لم يوجد لان «لو»

٢٦٠- الشعراء، ١٠٢.

٢٦١- دسوقي ٢/٢٤١.

بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع ٢٦٢.

ويمكن ان يقال : إن النكته هو ان المتمنى ليس نفسه مطلوباً، بل المتمنى في الحقيقة ما يتفرع على مدخول «لو» اعنى جوابه .
والعلاقة بين المعنى الاصلى والمجازى، انه «كما يفرض «بلو» غير الواقع واقعا، كذلك يطلب بليت وقوع ما لا طماعية في وقوعه» ٢٦٣.

« لعل »

هى قد تفيد معنى التمنى، و ذلك كقول عباس بن الاحنف :
أسرب القطا هل من° يعير جناحه لعلى إلى من° قد هويت° أطير
ذكرنا ان الفرق بين لعل وليت، أن لا توقع في حصول مطلوب الثانى
بخلاف الاول .

فالمرجو بلعل قد يكون بعيد الحصول فيشبه التمنى في عدم الحصول،
فصار ترجيه كأنه يتولد منه معنى التمنى فيعطى حكمه في نصب المضارع
بعده .

فعلى هذا ان لعل مستعمل فى معنى الترجى الموضوع له، وافادته
التمنى ليست على سبيل المجاز بل هى من مستتبعات التراكيب، أما إفادة
«هل» و «لو» معنى التمنى فهى بطريق المجاز كما سبق ٢٦٤.

٢٦٢- دسوقى ٢/٢٤١ .

٢٦٣- مطول، ٢٢٥ .

٢٦٤- راجع حاشية سيدعلى المطول، ٢٢٦، وحاشية عبدالحكيم،

قد يقع الخبر موقع الانشاء لأغراض، منها :

١- التفاضل وادخال السرور فى قلب المخاطب، نحو : وفَّقك الله للتقوى، اى اللهم وفقه للتقوى . فترك هذا الكلام الانشائي وعبر عنه، بالفعل الماضى الدال على تحقق الحصول للتفاضل .

٢- اظهار الحرص فى وقوعه، نحو : رزقنى الله لقاءك ، اى اللهم ارزقنى لقاءه، فعبر عنه بلفظ الماضى لان الطالب اذا عظمت رغبته فى شىء كثر تصوره اياه، فربما يخيل اليه حاصله فيورده بلفظ الماضى . فالتعبير بلفظ الماضى علامة الحرص والرغبة فى وقوع مدلول الانشاء .

فالتفاضل واطهار الحرص يختصان بالتعبير بلفظ الماضى فقط، ولا يجريان فى غيره . («والدعاء بصيغة الماضى من البليغ يحتملها») ٢٦٥.

٣- الاحتراز عن صورة الامر، كقولك لمن تعظمه وتبجَّله ولا تحب ان تخاطبه بما هو فى الظاهر أمر : يستمع مولاي لحظة الى كلامى، اى استمع لحظة ...

٤- حمل المخاطب على تحصيل المطلوب، كقولك لمن لا يجب ان يخالفك ويكذبك : تأتيني غدا، اى ايتنى غدا، فترك لفظ الانشاء وعبر عنه بالخبر حملا للمخاطب على الاتيان بألطف وجه . اذ لو لم يأت لصار المتكلم كاذبا فى الظاهر .

٥- التنبيه على كون المطلوب قريب الوقوع لقوة الأسباب . كقولك للاساتذة بعد اعطاء الفرصة وتمهيد اسباب البحث والتحقيق : تترجمون و تألفون وتدرسون .

٦- القصد الى المبالغة فى الطلب حتى كأن المخاطب سارع فى الامتثال، نحو قوله سبحانه وتعالى : «واذ أخذنا ميثاقكم، لا تسفكون

دعاء كم» ٢٦٦. لم يقل لا تسفكوا، قصدا للمبالغة في النهي، حتى كأنهم
نُهِوا فامتلأوا، ثم اخبر عنهم بالامثال ٢٦٧.

٧- الدلالة على الكمال في بذل النوال، كقولك: تعطيني. بدل
أعطيني، قاصدا بذلك ان المخاطب بلغ في بذل النوال الى حد الكمال.

٨- الاشعار بالاستغناء عن السؤال، كقولك: «سعيت في حاجتي
و رحمت ذلي وفقري وفاقتي، مقام اسع وارحم.

٩- الاحتراز عما يكرهه المخاطب من عدم التقوى، نحو: «وقفك
الله» بخلاف اللهم وفقه ٢٦٨.

فالخبر في هذه الصور مجاز او كناية ٢٦٩، وذلك لان حصول الفعل
في المستقبل لازم لطلب الفعل في الجملة، فذكر اللازم واريده الملزوم على
ما هو المعروف في الكناية.

فعلى هذا ان الكناية لا تجرى في التناؤل و اظهار الرغبة، لان حصول-
الفعل في الماضي ليس لازما لطلب الفعل في الجملة، فتعين كونهما مجازا
بعلاقة تشبيه غير الحاصل بالحاصل ٢٧٠.

وقد يُعكس فيقع الانشاء موقع الخبر للطائف منها:

١- اظهار العناية بالشيء والاهتمام بشأته، كقوله تعالى: «قل امر
ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد» ٢٧١ لم يقل: واقامة

٢٦٦- البقرة، ٨٤.

٢٦٧- جواهر البلاغة، ١٠٩.

٢٦٨- شرح المفتاح للسعد مخطوط، بدون رقم الصفحة.

٢٦٩- المطول، ٢٤٦.

٢٧٠- راجع عبد الحكيم، ٣٧١.

٢٧١- الأعراف، ٢٨.

وجوهكم، اشعارا بالعناية بأمر الصلاة لعظيم خطرها وجليل قدرها في الدين.
 ٢- التحاشي والاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق كقوله تعالى :
 قال إني اشهد الله، واشهدوا أني برىء مما تشركون من دونه^{٢٧٢}. لم يقل
 واشهدكم، تحاشيا وفرارا من مساواة شهادتهم بشهادة الله^{٢٧٣}.

٣- اظهار معنى الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الطلب، اظهارا الى
 درجة كأن المرضي مطلوب . قال كثير :
 أسئني بنا او أحسنى لاملومة .

فذكر لفظ الامر بالاساءة ثم عطف عليه بلفظ او الامر بضد الاساءة ،
 تنبيها بذلك على ان ليس المراد بالامر الايجاب المانع عن التراك، لكن المراد
 هو الاباحة التي لاتنافى تخيير المخاطب بين ان يفعل وان لايفعل . فاعلا
 كل ذلك لتوخي اظهار مزيد الرضا باي ما اختارت في حقه من الاساءة او
 الاحسان^{٢٧٤}.

اعلم ان وقوع الانشاء موقع الخبر في الامثلة السابقة يختلف عن
 وقوع الخبر موقع الانشاء، لان المراد بوقوعه موقع الخبر ان اسلوب الكلام
 وتركيبه من حيث التلاحم والتلاؤم يقتضى غير الانشاء ، لا ان الانشاء في
 هذا المقام استعمل في معنى الخبر . بخلاف وقوع الخبر موقع الانشاء في
 الامثلة المتقدمة، لان الخبر فيها قد أريد به الانشاء اما مجازا او كناية .

اما وقوع الانشاء موقع الخبر على سبيل المجاز فكقول النبي (ص) :
 إذا لم تستح فاصنع ما شئت . اى صنعت ما شئت . فصيغة الامر لم تستعمل

٢٧٢- هود، ٥٤ .

٢٧٣- جواهر الادب، ١٠٩ .

٢٧٤- شرح المفتاح للسعد .

في معناه^{٢٧٥}. وكقوله تعالى اصبروا او لاتصبروا، بناء على ان الامر للتسوية .

وقوله : فاتوا بسورة من مثله، اذ ليس المراد طلب اتيانهم بالسورة بل خبر بعجزهم^{٢٧٦}.

ونحو انا افعل كذا ايها الرجل، فانه خبر معنى^{٢٧٧}.

مواضع الإنشاء والخبر

إذا عرفت معنى الخبر والانشاء واقسامه، فاعلم انه ليس لاسلوب الإنشاء او الخبر موضع يخصصه وفن ينحصر فيه، فيجوز ان يتواردا في كل موضع وفن، ويستعملا لكل غاية وغرض، منفردين في بناء عمل أدبي، او مختلطين .

فمثال انفراد الاسلوب الخبري بتكون القطعة الأدبية، قول ابن العميد في التهديد واللوم :

كتابي وانا مترجح بين طمع فيك ويأس منك، واقبال عليك و
اعراض عنك . فانك تدلّ بسابق حرمة، وتمتّ بسالف خدمة، أيسرهما
يوجب رعاية ويقتضى محافظة وعناية . ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة ،
وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يجبط أعمالك، ويسحق كل
ما يرى لك .

٢٧٥- جمع الجوامع ٢١٢/١ .

٢٧٦- راجع عروس الافراح ٣١٨/٢ و ٣١٦/٢ .

٢٧٧- دسوقي ٣٣٦/٢ .

لاجرم أنى وقت بين ميل إليك وميل عليك : أقدم رجلا لصدك
و أؤخر أخرى عن قصدك، و ايسط يد الاصلامك واجتياحك، و أثنى
ثانية لاستبقائك واستصلاحك، و اتوقف عن امثال بعض الأمور فيك .
ضناً بالنعمة عندك، و منافسةً في الصنعة لديك ، و تاملًا لقيمتك و
انصرافك، و رجاء لمراجعتك و انعطافك . فقد يغرب العقل ثم يؤوب، و
يعزب اللب ثم يثوب، و يذهب الحزم ثم يعود، و يفسد العزم ثم يصلح، و
يضع الرأي ثم يستدرك و يسكر المرء ثم يصحو، و يكدر الماء ثم يصفو .
و كل ضيقة الى رخاء، و كل غمرة الى انجلاء .

و كما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه او لياؤك فلا بدع ان
تأتى من احسانك بما لا ترتضيه اعداؤك . و كما استمرت بك الغفلة حتى
ركبت ما ركبت و اخترت ما اخترت، فلا عجب ان تنتبه انتباهة تبصر فيها
قبح ما صنعت و سوء ما آثرت .

و سأقيم على رسمى فى الابقاء و المماطلة ما صلح، و على الاستيفاء
و المطاولة ما امكن، طمعا فى انابتك و تحكيما لحسن الظن بك .
فلست اعدم فيما أظاهره من اعدار و ارادفه من انذار، احتجاجا
عليك و استدراجا لك .

فان يشاء الله يرشدك، و يأخذ بك الى حظك و يسدّدك، فانه على كل
شئ قدير، و بالاجابة جدير^{٢٧٨} .

و مثال انفراد الاسلوب الانشائى ببناء القطعة الادبية، قول عبد الله بن
جعفر الطالبى فى النصيحة :

إذا كنت فى حاجة مُرسلاً
و ان بابُ أمر عليك التوى
فأرسل حكيمًا ولا تُوصه
فشاوِرَ ليبيًا ولا تعصه

وان ناصح" منك يوماً دنا
 وذا الحق لا تتقص حقه
 ولا تذكر الدهر في مجلس
 ونص الحديث الى اهله ،
 وكم من فتى عازت لبته
 و آخر تحسبه انوكا
 فلاتأ عنه ولا تقصه
 فإن القطيعة في نقصه
 حديثاً ، إذا انت لم تحصه
 فان الامانة في نصه
 وقد تعجب العين من شخصه
 ويأتيك بالأمر من نصه

فالقطعة الادبية كلها تكونت من اسلوب الانشاء الطلبي اعنى الامر والنهى، وغير الطلبي وهو كم الخبرية^{٢٧٩}.

ومثال اختلاط الانشاء بالاخبار - وهو الاكثر - قول هانئ بن قبيصة الشيباني في تحريض قومه على القتال يوم ذي قار :

يا معشر بكر، هالك معذور خير من ناج فرور، ان الحذر لا ينجي
 من القدر، وان الصبر لمن اسباب الظفر. المنيّة والالديّة . استقبال الموت
 خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور اكرم منه في الاعجاز والظهور .
 يا آل بكر، قاتلوا فما للمنايا من بد^{٢٨٠}.

وفي الختام نضيف ان الخبر والانشاء وان كانا يتوردان في كل عمل ادبي ولكل غاية وغرض، الا ان الانسب ببيان الحقائق العلمية، و وصف الطبيعة، وسرد القضايا التاريخية الاسلوب الخبري ، او الاكثر منه . كما ان الاجدر بالخطابة ومقام الترغيب والترهيب والدعوة الى العمل او الترك هو اسلوب الانشاء .

٢٧٩ - علم المعاني، ٦٦ .

٢٨٠ - الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ٢٨ .

الفصل الرابع : فى القصر

القصر لغة واصطلاحا

القصر فى اللغة، الحبس . جاء فى القرآن الكريم : حور مقصورات فى الخيام^{٢٨١}، أى محبوسة فيها .

وفى الاصطلاح ، تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص . و ذلك كقول لبيد بن ربيعة العامرى :

وما المال والاهلون إلاّ ودیعة^{٢٨٢} ولا بدّ يوماً ان تُردّّ الودائعُ
ففى هذا البيت قد خصص المال والاهل من طريق «النفى والّا» ،
بالودیعة . ىسمى الشىء المخصص فى الاصطلاح مقصورا او محصورا ،
والشىء المختص به مقصورا عليه او محصورا عليه، ويسمى المقصور
والمقصور عليه طرفى القصر .

القصر والتخصیص يستلزم دائما النفى والاثبات، و ذلك اعم من ان
يكونا مذکورین فى الكلام مثل البيت السابق، او غير مذکورین، نحو :
ایّاك نعبد وایّاك نستعین .

ثم القصر انما يتصور لشيئين بينهما نسبة، لان القصر فى الحقيقة صفة
للسببة، والمراد من النسبة اعم من النسبة الاسنادية اعنى ثبوت شىء لشىء،
والتعليقية اعنى تعلق شىء بشىء على نحو من الأنحاء .

فعلى هذا ان القصر فى ما ضرب زيد الا عمرا، قصر لضرب زيد على

٢٨١- الرحمن، ٧٢ .

٢٨٢- وىروى ودائع .

عمرو . وما قيل انه من قصر الفاعل على المفعول فمن التجوز، والمراد قصر ضاربية زيد على عمرو، فيكون من قبيل قصر الصفة على الموصوف، أعنى المنسوب والمنسوب اليه في المعنى لا في اللفظ^{٢٨٣}.

مواقع القصر

إذا عرفت ان القصر لا يقع بين شيئين الا بشرط وجود نسبة اسنادية او تعليقية بينهما، فاعلم ان القصر يقع في الموارد الآتية :

١- بين كل مسند ومسند إليه، نحو : إنما الحياة الدنيا لعب و لهو^{٢٨٤}. لا يخاف إلا الخائن . لا تكسر بهبوب الرياح إلا الأشجار^{٢٨٤} الباسقة .

٢- بين جميع متعلقات الفعل ما عدا المصدر المؤكد والمفعول معه، فيجرى القصر مع هذه المتعلقات :

- مع الفاعل والمفعول، نحو : لا يعلم الغيب إلا الله .
- المفعولين، نحو : ما أعطيته إلا كتابا .
- المجرور، نحو : ما سمعت هذا الحديث إلا منه .
- الظرف، نحو : لا يقاتل الجندي البطل إلا أمام الصفوف .
- الحال، نحو : لا يدعو المؤمنون ربهم إلا مخلصين له الدين .
- التمييز، نحو : ما صغر اللثيم إلا نفسا .

٢٨٣- عبد الحكيم، ٣٢٦ .

٢٨٤- محمد، ٣٦ .

— الصفة، نحو: ما عرفت زائراً إلاّ الوالدين كامل الشفقة^{٢٨٥}.

— البديل، نحو: ما قال لى احدٍ إلاّ أخوك.

— المفعول له، نحو: ما أشعلت المصاييح إلاّ إفاضةً للشوارع.

أمّا المصدر المؤكّد فإنهم أجمعوا على منع التقصر بينه وبين الفعل^{٢٨٦}،

فلا يقال: ما رميت إلاّ رمياً، وما جاء في القرآن الكريم: ان ظنن الا ظنا^{٢٨٧}، فمعناه إلاّ ظنا ضعيفاً، فهو مصدر نوعى.

واما المفعول معه، فلا يجيء بعد «الإ» فلا يقال: ما سرت إلاّ

والنيل، وذلك لان ما بعد «الإ» كأنه منفصل من حيث المعنى عما قبله،

لمخالفته له تقياً او اثباتاً. فتؤذن «الإ» من حيث المعنى بنوع من الانفصال،

وكذلك الواو، فاستهجن عمل الفعل مع حرفين مؤذنين بالفصل. ولهذا

الدليل نفسه لا يقع عطف النسق بعد «الإ» فلا يقال: ما قام زيد إلاّ و

عمرو. واما وقوع الواو الحال بعدها فى نحو: ما رأيت عاقلاً إلاّ وقلبه

أمام لسانه، فلعدم ظهور عمل الفعل لفظاً بعد الواو^{٢٨٨}.

٢٨٥— اعلم ان القصر فى الصفة بالنفى والاستثناء كالمثال المتقدم إنما

يأتى اذا لم يعلم قطعاً دخول ما بعد «الإ» فى ما قبلها، فتكون «الإ» فى هذه

الصورة بمعنى «غير» وتحمل على الصفة، ولكن اعرابها يظهر فيما بعدها. واما

اذا علم دخول المستثنى قطعاً فى المستثنى منه، فلا يكون ما بعد إلاّ صفة

بل بدلاً.

٢٨٦— لعل دليل الاجماع هو انه يلزم فى القصر ان يكون الطرفان

متغايرين، وذلك منتف فى المصدر المؤكّد مع فعله.

٢٨٧— الجاثية، ٣١.

٢٨٨— راجع الدسوقى ٢/٢٢٤.

أقسام القصر

١- القصر باعتبار الطرفين

ينقسم القصر باعتبارات مختلفة الى اقسام، فينقسم باعتبار الطرفين الى قسمين :

١- قصر الموصوف على الصفة .

٢- قصر الصفة على الموصوف .

فالمراد بالصفة هنا ليس ما يعنيه النحويون، اعنى التابع الذى يدل على معنى فى متبوعه، بل تفسر تارة با«لمعنوية» وتارة ب«المعنى القائم بالغير»^{٢٨٩}.

قال الدكتور درويش الجندى: «المراد بها ما يقابل الذات، وهو المعنى الذى يقوم بغيره سواء دل عليه بالوصف ك«كاتب» فى قولك : ما زيد الا كاتب، او دل عليه بغير الوصف كالفعل فى قولك : ما زيد الا يكتب . والمراد بالموصوف هنا كل ما يقوم به غيره، والغالب ان يكون دالا على ذات كما فى الامثلة السابقة، وقد يدل فى نفسه على معنى قائم بغيره، كما فى قوله تعالى : «ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى»^{٢٩٠} فقد قصرت العبادة على التقريب قصر موصوف على صفة، مع ان العبادة - و هى المقصود - تدل فى نفسها على معنى قائم بغيره»^{٢٩١}.

٢٨٩- راجع الايضاح، ١٦٩/٢ والتلخيص مع المطول، ١٦٢ .

٢٩٠- الزمر، ٢ .

٢٩١- علم المعانى، ١٣٠ .

فالنسبة بين الصفة المعنوية وبين النحوية عموم وخصوص من وجه ، لتصادفها في نحو : اعجبتني هذه التضحية ، وانفراد الصفة المعنوية في نحو : يقدم شعبنا نفسه الى العالم ببطاقة الاستشهاد والتضحية ، وانفراد النحوية في نحو : أحسن بهذا الرجل .

لا يقال : كيف يمكن تصادق الصفة المعنوية والنحوية في مادة ، وهما متباينتان ، لان النحوية من مقولة اللفظ والمعنوية من مقولة المعنى .
لانا نقول : المراد من التصادق التحقق والاعتبار ، وان كانت الجهة والحشية متغايرة فيهما .

ولك ان تقول : ان هذا التقسيم غير حاصر لجميع افراد القصر باعتبار الطرفين ، وذلك لان منها قصر الموصوف على الموصوف . مثل قول المعري :

وان° كان في لبس الفتى شرف° له

فما السيف° إلا° غمده° والجمائل°

فليس واحد من طرفي القصر وهما السيف والغمدة بصفة .

وأجيب بان المراد من الصفة - وهي المعنى القائم بالغير - يعم ما كان تحقيقيا او تقديريا . فعلى هذا يقدر قول المعري بـ «فما السيف الا° كونه غمده...» او «فما السيف الا° مقصور على الاتصاف بكونه غمدا...» فيؤول الكلام الى قصر الموصوف على الصفة .

هذا اذا اعتبر التقدير في جانب المقصور عليه ، اما اذا اعتبر التأويل في جانب المقصور ، فيقدر حينئذ بـ «فما كون السيف الا° غمده» و يؤول الكلام الى قصر الصفة على الموصوف ٢٩٢ .

فظهر مما تقدم ان ما يشبه قول المعري يحتمل وجهين : قصر الموصوف

على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف، ويتغير المعنى على حسب التأويل والتقدير. فيعتبر حصران في حصر واحد «لكن يترجح المتبادر من التركيب منهما» ٢٩٣.

بقيت هنا نكتة، وهي ان التأويل او التقدير كما يصح اعتباره في الصفة المعنوية يصح اعتباره في النحوية ايضا، فيقدر قولك : احسن بهذا الرجل، باتصاف المشار اليه بكونه رجلا . فتكون الصفة المعنوية أعم مطلقا من- النعت النحوي ٢٩٤.

وعندي أن الأولى ان تفسر الصفة بالمنسوب او المسند، والموصوف بالمنسوب اليه او المسند اليه . لان الملحوظ في المسند اليه الذات او ما يقوم به الغير، بخلاف المسند او المنسوب، فالملحوظ فيه جهة القيام بالغير. ويمكن ارجاع جميع مواقع القصر الى القصر بين المسند والمسند اليه ، او المنسوب والمنسوب اليه تحقيقا او تقديرا . كان نقول مثلا في لا يدعو المؤمنون ربهم الا مخلصين... : ما المؤمنون الا مخلصون، او ما دعاء المؤمنين الا في حال الإخلاص . وفي «ما صغر اللئيم الا نفسا» ما صغر اللئيم الا في النفس، وقس عليهما بقية مواقع القصر .
فما كان المقصور في التأويل مسندا اليه والمقصود عليه مسندا، فهو من قبيل قصر الموصوف على الصفة ، وما كان بالعكس فهو من قبيل قصر الصفة على الموصوف .

٢- القصر باعتبار الحقيقة والواقع

ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع الى قسمين ايضا :

٢٩٣- مواهب الفتاح، ٢/ ٢٢٤ .

٢٩٤- المصدر نفسه، ٢/ ١٧١ .

١- حقيقى .

٢- غير حقيقى .

والحقيقى، عبارة عن اختصاص المقصور بالمقصور عليه فى الواقع و نفس الامر، بحيث لا يتجاوزه الى غيره أصلاً . ويقال ايضا : والحقيقى تخصيص المقصور بالمقصور عليه بالنسبة الى جميع ما عداه . نحو : لا يبقى الا وجهه ولا يدوم الا ملكه . فالبقاء والدوام مقصوران فى الحقيقة و نفس الامر على الله تعالى وملكه وقدرته، ولا يتحققان فى غيرهما ابدا .
وانما سمي هذا النوع من القصر بالحقيقى، لان حقيقة القصر تنافى الاشتراك، «ولذلك يتبادر هذا المعنى عند اطلاق التخصيص وما فى معناه» ٢٩٥ .

وغير الحقيقى، هو تخصيص المقصور بالمقصور عليه، بمعنى انه لا يتجاوزه الى بعض ملحوظ، لا الى جميع ما عدا المقصور عليه . ويسمى هذا القسم القصر المجازى والاضافى ايضا . ومثال ذلك قولك : وما الشباب الا ضيف مرّ تحل . فالشباب فى الواقع ليس مقصورا على الوصف بانه الضيف المرتحل، بمعنى انه لا يوصف بصفة اخرى . بل انما وقع القصر والتخصيص بالنسبة الى أن الشباب ليس بدائم ولا باق، كما قال فيلسوف المعرة :

سار الشباب فلم يعرف له خيراً
و رأينا خيالاً منه مُنتاباً
إن الشبيبة نار، إن اردت بها
أمراً، فبادره إن الدهر مطبقها
اعلم انه قد يقصد بالقصر حقيقيا او غير حقيقى المبالغة، لعدم الاعتداد

٢٩٥- حاشية السيد على المطول، ٢٠٤ . هذا اذا اطلق الحقيقى على

ما يقابل المجازى، واما اذا اطلق على ما يقابل الاضافى فالتسمية بالحقيقى باعتبار ان القصر فيه بالنسبة الى جميع ما عدا المقصور عليه .

بما عدا المقصور عليه كله او بعضه، فتصير الاقسام أربعة :

١- القصر الحقيقي تحقيقاً، بمعنى ان المقصور لا يوجد في غير المقصور عليه في الواقع، من غير قصد المبالغة . و ذلك نحو : لا يُنِيرُ القمرَ الا شمسٌ نهارِنا .

٢- القصر الحقيقي مبالغة، بمعنى ان تخصيص المقصور بالمقصور عليه وعدم تجاوزه منه، مبنى على المبالغة وعدم الاعتداد بغير المذكور ، و ذلك لوجدان المقصور في غير المقصور عليه تحقيقاً. كقول ابي العتاهية: **ألا إلى الله تصير الامور** ما أنت يا دنياي الا غرور .

٣- القصر الاضافي تحقيقاً، بمعنى تخصيص المقصور بالمقصور عليه بالنسبة الى بعض معين لا يوجد المقصور فيه تحقيقاً، كقولك: شرف الفتى بعلمه لا بلبسه .

٤- القصر الاضافي مبالغة، بمعنى ان المقصور وان كان يوجد في ما عدا المقصور عليه المعين، لكن ينفي وجوده فيه ادعاء ، لعدم الاعتداد بذلك البعض المعين، كقولك : شرف الفتى بعلمه لا بكرمه . فالشرف كما يكون في العلم يكون في الكرم ايضا، لكن يمكن ان يدعى في مقام الاهتمام بشأن العلم بقصر الشرف على العلم ونفيه عن الكرم .

فهذه الاقسام الأربعة، اما قصر الموصوف على الصفة او قصر الصفة على الموصوف، فتصير الاقسام ثمانية . غير ان قصر الموصوف على الصفة قصر ا حقيقياً على وجه التحقيق - مثل : لم يكن جمال الدين الاسد آبادي الا حراً على المستعمرين - لا يكاد يوجد، لتعذر الاحاطة بصفات الشيء حتى يمكن اثبات شيء منها ونفى ما عداها بالكلية . وايضا للصفات المنفية تقاض لا يصح نفيها، لامتناع ارتفاع النقيضين . فاذا اريد في المثال -

المذكور ان جمال الدين لا يوصف بغير كونه حربا على المستعمرين، لزم ان لا يوصف مثلا بالقيام ولا بنقيضه وهو محال^{٢٩٧}.

اما قصر الصفة على الموصوف، فلا تعذر ولا تعسر في وقوعه. بل منه ما يقع كثيرا، مثل: لا إله إلا الله. و ما خاتم الأنبياء الا المصطفى (ص).

فان قلت: ما الفرق بين القصر الحقيقي مبالغة، وبين القصر الاضافى تحقيقا او مبالغة؟ قلت: انهما وان كانا يشتركان في صحة اتصاف المقصور بغير المقصور عليه، الا ان النفي في الحقيقي على وجه المبالغة يتوجه الى جميع ما عدا المقصور عليه، فيقتضى عدم الاعتداد بغيره كله. وايضا لا يشترط فيه اعتقاد المخاطب على احدى الصور المعتبرة في الافراد، والقلب، والتعيين، التي ينقسم اليها القصر الاضافى.

وفي القصر الاضافى، يتوجه النفي وعدم الاعتداد الى بعض ما عدا المقصور عليه، ويشترط فيه اعتقاد المخاطب على احدى الصور الملحوظة ايضا^{٢٩٨}.

بقى ان يقال: ان الادعائى من الحقيقي يستاز من الاضافى الحقيقي، بانه لا يتحقق في نفس الامر والواقع، فيعتبر مجازا لا كذبا لبنائه على التأويل. اما الاضافى الحقيقي فيتحقق في الواقع ونفس الامر اذا كان صادقا، و اذا لم يتحقق اعتبر كاذبا بالنسبة الى القصر والتخصيص لخلو الكلام من تاويل يبرر عملية القصر.

٢٩٧- راجع التخليص مع المطول، ١٦٢.

٢٩٨- راجع حاشية السيد، ٢٠٦.

٣- القصر باعتبار اعتقاد المخاطب

ينقسم القصر من هذه الناحية الى ثلاثة اقسام :

١- قصر افراد .

٢- قصر قلب .

٣- قصر تعيين .

فالأول ما كان المخاطب به من يعتقد وجود المقصور فى المحصور عليه وغيره، بمعنى انه يعتقد شركة صفتين او اكثر فى موصوف واحد فى قصر الموصوف على الصفة، وشركة موصوفين او اكثر فى صفة واحدة فى قصر الصفة على الموصوف، فينفى المتكلم الشركة ويخص المقصور بالمقصور عليه فقط . و ذلك كقول المعرى :

خَفَّفَ الوَطءَ ما أَظنَّ اديمَ الـ أرضِ ، إلاَّ مِنْ هذِهِ الأَجْسَادِ
فى قصر الموصوف على الصفة، اذا كان المخاطب من يعتقد تكوّن الارض من الأجساد ومادة اخرى غيرها .

وكقولك : عند الامتحان يُكرمُ المرءُ او يُهانُ .

فى قصر الصفة على الموصوف، اذا كان من تخاطبه بهذا الكلام رجلا يعتقد بوجود الاكرام والاهانة فى الامتحان وغيره .

انما سمي هذا القسم افراداً، لانك نقيت الشركة التى اعتقدها المخاطب، وافردت المحصور بالمحصور عليه .

ويشترط فى قصر الموصوف على الصفة افراداً عدم تنافى الوصفين ، فلا يكون مفهوم احدهما عين نفى الاخر كالمفحمة والشاعرية، ولا ملزوما له لزوماً بيئناً يحصل فى الذهن بحصوله كالقعود والقيام . اذ لو كان كذلك لم يتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما، لان امتناع اجتماع النفي والايجاب

من أجلى البديهيّات فلا يتحقق قصر الافراد لا بتناؤه على اعتقاد الشركة .
وفى قصر الصفة على الموصوف عدم تنافى الاتصافين ، والا لم يتأت
الاعتقاد من جانب المخاطب بشركة الموصوف المذكور وغيره فى تلك الصفة
ولم يقع قصر الافراد، كما ترى فى قولك : لا أبَ لزيدٍ الا عمرو .
فلا بؤة مما لا يصلح قيامه بمحلين^{٢٩٩}.

والثانى - ما كان المخاطب به من يعتقد عكس الحكم الذى اثبتته
المتكلم . كقولك لمن يعتقد ان اخاك غير صائم : ليس اخى الا صائما ،
ولمن يعتقد ان شاعر الرسول غير حسان بن ثابت : ليس شاعر الرسول الا
حسان بن ثابت .

سمى هذا القسم بقصر القلب لما فيه من قلب حكم المخاطب كته
من جانب المتكلم .

والثالث - ما كان المخاطب^{٣٠٠} به مترددا بين ثبوت المقصور عليه و
غيره للمقصور «اعنى الاتصاف بالصفة المذكورة وغيرها فى قصر الموصوف،
واتصاف الامر المذكور وغيره بالصفة فى قصر الصفة»^{٣٠١} وذلك مثل قولك
لمن يتردد بين جوعك وعطشك : ما انا الا جائع، ولمن يتردد فى حفر
بئر زمزم بين عبدالمطلب وابى طالب : ما حافر بئر زمزم الا عبد-
المطلب .

فرفعت فى كل من المثالين تردد المخاطب، وعينت ما كان غير
معين عنده، ولهذا سُمى هذا القسم بقصر التعيين .

٢٩٩- راجع حاشية عبدالحكيم، ٣٣١ وحاشية الدسوقي ١٨٢/٢ .

٣٠٠- قد يخاطب بهذه الاقسام من يعتقد ان المتكلم يعتقد الشركة ،

او عكس الحكم المذكور، او يتردد بين ثبوت المقصور عليه وغيره .

٣٠١- المختصر، ١٨١/٢ .

ثم ان كلا من قصر القلب والتعيين يتحقق مع تنافى الوصفين او-
الاتصافين ومع عدمه، خلافا للخطيب القزوينى فى اشتراطه التنافى فى قصر
القلب .

وان كلا من الافراد والقلب والتعيين يجرى مع قصر الموصوف على
الصفة ومع قصر الصفة على الموصوف كما رأيت، غير ان الظاهر من عبارة
الايضاح والتلخيص^{٣٠٢} اختصاص تلك الاقسام بالاضافى وعدم جريانها
فى القصر الحقيقى

وعلله التفتازانى بقوله: «اذ العاقل لا يعتقد اتصاف امر بجميع الصفات،
ولا اتصافه بجميع الصفات غير صفة، ولا يردده ايضا بين ذلك . وكذا
اشترك صفة بين جميع الامور»^{٣٠٣}.

وفيه نظر اذ لا مانع فى قصر الصفة على الموصوف ان يعتقد المخاطب
حقيقة او ادعاء اتصاف كل شىء بصفة من الصفات او اتصاف غير من
أثبتت له، بها . وكذلك لا مانع فى قصر الموصوف على الصفة، ان يعتقد
المخاطب اتصاف امر بجميع الصفات او اتصافه بجميع الصفات غير صفة
ادعاء . نعم ان وجود الاعتقاد فى الاضافى اكثر واطهر وان الحقيقى لا يقصد
به فى الغالب تقى الاعتقاد^{٣٠٤}.

طرق القصر

سبق ان القصر فى الاصطلاح هو تخصيص شىء بشىء بطريق

٣٠٢- شروح التلخيص ١٧٥/٢ .

٣٠٣- المطول، ٢٠٧ .

مخصوص ، ومعنى هذه العبارة ان عمل التخصيص لا يتأتى فى الكلام مطلقا وكيفما يجرى على اللسان، بل يحتاج الى رعاية امور واعتبار أسباب فى الكلام بحيث اذا خلا منها لم يقع القصر .
فهذه الامور والأسباب، تسمى طرق القصر. وهى كثيرة ، فنكتفى هاهنا على اشهرها، منها :

١- العطف بحروف تقتضى ثبوت ضد حكم ما قبلها لما بعدها ، و هى «لا» و «لكن» و «بل»، و ذلك كقول عنتر بن شداد العبسى :
وإذا غبار الخيل مدَّ رواقه سكرى به، لا ما جنى العنقود
وقوله ايضا :

فيا رب لا تجعل حياتى مذممة ولا موتى بين النساء النوائح
ولكن قليلا يدرج الطير حوله وتشرب غربان الفلا من جوانحى
وقول المتنبى :

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها الى أوقاتها
وشك بعضهم فى افاضة العطف القصر، وقال انه لا يدل الا على اثبات
ونفى، فقولك : الحر يتحمل الجوع لا المذلة، بمنزلة الحر يتحمل
الجوع والحر لا يتحمل المذلة . و ذلك لا يكفى فى القصر، لانه انما يكون
بنفى جميع الصفات حقيقة او مجازا، فليس خاصا بنفى الصفة التى يعتقد
المخاطب^{٣٠٥}.

اقول : ليس المعطوف دائما صفة خاصة، بل يمكن ان يكون شيئا
عاما . وايضا ان العطف كما يجرى فى القصر الحقيقى تحقيقا او ادعائيا ،

→

٣٠٤- راجع المواهب ٢/ ١٧٧ .

٣٠٥- راجع عروس الافراح ٢/ ١٨٧ .

يجرى فى الاضافى حتى انه اشتهر عندهم ان القصر بالعطف لا يكون الا اضافيا^{٣٠٦}، ومن المعلوم ان النفى فيه يتوجه الى ما يعتقده المخاطب^{٣٠٧}.
على انا لانسلم ان العطف لا يدل الا على اثبات ونفى، بل العطف يدل على اثبات ونفى وتاكيد، وهذا هو معنى الحصر بعينه . والدليل على ذلك انهم قالوا: «لا يعطف بـ» («لا» الا بشرط ان يتضمن ما قبلها - بمفهوم الخطاب - نفى الفعل، فيكون الاول لا يتناول الثانى، نحو جاءنى رجل لا امرأة، وعالم لاجاهل، فلو قلت : مررت برجل لا عاقل لم يجز، إذ ليس فى مفهوم الكلام الاول ما ينفى الفعل عن الثانى. فهى لا تدخل الا لتأكيد الثانى .

فإذا اردت ذلك المعنى جئت «بغير» فتقول : مررت برجل غير عاقل وغير زيد^{٣٠٨}.

واشترط فى القصر بـ «بل» افادتها ثبوت ضد حكم ما قبلها لما بعدها مع تقرير النفى لما قبلها . واما اذا كان لنقل حكم ما قبلها لما بعدها وجعل ما قبلها مسكوتا عنه حتى بعد النفى كما قيل، فلا يكون قصر^{٣٠٩}.
قال المعرى فى رثاء والده :

فهل انت - ان ناديت رمسك - سامع

نداء ابنك المفجوع ، بل عبدك القن ؟

٣٠٦- راجع المواهب ١٩١/٢ وحاشية الدسوقي ١٨٦/٢ .

٣٠٧- فيكون القصر حينئذ قلبا او افراد او تعيينا، ولكن كلام الشيخ

صريح فى ان «لا» تاتى لقصر القلب فقط .

٣٠٨- عروس الافراح ١٨٩/٢ .

٣٠٩- راجع المواهب ١٩٠/٢ .

٢- النفي والاستثناء ، كقوله تعالى : «وما محمد إلا رسول»
 قد خَلَتْ من قبله الرسلُ ، أفإن ماتَ او قَتِل انقلبتم على
 أعقابكم؟»^{٣١٠} في قصر الموصوف على الصفة . وقول عنتره :

ولا عاش الا مَنْ يُصاحب فِتية

غَطاريفَ ، لا يعينهم النحسُ والسعدُ

في قصر الصفة على الموصوف .

ليس النفي والاستثناء يختصان بأداة معينة دون اخرى ، بل يعم النفي
 أى أداة تقييد معنى النفي مثل «ليس» و «إن» و «لا» واداة الاستفهام اذا
 استعملت في النفي ، ويشمل الاستثناء ايضا «الا» واخواتها ، مثل «سوى»
 و «غير» و «حاشا» و «عدا» وغيرها . قال موسى شهوات في عبدالله بن
 عسرين عثمان :

ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ عابَهُ الناسُ ، غيرُ أنكَ فاني
 وقال قابوس بن وشمكير :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر إلا من له خطرٌ؟

اعلم انهم اختلفوا في افادة الاستثناء القصر ، فذهب بعضهم الى ان
 الاستثناء يفيد القصر سواء كان مع النفي ام لا ، فعلى هذا كان قوله تعالى :
 «إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا...»^{٣١١} قصراً لعدم الخسران على
 الذين آمنوا^{٣١٢} .

و رأى صاحب مواهب الفتاح ان الاستثناء في الكلام الموجب لا يعد
 من طرق القصر ، اذ الغرض من ذلك الكلام الاثبات ، والاستثناء فيه يعتبر

٣١٠- آل عمران ، ١٤٤ .

٣١١- العصر ، ٢ .

٣١٢- راجع عروس الافراح ١٩١/٢ .

قيدا . فقولك : يُمدح المناضلون ويلام القاعدون الاّ اولى الضرر ،
 كان بمنزلة : يلام القاعدون المغايرون لاولى الضرر . فلو كان الاستثناء في
 هذه الحالة من طرق القصر لكان «غير ذى عدد» في قول قابوس :
 ففي السماء نجومٌ غيرٌ ذى عدد وليس يكسّف الاّ الشمس والقمرُ
 ايضاً من طريقه .

بخلاف ما اذا كان الكلام منفيًا - سواء كان المستثنى منه مذكورًا ام
 لا - فان الغرض فيه النفي ثم الاثبات المُحقّقان للقصر^{٣١٣} .
 واما السكاكي فقد اقتصر في هذا المجال على النفي والاستثناء ، ولم
 يتعرض الى الاستثناء في الكلام الموجب . ولكن قال شارحه الفاضل
 «السيد الشريف» : «واما الاستثناء من الاثبات كقولك جاء القوم الاّ زيداً
 فلم يعد من طرق القصر»^{٣١٤} .

ويستفاد من حاشية الشارح في تعليل افادة النفي والاستثناء القصر
 افراداً او قلباً : أن هذا الحكم جارٍ في المفرغ وما يؤول اليه ، يعني ما
 اذا صرّح فيه بمقدر كليّ . لان المستثنى فيهما جزئى من جزئيات المستثنى
 منه ، فيحسن ان يعتبر اعتقاد المخاطب الشركة او العكس او تردده ، لاختلاف
 الجزئيات في الاحكام . واما اذا كان المستثنى جزءاً من المستثنى منه
 كما في قولك ما جاءني القوم الاّ زيداً ، فلا يحسن ذلك الاعتبار ، لقلّة
 تخالف الاجزاء في الاحكام^{٣١٥} .

لقد اشار المحشى المُحقّق عبد الحكيم في حواشيه على المطّول الى

٣١٣- راجع المواهب ٢/ ١٩١ .

٣١٤- شرح المفتاح ، بدون رقم الصفحة ، مخطوط بمكتبة «آستان

قدس» تحت رقم ٤٠٨١ .

٣١٥- حاشية السيد على شرح المفتاح ، مخطوط .

ما نقلنا من شرح المفتاح وحاشيته، ثم قال: «والتحقيق ان القصر مختص بالنفى والاستثناء المفرغ وما فى حكمه مما يكون المستثنى جزئيا للمستثنى منه، لانه حينئذ يكون المقصود به الاثبات الذى يستفاد من المستثنى وانما ذكر النفى تاكيدا لاثباته، فيكون حكما واحدا متضمنا للاثبات القصدى والنفى التبعى. بخلاف ماسواهما، فان الحكم فى المستثنى منه مقصود اصالة، وكذا الحكم على خلافه فى المستثنى... فكلما الحكمين من الاثبات والنفى مقصودان بالافادة، ثابتان بنفس اللفظ...

فاذا كان الحكمان مقصودين من الكلام لا يكون مفيدا للقصر، لانه حكم واحد وهو تخصيص شىء بشىء يتضمن الاثبات القصدى والنفى التبعى»^{٣١٦}.

والذى يدل عليه كلام الخطيب هو ان طريق النفى والاستثناء انما يفيد القصر اذا كان الاستثناء مفرغا، لانه يبين سبب افادة النفى والاستثناء القصر بين المبتدا والخبر والفاعل والمفعول وغيرها، بقوله: «ووجه الجميع ان النفى فى الاستثناء المفرغ يتوجه الى مقدر هو مستثنى منه عام مناسب للمستثنى فى جنسه وصفته، فاذا اوجب منه شىء بالاء جاء القصر»^{٣١٧}.

ثم ان طريق النفى والاستثناء، يستعمل لقصر الموصوف على الصفة و بالعكس افرادا او قلبا او تعيينا، كما نص عليه الخطيب فى الايضاح^{٣١٨}.
لكن ذكر السيد فى حواشى المطول انه «لايبعد ان يقال ان طريق النفى والاستثناء ظاهر فى قصر الافراد، فانك اذا قلت ما جاءنى الا زيد

٣١٦- حاشية عبدالحكيم، ٣٣٣.

٣١٧- التلخيص مع شروحه، ٢٣١-٢٣٢.

٣١٨- الايضاح مع شروح التلخيص ١/١٩٢.

كان المعنى ما جاءني احد الا^{٣١٩} زيد .

فان اجرى على عمومه كان قصرا حقيقيا لا يتصور فيه الافراد والقلب والتعيين . وان خُصَّ بالذين وقع فيهم النزاع كان معناه ما جاءني احد من هؤلاء الا زيد . ويتبادر منه الى الفهم افراد زيد من بينهم بهذا الحكم اعني المجيء^{٣١٩} .

وظاهر كلام الشيخ يدل على ان طريق النفي والاستثناء ياتي لقصر الافراد والقلب سواء ، فيرى ان نحو ما جاءني الا^{٣١٩} زيد يحتمل وجهين : احدهما ان تريد تخصيص المجيء بزيد ونفي الحكم عما عداه ، بمعنى ان يكون كلاما تقوله لمن به حاجة الى ان يعلم انه لم يجيء اليك غيره ، لا الى ان يعلم ان زيدا قد جاءك . - اذ لا يشك في مجيئه -
الثاني ، ان يكون كلاما تقوله لمن يحتاج الى ان يعلم ان الجائي زيد لا غيره .

وعلى ذلك قوله تعالى : « ما قلت لهم الا^{٣٢٠} ما امرتني به : ان اعبدوا الله ربي وربكم »^{٣٢٠} لانه ليس المعنى : اني لم اُزِدْ على ما امرتني شيئا ، ولكن المعنى : اني لم ادع^{٣٢٠} ما امرتني به ان اقوله لهم ، وقلت خلافة .

ومما جرى على هذا المعنى قوله :

قد علمت سلمى و جاراتها ما قطر الفارس^{٣٢١} الا^{٣٢١} أنا
فالمعنى : الذي قطر الفارس انا لا غيري ، وليس المعنى على انه يريد

٣١٩- حاشية السيد على مطول ، ٢١١ .

٣٢٠- المائدة ، ١٣ .

٣٢١- جاء في اللسان : قال الليث : اذا صرعت الرجل صرعة شديدة ،

قلت : قطرته ، وانشد البيت .

ان يزعم انه انفرد بهذا العمل ولم يشركه فيه غيره^{٣٢٢}.
ثم ان الشيخ يؤيد ما سبق ويكرره حيث يقول: «واعلم ان حكم
«غير» في جميع ما ذكرنا حكم «الا» فاذا قلت: ما جاءني غير زيد،
احتمل ان تريد نفى ان يكون جاء معه انسان آخر، وان تريد نفى ان
لا يكون قد جاء وجاء مكانه واحد آخر»^{٣٢٣}.

وصرح السكاكي^{٣٢٤} بان طريق النفي والاستثناء يفيد قصر الموصوف
على الصفة، والصفة على الموصوف افرادا وقلبا. ومما جرى على معنى
الافراد، قوله تعالى: «وما انا بطارد المؤمنين، ان انا الا نذير»^{٣٢٥} فمعناه
أنا مقصور على النذارة لا أتخطاها الى طرد المؤمنين. وعلى معنى القلب،
قوله ايضا: ما قلت لهم الا ما امرتني به.

٣- انما^{٣٢٦}، فهي تاتي اثباتا لما يذكر بعدها، وثقيا لما سواه. و
لهذا قال بعض النحويين في قوله تعالى: «قل انما حرّم ربي الفواحش ما
ظهر منها وما بطن»^{٣٢٧} ان المعنى: ما حرّم ربي الا الفواحش. ولهذا

٣٢٢- دلائل الاعجاز، ٢٦٠-٢٦١.

٣٢٣- دلائل الاعجاز، ٢٦٨.

٣٢٤- مفتاح العلوم، ١٣٩.

٣٢٥- هود، ٢٩.

٣٢٦- جاء في شرح مختصر المنتهى (٣٢٣/٢) انه اختلف في افادة
«انما» القصر، فقيل لا يفيد الحصر فهو ان وما مؤكدة. فقولك: انما انت
نذير، في قوة انك نذير.

وقيل يفيد بالمنطوق، فلا فرق بين انما انت نذير وبين ما انت الا
نذير.

وقيل يفيد بالمفهوم.

٣٢٧- الاعراف، ٣٢.

فصل الفرزدق ضمير المتكلم في قوله :

أنا الذائدُ الحامى الذمارِ وانما يُدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى
كما يفصل مع الّا . لان المعنى : ما يُدافع عن أحسابهم إلا أنا أو
مثلى ٣٢٨ .

تستعمل «انما» لقصر الموصوف على الصفة كقوله تعالى : «انما انت
مُنذرٌ مَن يَخشاها» ٣٢٩ .

ولقصر الصفة على الموصوف بلا خلاف، كقوله عزّ من قائل : انما
تُنذِرُ مَن اتَّبَعَ الذِكرَ وخشى التَّرحُّمَنَ بالغيبِ» ٣٣٠ وقولهم : انما
يعجلك من يخشى القوت .

واما استعمالها للافراد والقلب فمحل خلاف . وبيان الشيخ في دلائل
الإعجاز صريح في ان «لا» و «انما» تاتيان لقصر القلب فقط، لانه يقول
في بيان المراد من جاءنى زيد لا عمرو :

«فهو كلام تقوله مع من يغلط في الفعل قد كان من هذا، فيتوهم
انه كان من ذلك .

والنكتة أنه لا شبهة ليس ههنا جائيان، وانه ليس الّا جاء واحد . و
انما الشبهة في ان ذلك الجائى زيد ام عمرو . فأنت تحقق على المخاطب
بقولك : جاءنى زيد لا عمرو انه زيد وليس بعمرى .

ونكتة اخرى : وهى انك لاتقول : جاءنى زيد لا عمرو، حتى لا
يكون قد بلغ المخاطب انه كان مجيءً اليك من جاء، الّا انه ظن انه
كان من عمرو، فاعلمته أنه لم يكن من عمرو، ولكن من زيد» .

٣٢٨ - راجع دلائل ٢٥٢-٢٥٣ .

٣٢٩ - النزاعات، ٤٥ .

٣٣٠ - يس، ١١ .

ثم يقول : «واذ قد عرفت هذه المعاني في الكلام بلا العاطفة فاعلم انها بجملتها قائمة لك في الكلام بإنما»^{٣٣١} ثم يفسر انما جاءني زيد كما فسر جاءني زيد لاعمر و .

ولكن ذكر صاحب الايضاح ان «لا» و «انما» تاتيان للقلب والافراد سواء . وعبارة التلخيص ايضا ينبىء عما اعتقده فى الايضاح من القلب والافراد فيهما^{٣٣٢} .

فائدة - لم يذكر البلاغيون فى طرق القصر «أنما» بالفتح مع ان الموجب للقصر أعنى التضمين للنفي والاموجود فيها ايضا . قال الزمخشري^{٣٣٣} : انما لقصر الحكم على شىء او لقصر الشىء على حكم كقولك : انما زيد قائم وانما يقوم زيد . وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية : «قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد»^{٣٣٤} .

٤- التقديم، وهو ينقسم الى قسمين :

الاول - تقديم ماحقه التأخير كتقديم الخبر على المبتدأ والمعمولات مثل المفعول والمجرور والحال على العامل . وذلك كقول محمود درويش :

الى الأعلى

حنا جئنا

الى الأعلى معاجرتنا

الى الاعلى أمانينا

الى الأعلى أغانينا^{٣٣٥}

٣٣١- دلائل الاعجاز، ٢٥٩ .

٣٣٢- راجع الايضاح ١٨٧-١٩٣ والتلخيص ١٩٧-١٩٣ .

٣٣٣- الكشف، ٢٣/٣ .

٣٣٤- الانبياء، ١٠٨ .

وكما نقرأ في سورة الفاتحة : «ياك نعبد وياك نستعين» .
وكقول فدوى طوقان :

لن يقعد الأحرار عن تأرهم وفي دم الأحرار يغلى النقم^{٣٣٦}
يشترط في تقديم الخبر على المبتدأ المفيد للقصر ان لا يكون المبتدأ
نكرة قدم عليها الخبر وجوبا، لان التقديم حينئذ لا يفيد القصر^{٣٣٧} كقولك :
على قلبى سكاكين^٣، وفي صدرى حكايات .
وتقديم ما حقه التأخير، يصلح لقصر الموصوف على الصفة، والصفة
على الموصوف افرادا او قلبا او تعيينا .

الثانى - تقديم المسند اليه على المسند فى مثل : ما اتم تسمعون
صراخ الجياع، ايها المترفون . اى : ما سمعتم هذا الصراخ مع انه
مسموع لغيركم، فلا يقال هذا الكلام الا اذا ثبت أن الصراخ مسموع و
كان القصد ان ينفى أن يكون المخاطبون المترفون سامعين له، فالشبهة
فى افراد المترفين بالسمع او مشاركتهم لغيرهم فيه .
اما اذا كانت الشبهة فى صراخ لم يثبت سماعه، فالصحيح ان يقال:
ما تسمعون صراخ الجياع ايها المترفون .

ولا يكون تقديم المسند اليه نصا فى التخصيص عند عبد القاهر الا
اذا ولى حرف نفى كما رايت فى المثال، وفى غير هذه الصورة قد يفيد
التقديم^٤ التخصيص افرادا وقلبا، وقد يفيد تقوى الحكم وتقريره مضرا

٣٣٥ - الشعر المقاتل فى الارض المحتلة، ١٣٢ .

٣٣٦ - وحدى مع الايام، ١٣٧ .

٣٣٧ - راجع المطول، ١٠٥ والمواهب، ١١٢/٢ و حاشية الدسوقى

كان السند اليه او مظهرا، معرفة او نكرة، مثبتا كان الفعل او منفيًا^{٣٣٨}.
ومذهب السكاكي ان السند اليه ان كان نكرة فتقديمه للتخصيص
ان لم يمنع منه مانع، وان كان معرفة فان كان مظهرا فلا يكون للتخصيص
قطعا، وان كان مضمرا فان اعتبر تقدير كونه في الاصل مؤخرا على انه فاعل
معنى فهو للتخصيص^{٣٣٩}، نحو: أنت تزدان بالعدل والاحسان .

فالسكاكي يميز تقديم الفاعل المعنوي دون اللفظي، ولا يخفى انهما
سواء في امتناع التقديم ما بقيا على حالهما^{٣٤٠}.

٥- التعريف بلام الجنس، كقولك في قصر الموصوف على الصفة:
الحرث من لم يكن عبد نفسه . وفي قصر الصفة على الموصوف: قضية
فلسطين المأساة* .

اعلم انك اذا جعلت المعرف بلام الجنس مبتدأ، صار مقصورا على
الخبر . سواء كان الخبر معرفة بلام الجنس او غيره، مثل: الكرم هو النقوى
اي لا غيرها، والمؤمن الشجاع اي لا الجبان، والبطل هذا، وغير ذلك . او
غير معرف اصلا، نحو: التوكل على الله، والتفويض الى امر الله، والفصاحة
للقريش .

وان جعلته خبرا فهو مقصور على المبتدأ، كقولك: سلاحنا الايبان
وشعارنا الاسلام^{٣٤١}.

واذا كان المبتدأ والخبر كلاهما معرفة بلام الجنس كقولك: العقل

٣٣٨- دلائل الاعجاز، ٩٦-٩٩ والمطول، ٨٨-٩٤ .

٣٣٩- فتقديم المسند اليه في هذه الحالة يرجع الى القسم الاول، اعنى
تقديم ما لحقه التأخير .

٣٤٠- راجع المطول، ٩٤-٩٥ .

٣٤١- المطول، ١٤٦ .

الزَيْنُ، والجهل الشَيْنُ، والعلم المال، فالظاهر انه قصر للمبتدأ على الخبر. لان القصر في هذا الباب مبنى على قصد الاستغراق وشمول جميع الافراد، وذلك أنسب بالمبتدأ اذ القصد فيه الى الذات وفي الخبر الى الصفة^{٣٤٣}.

وقال عبد الحكيم: «الصواب ان يقال انه اذا كان احدهما اعم فهو المقصود، وان كان بينهما عموم من وجه يفوز الى القرائن، وان لم توجد قرينة فالظاهر قصر المبتدأ على الخبر»^{٣٤٣}. ولا يخفى ان القصر بلام التعريف يختص بالمبتدأ والخبر ويجرى فيهما فقط.

بقيت نكتة، وهي ان التعريف بلام الجنس - اعم من ان يتحقق في المبتدأ او الخبر - لا يفيد القصر دائماً، كما ترى في قول الخنساء في مرثية اخيها صخر:

اذا قبَّح البكاءُ على قتيلٍ رأيتُ بكائك الحسنَ الجميلاً
فالخنساء لم تترد قصر الحسن على بكائه بأن لا يتجاوز به الى شيء آخر، والا لم يحسن جعله جواباً لقوله اذا قبَّح البكاء على قتيل، اذ لا معنى للقصر في نحو قولنا: «اذا قبَّح البكاء على قتيل لم يحسن الا بكاءك» على ما لا يخفى على من له معرفه باساليب الكلام. لظهور ان الغرض ان تثبت لبكائه الحسن، وتخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى^{٣٤٤}.

٣٤٢ - راجع حاشية السيد على المطول ، ١٧٨ - ١٧٩ .

٣٤٣ - حاشية عبد الحكيم ، ٢٩٢ .

٣٤٤ - المطول ١٤٧ .

٦- ضمير الفصل، قال التفتازانى : التحقيق ان الفصل قد يكون للتخصيص اى قصر المسند على المسند اليه، نحو : زيد هو افضل من عمر، و زيد هو يقاوم الاسد .

ذكر صاحب الكشاف فى قوله تعالى : «ألم تعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده»^{٣٤٥}، أن «هو» للتخصيص والتأكيد^{٣٤٦}.

وقد يكون لمجرد التأكيد اذا كان التخصيص حاصلًا بدونه بان يكون فى الكلام ما يفيد قصر المسند على المسند اليه، نحو : ان الله هو الرزاق، اى لا رازق الا هو، وقصر المسند اليه على المسند، نحو، الكرم هو التقوى، والحسب هو المال، اى لا كرم ولا حسب الا للمال. قال ابو الطيب: اذا كان الشبابُ السُّكْرَ والشيبُ همًّا، فالحياةُ هى الحِمَامُ^{٣٤٧}

مميزات طرق القصر الستة

ان هذه الطرق المذكورة بعد الاشتراك فى افادة القصر تختلف من وجوه :

يمتاز العطف من بقية الطرق بالنص على المثبت والمنفى نفسيهما نحو: الفخر بالتقوى لا بالنسب، فهذا لا يعقل منه الحكمان دفعة واحدة، بخلاف سائر الطرق حتى النفى والاستفهام . لان صورة العطف تحتل الاستقلال، والاستثناء مرتبط بالمستثنى منه فيفيد الحكيم معا بواسطة

٣٤٥- التوبة، ١٠٥ .

٣٤٦- الكشاف، ١٧١/٢ .

٣٤٧- المطول، ٨٦ .

ذلك الارتباط^{٣٤٨}.

نعم قد يذكر موضع المنفى ما يدل عليه اجمالا فيما اذا كان متعددًا
يوجب ذكره نفسه الاطناب فنقول : الفخر بالتقوى لاغير، اذا كان
المخاطب معتقدا الفخر بالنسب والمال والجاه و ...

واما بقية الطرق فالاصل فيها ان ينص على الميثبت فقط كما عرفت .
ويجتمع النفي بلا العاطفة سائر طرق القصر غير النفي والاستثناء ، و
ذلك لان شرط المنفى بلا ان لا يكون منفيًا قبلها بغيرها من أدوات النفي .
واشترط^{٣٤٩} السكاكي لاجتماعها مع «إنما» ان لا يكون الوصف
الذي أريد حصره مختصا بالموصوف نحو قوله تعالى : إنما يستجيب
الذين يسمعون .

ولكن الشيخ عبدالقاهر يرى ان هذا من شرط الحسن لا الصحة ،
لانه قال في دلائل الاعجاز :

«ومما يجب ان يعلم : انه اذا كان الفعل بعدها فعلا لا يصح الا من
المذكور، ولا يكون من غيره، كالتذكر الذي يعلم انه لا يكون الا من
اولى الالباب، لم يحسن العطف ؛ «لا» فيه كما يحسن فيما لا يختص بالمذكور
ويصح من غيره»^{٣٥٠}.

ويمتاز النفي والاستثناء بان الاصل فيه ان يستعمل لامر ينكره
المخاطب ويشك فيه، فلهذا لا تقول لرجل وانت ترفقه على اخيه وتنبهه
على ما يجب من صلة الرحم : ما هو الا^{٣٥١} اخوك، لان المخاطب يعرف هذا

٣٤٨- المواهب، ٢/٢٢٢ .

٣٤٩- راجع الايضاح والتلخيص ٢/٢١٢ .

٣٥٠- دلائل الاعجاز ٢٧١ .

الخبر ولا يشك فيه^{٣٥١}.

وامّا «انما» فتمتاز بان الاصل فيها ان تستعمل لخبر لا يجهله
المخاطب ولا يدافع عنه، كقوله تعالى: «انما يستجيب الذين يسمعون»^{٣٥٢}.
وكقولهم: انما يجعل من يخشى الفوت.

نعم، تستعمل «انما» للخبر المجهول تنزيلا له منزلة المعلوم لاعتبار
مناسب. وذلك كقوله تعالى حكاية عن اليهود: «واذا قيل لهم لا تفسدوا
فى الارض، قالوا: انما نحن مصلحون»^{٣٥٣}.

وكقول قيس بن الرقيات:

انما مصعب "شهاب" من الله قد تجلّت عن وجهه الظلماء
كما قد ينزل المعلوم منزلة المجهول فيستعمل له طريق النفي والاستثناء.
وتمتاز «انما» ايضا بان احسن مواقعها ما لا يراد بالكلام بعدها
نفس معناه ولكن التعريض بامر هو مقتضاه، كقوله تعالى: «انما يتذكر
أولو الألباب»^{٣٥٤}.

فليس الغرض منه ان يعلم السامعون ان التذكير يختص باصحاب العقول،
بل المراد به التعريض بان الكفار من شدة عنادهم وغلبة الهوى عليهم لا
يتذكرون وكأنهم ليسوا من زمرة ذوى العقول.

ويمتاز التقديم بان دلالة على الحصر بالفحوى والسياق وحكم
الذوق، بخلاف سائر الطرق فان دلالتها على القصر بالوضع.

٣٥١- راجع دلائل الاعجاز، ٢٥٦.

٣٥٢- الأنعام، ٣٦.

٣٥٣- البقرة، ١١.

٣٥٤- الرعد، ٢١.

اما ضمير الفصل والتعريف باللام فالظاهر ان دلالتهما على القصر
 بالفحوى وحكم الذوق ايضا، الا انهما يختصان بالمسند والمسند اليه ،
 وان ضمير الفصل يختص دائما بقصر الصفة على الموصوف كما سبق .
 وهذه الطرق تتفاوت ايضا من حيث موضع المقصور عليه فى الكلام،
 ففى النفى والاستثناء يتاخر المقصور عليه عن المقصور ويقع بعد «الا» بلا
 فصل، فتقول فى القصر على الفاعل : ما يخشى الله الا العلماء وفى القصر على
 المفعول : ما يخشى العلماء الا الله .

ويجوز تقديم المقصور عليه مع «الا» على المقصور ، ولكن ذلك
 قليل لاستلزامه قصر الصفة على الموصوف او الموصوف على الصفة قبل
 التمام . فيقال فى المثال المذكور : ما يخشى الا العلماء الله .
 والمقصور عليه فى «انما» ياتى دائما فى نهاية الجملة*، كقوله (ص):
 انما الاعمال بالنيات . فالمقصور عليه ههنا لم يقع بعد «انما» بل
 اتى فى آخر الجملة ولا يجوز تقديمه^{٣٥٥}.

٣٥٥- راجع التلخيص ٢/٢٣٢-٢٣٣ .

٣٥٦- دلائل الاعجاز ٢٦٥ .

* قال عبد الحكيم (٣٤٦): اى يكون المقصور عليه فى «انما» هو الجزء
 الاخير، والمراد بالجزء الاخير ما يكون فيه جزء بالذات عمدة او فضلة، لاما
 ذكر فى آخره فقط . فان الموصول المشتمل على قيود متعددة جزء واحد
 وكذا الموصوف مع صفته، فالمقصور عليه فى قولك : انما جاءنى من
 اكرمه يوم الجمعة امام الامير، هو الفاعل اعنى الموصول مع صلته . وفى
 قولك : انما جاءنى رجل عالم، هو الموصوف مع صفته .
 وانما يؤخر المقصور عليه دون المقصور، لان المقصور مقدم طبعا فقدم
 وضعها . كذا فى : شرح المفتاح الشريفي .

اما المقصور عليه في «لا» من حروف العطف فيقع قبلها معطوفا عليه^{٣٥٦}، فيكون دائما مقابلا لما يجيء بعد «لا» معطوفا، مثل : الانسان بقلبه لا بجسمه .

وفى «بل» و «لكن» يقع المقصور عليه بعدهما، نحو : ما كان محمد^{٣٥٧} ابا أحدٍ ولكن رسول الله... ، وما الفخر بالنسب بل بالعلم والأدب .

وفى التقديم يأتي المقصور عليه دائما مقدما كما رأيت فى «اياك نعبد» و «الى الأعلى أمانينا وغيرهما» .
وفى ضمير الفصل، يقدم المقصور عليه ايضا، كقوله تعالى : «واولئك هم المفلحون» .

واما فى التعريف باللام، فالمقصور عليه ما دخله اللام، فتارة يكون خبرا فيؤخر مثل عمر والشجاع، وتارة يكون مبتدأ فيقدم مثل : التوكل على الله .

اما اذا كان المبتدأ والخبر كلاهما معرفا بلام الجنس مثل : العلم المال، فالظاهر ان المقصور عليه هو المبتدأ المقدم .

الباب الثاني الصورة

والمراد بالصورة ما يستمد منه الانسان او الاديب والفنان، فى خلق التراكيب المختلفة والتعابير غير المتناهية، وفى توصيل ما يحسه من التجارب المتنوعة، وفى إلباس ما يرسم على نفسه حلةً من الجمال والجلال. ولتوضيح هذا البيان نقول : ان الانسان كما يتأمل ويتفكر، يحس ويشعر ويتأثر، ويرى نفسه ازاء الكون والطبيعة والحياة الانسانية وما يجرى فيها : من الحسن والقبح، والسعد والشقاء، والبؤس والرخاء، والحب والكراهية، والسلام والقتال وغيرها، فيملأ قلبه تيارات من الأحاسيس والعواطف، ويثقل صدره قدور " هائجة بالإنطباعات والأفكار . فيريد أن يتنفس منها ويوحى الى غيره بما ارتسم فى نفسه، ويشارك الآخرين فى احساسه وتجربته، ويحفزهم على العمل والنشاط .

وأحياناً ينفذ الانسان فى أقطار عالم الخيال ويحدق فى سمائه، حيث لا يرى حجاب" ولا يعرض جدار . فهناك يجد الانسان نفسه فى عالم غير متناه، عالم لا تحيط به الآفاق ولا تحدّه الكلمات، ذلك عالم الخيال وعالم المعنى فيُحبُّ أن ييوح بقصة هذه الرحلة وما شاهده فيها، ويعطى الآخرين تجربته منها . فالانسان على عكس بخله بالمال وسعيه فى إخفائه، يحرص على أن يبذل ما يعرفه ويشعره، ويسعى فى أن يبيّن خواطره و

آراءه . لعل سبب ذلك - إضافةً على التخفيف عما أثقله والإسهام لغيره في سروره وحزنه، واحساسه وتجربته - أنه يعتقد فناءه ولا يريد ان يستسلم له كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، بل يقاوم ويجاهد في ان يترك من بعده اثراً يخلد ذكراه في الباقيين، ويكرّر حديثه في الغابرين، فيخدم الانسان من سبيل الفن نفسه وشخصه .

والتعبير عن الاحاسيس والعواطف، وما جناه الفكر والخيال، ونقل التجربة وتوصيلها ليس بالأمر الهين، اذهناك عقبات "صعبة يضلّ فيها الانسان، وتزل منها الأقدام . من تلك العقبات قصور وسائل التعبير وقلة أدواته، لان الكلمات او الالفاظ التي اصطلح الناس عليها محدودة ومتناهية بخلاف ما يعرض للانسان من المفاهيم، فانه لا يقبل التحديد كما لا يقبل الوضع والاصطلاح . الا ترى ان ما يرسم في نفس الشخص يتلون بلونه ويتعدد بتعدده، فالاحساس والشعور في كل شخص غيرهما في الآخر و كذلك التفكير والتخيل، فكيف يتصور الوضع والاصطلاح للتعبير عن نتائجها .

ومنها الغموض والابهام في نفس التجربة، فثمة ضروب من الإحساس الشموس وأنواع من الانطباع الشرود، وذلك لان صاحبهما لم ينظر الى الحياة الاّ الى جوانبها الغوامض الدقاق دون الوانها المحددة الواضحة . فهذه التجربة تحتاج في التعبير عنها الى استخدام وسائل خاصة وطرق معينة كالصور الأدبية . « فالصور الكلامية التي يستخدمها الشعراء إن أُجيد استخدامها كانت اداة مفيدة في ايديهم، فبفضلها تشخص المعانى المجردة، وتصبّ في صورة مرئية محسوسة، وبذلك تكتسب قوةً و نصوعاً»^١.

فهذه العقبات هي ما دفع الانسان منذ زمن قديم الى الاستعانة بوسائل تكمل ما في لغته من قصور، وتشدّ أزره في عالم مبهم، فلجأ الى صور ادبية وفنون بيانية كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكنيائية، مُحاولاً بذلك نقل أحاسيسه الغائمة وتوصيل تجاربه الجامعة^٢.

فلا اقتحم العقبة إلاّ "كشاف" رائد في دولة الروح والخيال، و ذو موهبة يهتدى الى ربط الأشياء بعضها ببعض وإحلالها بعضها محلّ بعض، وأديب مسيطر على خيال قرائه، وفنان مقتدر على الخلق والإبداع. ألا ترى ان لغة الادب تختلف عن اللغة المألوفة، وأن الادب هو الوسيلة لتوصيل التجارب ونقلها كاملة غير منقوصة من ذهن الى ذهن^٣، وأن العمل الفني ليس مجرد تقليد للعالم المرئي، بل يصنع عليه الفنان لونا من روحه ونظره الثاقب، ويعطيه صورة رائعة ويكمل ما فيه من نقص، فتجد أن الحجر الذي تناوله الفنان اجمل مما لم تمسه يد. «فلئن عجز الانسان عن أن يُضيف الى عالم المادة ذرّة واحدة، فقد عوّضه الله عن هذا العجز خير العوض، اذ أتاح له أن يوسّع لنفسه من عالم الروح كيف شاء»^٤.

ويُلحح في هذا تشابه مع ما قال الأستاذ عبد الحميد حسين في تعليه وضع صورة عقلية مكان أخرى، فهو يرى أن سبب ذلك يرجع الى العقل الباطن و رأى فرويد في الأحلام. فان الأحلام في رأيه، نتيجة رغبات مكبوتة تظهر خلال النوم متخفية ومتسترة على أشكال مختلفة وهيآت متباينة. وأن العقل يجد سرورا في إخفاء هذه الرغبات، ويجد في هذا

٢- في النقد الأدبي، ١١١.

٣- قواعد النقد الأدبي، ٣٥.

٤- في النقد الأدبي، ٣٠.

الميدان المجازى وما فيه من افتنان، مجالا وتوسعا لإظهارها بشكل جديد.

فالصورة او التصوير ضرورة قصور اللغة وغموض التجربة، و وليدة حسن العرض وقوة الابانة، وظاهرة الرغبات المكبوتة، فهي كيفية فى الجملة والبيان تكسبها قوة ونصاعة وتلبسها جمالا وجلالا، وتبرزها فى معرض مرآة تتجدد وتتجلى عليها الاشياء، وتنقسم الى التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية. فهذه الاقسام منها ما أساسه الخيال كالتشبيه والمجاز والاستعارة، فانها ترجع الى عملية الخيال وتعاونه مع العاطفة إِمَّا بكشف التشابه والتجانس بين الاشياء التى لا ترتبط عادة، فيقرن الخيال بينها ويتصورها فى أحوال متنوعة مفردة ومركبة، وإِمَّا باضفاء الحياة على الاشياء و إكسابها حياة انسانية او حيوانية، وإِمَّا بانتقال الذهن من معنى الى آخر . ومنها - ما أساسه الرمزية، كالكناية وما يتصل بها من تلميح او اشارة او تلويح^٦.

فالخيال له حظٌ كبير فى مباحث هذا الباب ومثله، ويعتبر ميزة لها بالنسبة الى سائر المباحث . ولا نعى من هذا ان ماعدا مسائل هذا الباب فارغة عن الخيال وعمليته، ولكن نريد ان «الصورة» اشد ارتكازا عليه وأوصل^{*} ارتباطا معه . وذلك لأن الخيال قوة لانسير الحياة العقلية بدونها^{*}، وله فى الفن عامة وفى الأدب خاصة قيمة كبيرة، لأن الفن كالمراة

٥- الاصول الفنية للادب، ١٠٩ .

٦- المصدر نفسه، ١٠٦-١٠٧ .

* يرى «كانت» الفيلسوف الالمانى : ان الخيال اجل قوى الإنسان، و انه لاغنى لآية قوة اخرى من قوى الانسان عن الخيال. (النقد الادبى الحديث،

التي تنعكس عليها صور الحقائق وظلالها لا الحقائق نفسها . والشاعر أو الأديب يحاول إظهار ما يشعر به وينطبع على قلبه لا ما يراه أو يسعه ، فهو انما يعبر عما ارتسم على صفحات نفسه، ويعمد الى تصدير الاثر الذي احس به، وعَدته^٦ في ذلك وفي ايصال التجارب والمعاني الى ذهن القارى او السامع انما هو الخيال^٧.

الفصل الأول التشبيه

معنى التشبيه و علاقته بالخيال

التشبيه فى اللغة التمثيل^٨، جاء فى القاموس : وشبّهه ايّاه وبه تشبيهاً، مثله . وفى الإصطلاح، فسّروه بصور مختلفة وعبارات متنوعة تنبىء عن عقد مشاركة بين طرفين فى معنى بطرق مخصوصة . و ذلك كقوله تعالى: «يومَ يكونُ الناسُ كالفراشِ المبثوثِ وتكونُ الجبالُ كالعهنِ المنفوشِ»^٩.

وقال الشاعر :

كَمْ مِنْ فَوَادٍ كَأْتَهُ جَبَلٌ أزاله مِنْ مَقَرِّهِ النَّظْرُ
فالتشبيه فى اللغة كما رأيت يساوى «التمثيل» ويرادفه، واما فى الاصطلاح فمنهم - كالزمخشري وابن الاثير - من لا يفرق بينهما و يستعمل كلاهما موضع الآخر^{١٠}، ومنهم من يرى أن التمثيل أخص من

٧- الاصول الفنية للدب، ٩٧-٩٨ .

٨- الصحاح، واللسان، مادة شبه .

٩- القارعة، ٤-٥ .

١٠- فن التشبيه، ٢٩/١ .

التشبيه ويجعل التمثيل قسما منه، فكل تمثيل عنده تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا. ويرأس اصحاب هذا الرأي الشيخ عبدالقاهر الجرجاني، فتناول في كتابه «أسرار البلاغة» الفرق بينهما من جوانب مختلفة في مواضع متعددة^{١١}. ولأن المقام لا يسع لأكثر من هذا، نترك المسألة وسنرجع إليها بشيء من التفصيل عند الحديث عن «التمثيل» وبيان نظرية الشيخ الخاصة فيه، إن شاء الله تعالى.

واذ قد عرفت أن التشبيه عقد مشاركة بين الأشياء وجمعها في معنى، فهو عمل تركيبى يستمد من قوة تنصرف فيها، لأن الأشياء في الخارج و في الطبيعة ليست على تلك الصورة التي تشاهد في التشبيه، «فالقلب» مثلا لا يوضع بجانب «الجبل»، و «الخد» لا يقترن بـ «لو رد»، و «الألفاظ» او «الكلام» ليست مع «العسل». فالخيال هو الذى يعمل على الربط بين الأشياء المتباينة، ويجاد الصلة بين مظاهر الطبيعة مما لا يظن وجود الصلة بينها. فالتشبيه صورة تتوالد من المقارنة بين الأشياء المتباعدة والمختلفة، بمعاونة الخيال

التشبيه ظاهرة عامة

التشبيه ظاهرة عامة، لا تختص بانسان دون آخر، ولا تنحصر على شعب دون شعب، فنجدها عند كل امة وفي كل لغة، ويعرفها العجمي^{*} كما يعرفها العربي، ويهتدى اليها الصغير^{*} كما يهتدى اليها الكبير.

فهو من الناحية النفسية عمل طبيعى يهتدى اليه الانسان^{*} بالفطرة كلما

دعت الأسباب والعوامل اليه، ولون "من الهبات الإنسانية والخصائص الفطرية والتراث المشاع بين الانواع البشرية جميعاً^{١٢}. ويُسْتَدَلُّ على ارتكاز عملية التشبيه في النفس الانسانية وعموميتها بوجوده :

الاول - ان الانسان مطبوع على حب النظام والترتيب والتواصل، والكره لكل ما لم ينخرط في سلكه ولم يوضع بجانب مماثله . فهو لا ينظر الى الطبيعة ومناظرها كخرزات مبعثرة لاتنخرط في سلك، او كمائدة وضع عليها ألوان من الأطعمة لايربطها رابط ولايجمعها جامع، بل ينفذ في أغوارها ويرى بواطنها ويكشف القناع عن وجوهها، ويحصل على التروابط بينها او احيانا يخلقها . فلئن فاته في الطبيعة وضع الأشياء بعضها بجانب ما يناسبه، ومشاهدة صورة مع أخرى تشبهها كما يتصوره، فلا يفوتها الحصول على ذلك في طبعه، لأن كتاب الطبع والأغوار النفسية أوسع سطوراً واشمل مادة .

الثاني - ان التشبيه - كما قال عبدالقاهر قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان^{١٣}.

واذن فليس بمستبعد على انسان مهما قل حظُّه من العلم والمعرفة أن يقيس بعض الأشياء الى بعض ويحكم عليهما بالتشابه، الا ترى أن الطفل يقوم بعملية القياس والحكم بالتشابه حينما يهش الى الثدى الصناعي ويبادر الى التمامه^{١٤}.

١٢- راجع بلاغة ارسطو، ٢٧١، وفن التشبيه ٤٣/١ .

١٣- أسرار البلاغة، ٢٦ .

١٤- فن التشبيه ٤٦/١ .

الثالث - انه يقال ان التشبيه اقدم صور البيان، وانه من اكثر كلام الناس^{١٥}.

اهمية التشبيه و بلاغته

لقد ورد من علماء البلاغة وأعلامها اقوال وآراء تدل على اهمية التشبيه وبلاغته، فقال قدامة : واما التشبيه فهو من أشرف كلام العرب، و فيه تكون الفطنة والبراعة عندهم^{١٦}.

وقال الرماني : وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء وتظهر فيه بلاغة البلغاء ، وذلك انه يُكسب الكلام بيانا عجيبا ... فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يُكسب بيانا فيهما^{١٧}.

وقال العسكري : والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ، ولهذا اطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن احد منهم عنه^{١٨}.

وقال الباقلاني : والتشبيه تُعرف به البلاغة^{١٩}.
وجعل الشيخ عبدالقاهر التشبيه في اصول يرجع جلّ محاسن الكلام

١٥ - المصدر نفسه ٤٥/١، والكامل ٨٥٨/٣.

١٦ - نقدا للنشر بالنقل عن فن التشبيه ٤٨/١.

١٧ - النكت، ٧٥.

١٨ - الصناعتين، ٢٤٣.

١٩ - اعجاز القرآن، ٢٠٧.

اليها ، وعده في أقطاب تدور المعاني عليها^{٢٠}.

وأضاف: وهل تشك في انه يعمل السحر في تاليف السبائين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب ويجمع ما بين المثلث والمثمن والمثعبق، و هو يريك للمعاني المثلثة بالأوهام شهبها في الأشخاص المائلة والأشباح القائمة، ويُنطق لك الأخرس ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد ويريك التثام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين، كما يقال في المدوح: هو حياة لاوليائه، موت لأعدائه...^{٢١}

ورأى ابن رشيقي أن التشبيه يُخْرِج الأغمض السى الأوضح ويقرب البعيد^{٢٢}.

وقال ابن الاثير: فالتشبيه ... يجمع صفات ثلاثة، هي: المبالغة، والبيان، والايجاز^{٢٣}.

وقال السكاكي: اذا مهت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني^{٢٤}.

وقال الخطيب: انه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في البلاغة، وأن تعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس الى المقصود بها، مدحا كانت او ذمّا او افتخارا او غير ذلك^{٢٥}.

٢٠- اسرار البلاغة، ٣٣.

٢١- المصدر نفسه، ١٤٨-١٤٩.

٢٢- العمدة ١/٢٨٧.

٢٣- المثل السائر ١/٣٩٤.

٢٤- مفتاح العلوم، ١٥٧.

٢٥- الايضاح على هامش شروح التلخيص ٣/٢٩٦.

وقال النويري : وهو ركن من أركان البلاغة لإخراجه الخفى الى الجلى، وإدناؤه البعيد من القريب، وهو حكم اضافى لا يوجد الا بين الشيئين بخلاف الاستعارة^{٢٦}.

فالتشبيه من أشرف كلام العرب، وهو موطن الفطنة والبراعة، وركن من أركان البلاغة، ومرجع لمحاسن الكلام ومدار للطائف المعانى، وطريق الى الحصول على فنون البيان الساحر. وذلك لأن التشبيه يزيد المعنى ايضاحاً وتصويراً أو تأكيداً، ويفعل فى النفوس تحريكاً وترغيباً، ويصور عالماً يلبس الحياة فيه الجماد، ويتآخى على مسرحه الأضداد، ويعرض فنناً تصير فيه الصور الخارجية افكاراً ذاتية، والأفكار الذاتية صوراً خارجية، فتصبح الطبيعة فكرة والفكرة طبيعة .

فهو بيان يموج بالقوة والبراعة، ويفور بالوضوح والتشخيص، ويمتاز بالإيجاز والمبالغة . فهذه ألوان من بلاغته و زوايا من براعته :

١- نقل الشعور والانطباع من قلب الى قلب، قال الاستاذ العقّاد : «وما ابتدع التشبيه لرسم الاشكال والالوان المحسوسة بذاتها كما تراها ، وانما ابتدع لنقل الشعور بهذه الاشكال والالوان من نفس الى نفس»^{٢٧}.

٢- إخراج الأغمض الى الأظهر و ابرازه فى معرضه، ويقع على وجوه : منها - إخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه، و ذلك مثل تشبيه المعدوم بالغائب، قال الله تعالى : «والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ

٢٦- نهاية الارب ٣٨/٧ .

٢٧- النقد الادبى الحديث، ٤٤٧ .

٢٨- النور، ٣٩ .

٢٩- الاعراف، ١٧١ .

بقية يحسبه الظمان ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً»^{٢٨} فاخرج مالا
يُحسُّ الى ما يُحسُّ، والجامع بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة.
وقال على (ع) : العلم قفل مفتاحه السؤالُ.

وقال المتنبى :

كل ذميرٍ يزداد في الموت حسناً كبدورٍ تمامها في المحاق
ومنها - إخراج ما لم تجر به العادة الى ما جرت به، وذلك كتشبيه
البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم، وجاء في القرآن الكريم : «واذ
نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ»^{٢٩} فقلع الجبل و رفعها في السماء مما لم
تجر به العادة .

وقال ابونواس :

فإنَّ تكْ أثاراً بى تمزقنَ عن بلى فإني كسيفٍ في خلقِ الغمدِ
ومنها - إخراج ما لا يعلم بالبديهة الى ما يعلم بها، مثل تشبيه اعادة
الاجسام باعادة الكتاب، وجاء في التنزيل : «مثل الذين حُمِلُوا التَّوْرَةَ
ثم لم يحملوها، كمثل الحمار يحمل أسفارا»^{٣٠} فحمل العلم والجهل به
مما لا يُعلم في النظر الاول .

وقال النابغة الذبياني :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرَكِي

وإنَّ خِلْتُ أَنْ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ومنها - إخراج ما لا قوة له في الصفة الى ما له قوة فيها، وذلك
كتشبيه ضياء السراج بالنهار، وكقوله تعالى : «وله الجوار المنشآت في

البحر كالأعلام»^{٣١} فقد اجتمع الطرفان في العظم الا أن الجبال أعظم شأنًا. وقوله ايضا : «أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله»^{٣٢} فقد اجتمع الطرفان في عمل كبير الا أن الايمان بالله واليوم الآخر و... شيء آخر عند القياس بسقاية الحاج وعمارة المسجد^{٣٣}.

وقال المنفلوطي : يتفجر من صدوع الصخرة ماء زلال رقيق كأنه ذوب البلّور في شفوفه ولّمعانه . فالماء والبلّور كلاهما شفاف ولّمّاع الا أن البلور اشهر بهما .

٣- تنزيل التضاد منزلة التناسب وتقريب المتباعدين، وابداع ما لا يقع في عالم الحس «وكلّ هذا يؤدي الى تجديد البيان واختراع الصور التي لا وجود لها، وانت اذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشدّ كان اعجب الى النفس وأطرب لها»^{٣٤}.

وذلك، كأن تقول للجبان هو أسد، وللعى هو سحبان، وللبخيل حاتم. وتقول في المدح : هو حياة لأوليائه وحتّف لاعدائه .
وقال ابن مقلة :

انا نار في مَرْتَقَى نَظَرِ الحَا سَد ، ماء جارٍ مع الإخوان

٤- الإيجاز والاختصار، «لأن قولنا : زيد اسد، او كالاسد، يسدّ

٣١- الرحمان، ٢٤ .

٣٢- التوبة، ١٩ .

٣٣- النكت، ٧٥-٧٨ وبديع القرآن، ٥٨-٥٩ والصناعتين، ٢٤١-

٢٤١ .

٣٤- علم البيان، ١٠٧ .

مسّد قولنا : زيد من حاله كيت وكيت، وهو من الشجاعة والشدة عنى كذا وكذا، مما يطول ذكره»^{٣٥}.

وقد يختصر فى التشبيه الى حد الايذاء ، كقول احد الثر جّاز :
حتى اذا كاد الظلامُ يختلط

جاؤا بمسّدقٍ ، هل رأيت الذئبَ قطّ ؟

يريد أن اللبى حكى لون الذئب، فكلمة الذئب هنا أغنتنا عن تفصيل كثير كنا فى حاجة اليه لو لم يات التشبيه .

وقول زهير فى معلقته :

بكرنَ بكوراً واستحرنَ بسحرةً فهنَّ و وادى الرّسِّ كاليدِ للّفمِّ

يريد أنهن اتجهن الى هذا الوادى وقصدنه قصداً دقيقاً مثل قصد اليد للّفم بالطعام، فما اخطأه كما ان اليد لا تخطىء الفم ولا تنحرف منه .
فاظنر كيف ناب هذا التشبيه عن كلام طويل مع حسن التاليف والوفاء بحق المعنى^{٣٦}.

٥ - المبالغة والتأكيد والتقرير، قال ابن الاثير : «انك اذا مثلت الشىء بالشىء فانما تقصد به اثبات الخيال فى النفس بصورة المشبه به او بمعناه، و ذلك أوكدٌ فى طرفى الترغيب فيه والتنفير منه»^{٣٧}.

اعلم ان التأكيد والمبالغة والتقرير، من الالوان التى ترافق جميع وجوه التشبيه فانه لا يخلو من افادة المبالغة فى حال من الاحوال، والالام يستحسن ان يكون تشبيهاً، لان افادة المبالغة هى مقصده الاعظم وبابه

٣٥ - المثل السائر ١/٣٩٤ .

٣٦ - فن التشبيه ١/٥٨-٥٩ .

٣٧ - المثل السائر ١/٣٩٤ .

الواسع . غير انها في التشبيه المضمرة الاداة وما كانت اداته «كأن» اقوى واظهر^{٣٨}.

فاذا كانت منزلة التشبيه وبلاغته كما مرّ، فلا أظن أن الدكتور شوقي ضيف اراد بقوله : «ان التشبيه لون مفرد بل هو صبغ من أصباغ لون مفرد، هو لون التصوير، وهو صبغ حسّي لم يشفع بثقافة عميقة ولا بفلسفه»^{٣٩} ان يحطّ من منزلة التشبيه واهميته، ولعله يريد به ان يضع التشبيه في درجة دون المجاز والاستعارة . والآن فالحكم على التشبيه مطلقا بانه لون مفرد وصبغ حسّي لم يشفع بثقافة عميقة، ليس قريبا الى الحق . اذ ان التشبيهات العقم والمتبكرة وما كانت العلاقة بين الطرفين منتزعة من امور متعددة لاتستمد عناصرها من المنظور فقط، بل من المتصور والمفروض ايضا .

فتعتمد هذه التشبيهات على مزيج معقد مخلوط من مناظر مرئية و غير مرئية، شعورية وغير شعورية، وفيها خطوط والوان واصوات من كل ما تقذف به العاطفة، ومن كل ما ينبع من فكر وعلم وحكمة وخيال^{٤٠}.

والتشبيه الذي اكتفى فيها بالوقوف عند التشابه الحسى بين الاشياء من المسموعات او المبصرات او غيرهما دون ربط التشابه بالشعور المسيطر على الشاعر في نقل تجربته لا يستحق الالتفات اليه ولا يترتب فائدة جليلة عليه . قال الاستاذ العقاد : «واذا كان كذلك من التشبيه ان تذكر شيئا احمر ثم تذكر شيئين او اشياء مثله في الاحمرار، فمازدت على ان ذكرت اربعة

٣٨- فن التشبيه ٧٥/١، وعروس الافراح ٣/٣٩٤ .

٣٩- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ١٢٧ .

٤٠- راجع فن التشبيه، ٨٧/٣ .

او خمسة اشياء حمراء بدل شيء واحد . ولكن التشبيه ان تطبع فى وجدان سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع فى ذات نفسك»^{٤١}.

فلو كان امر التشبيه مختوما عند التشابه الحسى بين الأشياء بدون الحاجة الى التغلغل فى أغوارها والتقلب فى اطوارها لكان الحصول عليه سهلا واقتناصه هيينا، ولعرفه المبدع والمتبع، والعالم والجاهل، والمهرة والسوقى على السواء، وقل الخطأ والعتار فيه، ولما قال ابن الاثير فى حقه : «انه بين انواع التشبيه مستوعر المذاهب، وهو مقتل من مقاتل البلاغة»^{٤٢}.

اركان التشبيه

لقد عرفت ان التشبيه يحكى عقد مشاركة بين طرفين فى معنى بطرق مخصوصة، فعلى هذا يتكون التشبيه من هذه العناصر : طرفان يقصد الحاق احدهما بالآخر، ومعنى يجعلُ وصلة بينهما، وطرق خاصة تسبب عملية العقد . يُسمى الطرفان المشبه والمشبه به، والمعنى وجه الشبه والجامع ، والطرق ادوات التشبيه .

فأركان التشبيه اربعة :

- ١- المشبه .
- ٢- المشبه به .
- ٣- وجه الشبه .

٤١- الديوان للعقاد والمازنى، بالنقل من النقد الادبى الحديث، ٤٤٧ .

٤٢- المثل السائر ١/ ٣٩٤ .

٤- ادوات التشبيه .

وهذه الاركان قد يذكر كلّمها في الجملة، كقول المعرّي :

انت كالشمس في الضياء ، وإن جا

وزّت كيوان في علو المكان

وقول ابن الفارض :

أعوامٌ إقباله كالיום في قصرٍ ويومٌ إعراضه في الطول كالبحر جيج

فكل من هذين البيتين يشتمل على جميع اركان التشبيه، ففي البيت

الاول «انت» مشبه، و «الشمس» مشبه به، وفي «الضياء» وجه الشبه،
والكاف أداة التشبيه .

والبيت الثاني يجمع تشبيهين، وأركانها المذكورة بالقياس على البيت

الاول ظاهرة . ثم الأركان قد يحذف بعضها، والمحذوف اما وجه الشبه فقط

كقول عنتر بن شداد :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وييض السيف تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

شبهه لمعان السيف ببرقان الثغر في اللّون، ولكن حذف وجه الشبه

للضرورة او للاختصار او ليذهب السامع كل مذهب ممكن .

او وجه الشبه مع اداة التشبيه، كقولك : صدور الأحرار قبور

الأسرار . والاصل صدور الأحرار قبور الأسرار في الإخفاء والكتمان .

او الاداة فقط، نحو : هو عظم سبك في انه لا يرّجى خيره ولا ينتظر

نفعه .

أمّا حذف طرفي التشبيه كليهما او احدهما بحيث لا يحتاج الى تقديره

في تركيب الجملة كما يقع في الاستعارة، فهو غير جائز عند بقاء الكلام

على الاسلوب التشبيهي المحض . نعم، جاءت امثلة حذف فيها المشبه والكلام

باق على النمط التشبيهي المجرد، كقوله تعالى : «صَمُّ بَكْمٍ عُمِيٌّ فَهَم لايَرُ جَعُونَ»^{٤٣} لكن المشبه فيها لم يترك ولم يحذف على انه لا حاجة اليه فى بناء الجملة، بل هو ملحوظ تقديرا ومعتبر فى تركيب الجملة، فتقدير الآية : «هم صم ...» على ان «هم» مبتدأ بنى عليه «صم» و «عمى» .

أدوات التشبيه^{٤٤}

الأسباب التى يتوسل بها الى عقد التشبيه، ثلاثة اقسام : حرف واسم وفعل .

١- الحرف، الكاف وكأن، واطاف بعضهم عليهما «لعل» نحو قوله تعالى : «تتخذون مصانع لعلكم تخلّدون»^{٤٥} جاء فى البخارى عن ابن عباس ان معنى الآية : كأنكم، وفى الكشاف ترجون الخلود فى الدنيا، او تشبه حالكم حال من يخلّد^{٤٦}.

٢- الاسم، كمثل ومثيل وشبه وشبيه وغيرها، من الاسماء الدالة على المضاهاة والمقاربة والموازنة والمعادلة والمحاكاة .

٤٣- البقرة، ١٨ .

٤٤- ليس الغرض ههنا تعريف أدوات التشبيه وتمييزها من سائر اركان التشبيه، لان فيما سبق غنية عن ذلك . بل المقصود بيان انحصارها فى اشياء معينة يمكن النص عليها، وذكر خصائص مفيدة لاتدرس فى- المباحث الآتية، بخلاف سائر اركان التشبيه، ولهذا لم نتعرض لها علىحدة.
٤٥- الشعراء، ١٢٩ .

٤٦- راجع عروس الافراح ٣/٤٩٢-٤٩٣ ففيه انه عدّ من أدوات التشبيه ياء النسبة، وافعل التفضيل، وكلمة سواء .

قيل يستثنى من كون «مثل» اداة التشبيه نحو قولهم: مثلك لا يشبع وجارته جائع، لان المعنى ليس على التشبيه .
واجيب بان المراد من هو على صفاتك لا يفعل ذلك الفعل، فليست كلمة «مثل» ههنا زائدة مَّقْحَمَة كما قيل، بل هي نفى للفعل عن المخاطب بطريق برهاني^{٤٧}.

٣- والفعل، مثل يشابه، يماثل ويضاهى . وقد يذكر فعل ينبيء عن التشبيه، نحو ترى، تخال، يكاد، تعلم، تحسب، يحكى وما شابهها .
وهذه الأدوات وان كانت تشترك في افادة التشبيه الا انها تتفاوت من وجوه مختلفة .

فمن تلك الوجوه ان التشبيه اذا كان صادقا قلت فيه : كانه او كذا .
قال امرؤ القيس :

ظُرتُ اليها والنجومُ كأنَّهُما مصابيحُ رهبانٍ تشبُّ لثقَّالِ
واذا قارب الصدق قلت فيه : تراه، او تخاله، او يكاد^{٤٨}.

ومنها - انه يقال : علمت زيدا اسدا ان قرب التشبيه، وحسبته اسدا ان بعد التشبيه، لما في الحسابان من الدلالة على الظن دون التحقيق^{٤٩}.

ومنها - ان الكاف وكان ومثل للتشبيه في اى شىء كان، فلا تختص بنوع دون آخر، كما صرح الراغب في مادة «الند» - واما الشكل والشبه والمساواة من ادوات التشبيه او طرقه فالاول يستعمل لما يشاركه فى القدر، والثانى للكيفية مثل اللون، والثالث للمشاركة فى الكمية كالوزن والكيل.

٤٧- راجع عروس الافراح ٣/٤٩٢-٤٩٣ .

٤٨- عيار الشعر، ٢٣ .

٤٩- راجع التلخيص مع المطول، ٣٣٠ .

ومنها - ان «كأن» لا تستعمل الاّ حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائي يشك في أن المشبه هو المشبه به او غيره، فهي أبلغ من الكاف و لذلك لما جيء بعرش بلقيس وقيل لها : «أهكذا عرشك؟ قالت : كأنه هو»^{٥٠} ولم تقل هكذا هو، فتحقق عندها انه لم يبق فرق بين عرشها و بين ما تراه في مجلس سليمان^{٥١}.

وأما الادوات الاسمية فهي سواء في افادة معنى التشبيه ومقداره، و مساوية للكاف وكأن في الاختصاص بالتشبيه الصادق .

ومنها - ان الاصل في الكاف وفي مثل وما شابهه، ان يليها المشبه به لفظا او تقديرا، و ذلك كقوله تعالى : «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء»^{٥٢}.

وقوله : «او كصيب من السماء»^{٥٣} والتقدير او كمثل ذى صيب من السماء .

وقد يقع بعدها غير المشبه به، كقوله تعالى : «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيماً تذروه الرياح»^{٥٤} فالمشبه ليس الماء المذكور ولا النبات المحذوف، بل الحالة الحاصلة للنبات من الخضرة بسبب الماء مدة قليلة ثم ترجع الى الذبول واليبس بسرعة فيكون النبات هباء منثورا^{٥٥} .

٥٠ - النمل، ٤٢ .

٥١ - راجع عروس الافراح ٣/٣٩٤، وفن التشبيه ١/١٨١ .

٥٢ - ابراهيم، ٢١ .

٥٣ - البقرة، ١٩ .

٥٤ - الكهف، ٤٤ .

واختلف في افادة «كأن» للتشبيه، فقال الزجاج انها تفيد التشبيه اذا كان خبرها جامدا، نحو: كأن زيدا اسد، والشك اذا كان مشتقا، نحو: كأنتك قائم. لأن الخبر في هذه الصورة عين المبتدأ فكيف يمكن ان يشبه الشيء بنفسه.

وقيل إنها للتشبيه مطلقا، ويؤول امثال كأنك قائم بانها جاءت على حذف الموصوف والتقدير كأنك شخص قائم. لكن لما حذف الموصوف وجعل الاسم بسبب التشبيه كأنه الخبر بعينه صار الضمير يعود الى الاسم لا الى الموصوف المقدر^{٥٥}.

والحق انها قد تستعمل عند الظن بشبوت الخبر من غير قصد الى التشبيه سواء كان الخبر جامدا او مشتقا، نحو كأن زيدا اخوك وكأنته فعل كذا. وهذا كثير في كلام المولدين^{٥٦}.

اقسام التشبيه

اعلم ان علماء البلاغة قد اکتروا في تقسيم التشبيه، فقسوه باعتبارات مختلفة الى اقسام متعددة، فبعض هذه الاقسام لا طائل تحته غير أن زاد في طنبور التقسيم نعمة اخرى. فلاندرس ههنا اقسام التشبيه عشها وسمينها، رخيصها وثمينها، بل تتناول ماله شأن في البلاغة ونقف عند ماله منزلة في البراعة، مثلنا في ذلك مثل النحل الذي يمتص من الأزهار ما يفيد،

٥٥- راجع المطول ٣٢٩-٣٣٠.

٥٦- المطول، ٢٦١.

لا الطفل الذي يلتقط كل ما يجده ولا الشحيح الذي يجمع اللعل والنعل .
فمنها :

١- التشبيه البليغ

وهو ما حذف وجهه واداته، كقوله تعالى : «هن لباس لكم واتم
لباس لهن»^{٥٧} ونحو : الشكر نسيم النعم . وانما سمى بليغا لان حذف
الاداة ينبيء عن الاتحاد بين المشبه والمشبه به، وحذف وجه الشبه يشير
الى ان الاتحاد يتناول جميع الوجوه والصفات حتى كان المشبه هو عين
المشبه به من غير تفاوت .

وليس المراد من البليغ هنا ما يطابق مقتضى الحال او يشتمل على
الحسن والطرافة والبراعة حتى يخيل ان التشبيه اذا ذكر فيه الاداة والوجه
لا يكون مطابقا لمقتضى الحال ولا يتضمن الجدوة والبراعة، بل المراد به
التشديد^{٥٨} والتأكيد في تقريب المشبه من المشبه به، والمبالغة في دعوى
الاتحاد بين طرفي التشبيه من جميع الوجوه . فعلى هذا كلما تحقق حذف
الوجه والاداة تحقق التأكيد والمبالغة في تقريب المشبه من المشبه به من
جميع الجهات، ومتى لم يتحقق حذفها او حذف احدهما لم يتحقق التأكيد
والمبالغة .

فلا وافق الاستاذ على الجندی في قوله : «وليس يكفى ان يقع

٥٧- البقرة، ١٨٧ .

٥٨- فكلمة البليغ بهذا المعنى مشتقة من بلغ يبلغ بلوغا العلة ، اى
اشتدت، لامن بُلِّغ بِلْغ بلاغة اى صار فصيحاً .

التشبيه محذوف الاداة والوجه معا ليستحق ان يوصف بانه بليغ ... والحق ان كثيرا من التشبيهات المرسله المنفصلة اجمل والطف وابرع من بعض هذه التشبيهات التي يسمونها بليغة لمجرد أنها مؤكدة مجملة»^{٥٩}. اذ ليس البليغ هنا اللطيف البارع والجميل البديع كما ظنّه .

وكيف يجوز ان تفسّر البليغ هنا بما يطابق مقتضى الحال او بما يشمل على اللطافة والجمال والبراعة، مع اننا قد نرى ان ذكر الاداة فى بعض موارد التشبيه ابلغ و ذلك كقول العباس الصولى : الاصدقاء كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار .

فليس الغرض من الكلام ان يقال ان الاصدقاء نار، بل المراد يقال انهم فى شىء خاص يشبهون النار، وهو تقع القليل وضر الكثير .

صور وقوع التشبيه البليغ

يقع التشبيه البليغ على الصور الاتية

١- أن يقع المشبه به خبرا، سواء كان مع ذكر المشبه نحو : صدور الأحرار قبور الأسرار، او مع حذفه كقوله تعالى : «صمٌ بكم عمى فهم لا يرجعون»^{٦٠}. ويجوز ان يجعل المشبه به مبتدأ كان نقول فى المثال الاول: قبور الأسرار صدور الاحرار، لان المبالغة فى التشبيه تدور على دعوى الاتحاد، ولا فرق فى ذلك بين ان يجعل المشبه به خبرا او مبتدأ .

٥٩- فن التشبيه ٢/ ٢٨٩ .

٦٠- البقرة، ١٨ .

٢- أن يقع مفعولا ثانيا في باب علمت، نحو علمت * بذى اللسان
كلبا عقورا .

٣- أن يقع مصدرا مبيّنا للنوع، كقوله تعالى : وهى تمرّ مرّ
السحاب^{٦١} . ويرجع هذا الى كون المشبه به صفة للمشبهه اذ التقدير : وهى
تمرّ مرورا كمرور السحاب .

٤- أن يقع حالا، نحو : كرّ علىّ أسدا .

٥- أن يقع مبيّنا للمشبهه، كقوله تعالى : «وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»^{٦٢} . وترجع هذه
الصورة الى كون المشبه به حالا للمشبهه .

والظاهر من كلام الشيخ في «أسرار البلاغة» ان الآية من باب الاستعارة^{٦٣}،
لكن الزمخشري جعلها من باب التشبيه فقال : «فان قلت أهذا من باب
الاستعارة ام من باب التشبيه ؟ قلت : قوله «من الفجر» اخرجه من باب
الاستعارة، كما أن قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت «من فلان» رجع
تشبيها^{٦٤} .

٦- أن يقع مضافا الى المشبه به، نحو : عقيق الشفق، وثوب العافية^{٦٥} .
والتشبيه البليغ يسمى تشبيها مؤكدا وتشبيها بالكناية ايضا غير انهما
اعم، اذ يكفى فيهما حذف الاداة فقط - قال النويرى فى بيان تشبيه الكناية:
«وهو ان يشبه» شيئا بشيء من غير اداة التشبيه، كقول المتنبي :

٦١- النمل، ٨٨ .

٦٢- البقرة، ١٨٧ .

٦٣- اسرار البلاغة، ٣٦٦ .

٦٤- الكشف/١، ١١٦ .

٦٥- فن التشبيه ٢/٢٨٦ .

بَدَتْ قَمْرًا، وَمَاسَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عُنْبَرًا، وَرَنْتَ غَزَالَآ ٦٦

٢- التشبيه التمثيلي

من أقسام التشبيه باعتبار وجه التشبيه التمثيلي ، فذهب القوم في تفسيره الى مذاهب شتى :

فعند الجمهور هو ما كان وجهه منتزعا من متعدد سواء كان حسيًا مثل قول البشار :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَاسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
فوجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من هَوَى أَجْرَامٍ مُشْرَقَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ
متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم، ولا يخفى انها حسية .

او غير حسي، كقوله تعالى : «مثل الذين حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» فوجه الشبه بين احبار اليهود الذين
كُلِّفُوا الْعَمَلَ بِهَا فِي التَّوْرَةِ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا وَيَبِينُ الْحِمَارُ الْحَامِلُ لِلْأَسْفَارِ
هُوَ حَرْمَانُ الْإِتِّفَاعِ بِأَبْلَغِ شَيْءٍ نَافِعٍ مَعَ الْكَدِّ وَالْتَعَبِ فِي اسْتِصْحَابِهِ، وَهَذَا
الوصف منتزِع من متعدد وليس بحسي .

وعند الشيخ ما كان اشتراك الطرفين في وجه الشبه راجعا الى التأول ،
ويبان ذلك ان الاشتراك في الصفة يقع تارة في نفسها وحقيقة جنسها، و
ذلك كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، فانهما يشتركان في نفس الحمرة وهي
موجودة فيهما حقيقة، وانما يتصور التفاوت بالشدة والضعف، والقلة
والكثرة .

وتارة في حكم لها وما تقتضيه، وذلك كتشبيه اللفظ بالعسل في الحلاوة، فاللفظ لا يشارك العسل في جنس الحلاوة وتسمها، اذ ليست الحلاوة موجودة فيه حقيقة، وانما وقع الاشتراك بينهما من جهة امر يقتضيه الحلاوة اعنى اللذة او الحالة التي تحصل للنفس إذا صادفت بحاسة الذوق ما يبيل اليه الطبع ويقع منه بالموافقة^{٦٧}.

فلاشتراك في الصورة الاولى جاء تحقيقا وتصريحا، وفي الثانية تقديراً وتأويلاً.

ولمعرفة صور التحقيق من التأويل نعود الى الشيخ، فنرى انه ذكر ان كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس، او فيما يرجع الى الغريزة والطباع مثل الشجاعة والدهاء والفطنة، او الى الأخلاق كلها كالسخاء والكرم واللؤم وغيرها من الصفات العقلية الثابتة، لايجرى فيه التأويل ولايقتصر اليه في تحصيل وجهه^{٦٨}.

فعلى هذا أن التأويل يجرى في كل ما كان غير حسي وغير عقلي محقق وموجود، كأن يكون امرا اعتباريا، مفردا كان او مركبا. فالتشيل عند الشيخ ما كان الوجه فيه محتاجا الى تأويل، او ما كان الوجه فيه امرا عقليا غير محقق.

ثم ان التشبيه الذي يحتاج وجهه الى تأويل يتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول اليه ولا يحتاج الى كثير من الدقة والتأمل حتى كاد ان يدخل في التشبيه الصريح، وذلك كقولهم في صفة الكلام: الفاظه كالماء في السلاسة، وكالنسيم في الرقة، وكالعسل في الحلاوة.

٦٧- اسرار البلاغة ١١٠-١١٢.

٦٨- المصدر نفسه ١٠١-١٠٣.

ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجها الى فضل روية و
دقة فكرة، وذلك مثل قول كعب الاشقرى في وصف بنى المهلب للحجاج:
«كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها». فلا يعرف ببديهة السماع
أن المقصود من هذا التشبيه هو انهم متساوون في الشرف ولا يكون بينهم
متقدم ومتأخر.^{٦٩}

وعند السكاكى ان التمثيل هو التشبيه الذى كان وجهه وصفا غير
حقيقى وكان منتزعا فى عدة امور^{٧٠}، كقوله تعالى: «مثل الذين حُمِّلوا
التوراة...» فقال السكاكى: «فان وجه الشبه... هو حرمان الانتفاع بما
هو ابلغ شىء بالانتفاع به مع الكد والتعب فى استصحابه، وليس بمشبه
كونه عائدا الى التوهم ومركبا من عدة امور»^{٧١}.

والفرق بين رأى الشيخ والسكاكى هنا، هو ان التمثيل عند الشيخ اعم
من ان يكون وجهه منتزعا من امور متعددة كالأية المتقدمة، فانه روعى
فيها من جانب المشبه به ثلاثة اشياء:

الاول، فعل خاص وهو الحمل .

الثانى، كون المحمول شيئا مخصوصا وهو الأسفار .

الثالث، جهل الحامل بما فى المحمول .

او يكون منتزعا من شىء واحد، وذلك مثل حلاوة العسل^{٧٢}. غير

ان الأصل والأولى فى التمثيل ان يكون الوجه ماخوذا من امور متعددة^{٧٣}.

٦٩- المصدر نفسه ١٠٥-١٠٦ .

٧٠- المفتاح، ١٦٤ .

٧١- المصدر نفسه، ١٦٥ .

٧٢- اسرار البلاغة، ١١٣-١١٤ .

٧٣- المصدر نفسه، ١٢٢-٢٧٤ .

ولكن السكاكي لا يرى التمثيل الا حيث كان الوجه منتزعا من امور متعددة، فكل ما روعى فيه التعدد بعد كونه غير حقيقى استحق التمثيل عنده، واذا خلا من التعدد لم يستحق ذلك .

فالتمثيل عند الشيخ اعم منه عند السكاكي من هذه الناحية، لا من ناحية ان الوجه عند الشيخ اعم من ان يكون عقليا موجودا او عقليا اعتباريا كما يظهر من قول التفتازانى والسيد الشريف فى شرحهما للمفتاح وقول التفتازانى ايضا فى المطول^{٧٤}. وذلك لان الشيخ لا يعنى من الشبه العقلى كل موارده كما يتبادر الى الفهم من نقل هذين العكمين لعبارة الشيخ، فانهما اوردا عبارة الشيخ هكذا : قال الشيخ فى اسرار البلاغة: «التمثيل التشبيه المنتزع من امور، واذا لم يكن التشبيه عقليا يقال انه يتضمن التشبيه ولا يقال ان فيه تمثيلا وضرب مثل، وان كان عقليا جاز اطلاق اسم التمثيل عليه»^{٧٥}.

فما حصلت فى اسرار البلاغة على كلام للشيخ كما نقلاه ، بل الذى حصلت عليه منه هكذا : «ان الاصل فى كونه مثلا وتمثيلا هو التشبيه المنتزع من مجموع امور، ... فاذا كان الشبه بين المستعار منه والمستعار له من المحسوس والغرائز والطباع وما يجرى مجراها من الاوصاف المعروفة كان حقها ان يقال انها تتضمن التشبيه ولا يقال ان فيها تمثيلا وضرب مثل ، واذا كان الشبه عقليا جاز اطلاق التمثيل فيها ...»^{٧٦}.

فترى فى كلام الشيخ ان التمثيل لا يتعين فيما يكون وجهه منتزعا

٧٤- المطول، ٣٣٩ .

٧٥- شرح المفتاح المخطوط بلا رقم الصفحة، المطول، ٣٣٩ .

٧٦- اسرار البلاغة، ١٢٢ .

من امور متعددة، بل الاصل - او الاولى - فيه ان يكون هكذا، وايضا ان العقلي جاء في مقابل المحسوس والغرائز والطباع وما جرى مجراها من الصفات المشهورة، فالظاهر ان المراد به الصفات العقلية الاعتبارية .

اما التمثيل عند صاحب الكشاف فهو يرادف التشبيه ويستعمل بمعناه بلافاوت^{٧٧}، فكل تمثيل تشبيه وكذا عكسه .

لقد جاء التمثيل في «كتاب الشعر» لأرسطو ويُرَاد به نقل " وقع بين طرفين يرتبط كل منهما بشيء آخر وينتسب اليه، بحيث يذكر مع ذلك الشيء او يخطر في القلب معه . فالنقل في الحقيقة جرى في ذلك الارتباط ، بمعنى ان نسبة الطرف المنقول اليه مع الشيء القرين له كنسبة الطرف المنقول مع المرتبط به . فعلى هذا التمثيل عنده لا يتحقق بين الشئيين البسيطين، بل يحتاج الى ملاحظة أشياء اربعة تكون نسبة الثاني الى الاول كنسبة الرابع الى الثالث . «واعنى بقولى بحسب التمثيل جميع الاحوال التى تكون نسبة الحد الثانى الى الحد الاول كنسبة الرابع الى الثالث، لان الشاعر سيستعمل الرابع بدلا من الثانى والثانى بدلا من الرابع ...

ولايضاح ما اعنى بالامثلة اقول : ان النسبة بين الشيخوخة والحياة هى بعينها النسبة بين العشية والنهار، ولهذا يقول الشاعر عن العشية : ... انها شيخوخة النهار، وعن الشيخوخة انها عشية الحياة، او غروب العيش . وفى بعض احوال التمثيل لا يوجد اسم، ولكن يعبر عن النسبة فمثلا ثمر الحَبِّ يسمى «البذر» ولكن للتعبير عن فعل الشمس وهى تشر اشعتها لا يوجد لفظ، ومع ذلك فان نسبة هذا الفعل الى اشعة الشمس هى بعينها نسبة «البذر» الى الحَبِّ ، ولهذا يقال : «تبذر نوراً هياتاً»^{٧٨}.

٧٧- شرح المفتاح للتفتازانى، المخطوط .

٧٨- كتاب الشعر، ٥٩ .

فالتمثيل عند ارسطو مجاز بنى على تشبيه وقع بين نسبتين سواء كان طرفاهما حسيين ام لا .

صور وقوع التشبيه التمثيلي

يقع التشبيه التمثيلي على صور مختلفة :

منها - أنه لا يوجد في طرفي التشبيه تعدد حتى يتصور تقابل اجزاء المشبه لاجزاء المشبه به الا بتكلف^{٧٩}، لانه لم يقصد الا تشبيه صورة او حالة بصورة اخرى، و ذلك مثل قوله تعالى : «مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً...»^{٨٠}.

ومنها - أن كلاً من المشبه والمشبه به يشتمل على اجزاء يمكن ان يتصور بينها التشابه والتقابل في النظرة الاولى، ولكنه في النظرة الثانية يظهر فساد له لعدم صحة المعنى . و ذلك مثل قول القاضي التتوخي :

كانما المَرِيخُ ، والمَشْتَرِي
قَدَامَهُ فَي شَامِخُ الرَّفْعِ
مُنْصَرَفٌ بِاللَّيْلِ عَن دَعْوَةٍ
قَد أُسْرَجَتْ قَدَامَهُ شَمْعُهُ

فالشبه في الحقيقة ليس للمريخ او المشتري وحده، اذ ليس في هذه المشابهة معنى وطرافة، بل المراد تشبيه الحالة الحاصلة للمريخ من كون المشتري امامه، فلا يصح افرادهما بالذكر .

ومنها - ان التقابل وتصور التشبيه بين اجزاء طرفي التشبيه صحيح و

٧٩- اولاً يظهر في طرفي التشبيه تعدد اصلاً، و ذلك كتشبيه الكلام

بالعسل في الحلاوة عند الشيخ .

٨٠- البقرة، ١٧ .

لكن الحمل على تشبيه الصورة اجمل واحسن من الحمل على تشبيه المتعدد*،
و ذلك كقول ابي طالب الرقى :

و كأنّ اجرام السماء لو امعا درر نثرن على بساط أزرق^{٨١}

ثم إن التمثيل امّا يقع فى ابتداء الكلام بأن يجيء المعنى ابتداء فى صورة التمثيل، فيكون قياسا موضحا وبيانا مؤثرا فى اقبال القلوب على ذلك المعنى، وهو وان قل وقوعه فى الكلام فانه كثير الوقوع فى القرآن الكريم، فمنه قوله تعالى : «مثل الذين اتّخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتا»^{٨٢}.

وكقول النبى (ص) : «عَمَّالِكُمْ كَأَعْمَالِكُمْ وَكَمَا تُكُونُونَ يُوَالِي عَلَيْكُمْ» وقوله ايضا : «المرأة كالضلع العوّ جاء ان قوّمتها كسرتّها وان داريتّها استمتعت بها»^{٨٣}.

واما يقع بعد تمام المعنى لايضاحه وتقديره فى النفوس وايداعه التأثير المخصوص، فيكون كالبرهان الذى يثبت به الدعوى، والحجة الناصعة التى تدحض كل زعم، والدليل القاطع الذى يدفع الريب باليقين^{٨٤}،
و ذلك كقول بشار بن برد :

٨١- اسرار البلاغة، ٢٢١-٢٢٥ - مواهب الفتاح ٣/٤٢٠، فن التشبيه

١٧-١٥/٢ . نهاية الارب، ٧/١٤٢ .

٨٢- العنكبوت، ٤١ .

٨٣- الصور البيانية، ١٢٨ .

٨٤- فن التشبيه ٢/٢٧ .

* فهذان القسمان الأخير ان كما يسمى تمثيلا يسمى ايضا مركبا ،
فالتمثيل على مذهب الجمهور أعم من التشبيه المركب .

ولا تَجْعَلِ الشورى عليك غَضاضَةً

مكان الخوافى قوّة للقوادِم

ومن صور وقوع التمثيل ايضاً انه قد يحذف المشبه به وتنقل الجملة التي جرت عليه الى المشبه حتى كأنه صاحب الجملة، وذلك كقول يزيد بن الوليد لمروان بن محمد: «فانى أراك تُقدِّم رجلاً وتؤخِّر اخرى». اى اراك كمن يقدم رجلاً ... او اراك من يقدم ... فحذف المشبه به ونقلت الجملة الى المشبه .

وقد يضرب بجمال لا بد فيها من ذكر المشبه به، ولا يمكن حذفه والاكتفاء بذكر المشبه ونقل الكلام إليه، من ذلك قول النبي (ص): «الناس كابل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة» فلو قلت الناس لا تجد فيهم راحلة او لا تجد فى الناس راحلة كان ظاهر التعسف .

ومنه ايضاً قوله تعالى: «إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء» فلا يصح حذف المشبه به ونقل الجملة التي بعدها الى المشبه لان الافعال المذكورة المحدث بها عن الماء لا يصح اجراؤها على الحياة^{٨٥}.

ثم الجملة التي تقع بعد المشبه به لا تخلو من ثلاثة اوجه :

- ١- أن تكون صلة للمشبه به اذا كان موصولاً، كقوله تعالى: «مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما اضاءت ما حوله» .
- ٢- أن تكون صفة له اذا كان نكرة، مثل قول النبي (ص): «الناس كابل مئة لا تجد فيها راحلة» .
- ٣- أن تكون مبتدأة، متى كان المشبه به معرفة ولم يكن موصولاً، وذلك كقوله تعالى: «كمثل العنكبوت، اتخذت بيتاً» على قراءة الوقف

على العنكبوت، ويجوز اعراب الجملة بناء على انها حال^{٨٦}.

بلاغة التمثيل :

التمثيل اعم من أن يجيء في ابتداء الكلام او يقع في أعقاب المعاني، يكسوها ابتهمة، ويكسبها شرفا ومنقبة، ويرفع من شأنها .

فان كان مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأسير على الألسن وأذكى، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر . قال المتنبي :

وما انا منهمم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
وان كان ذما كان مسه أوجع، وميسمه أذع، ووقعه أشدّ وحدّه
أحدّ، وذلك كقوله تعالى في الذين يعرضون عن التذكرة : «كأنهم حمر»
مستنقرة فرّت من قسورة^{٨٧}.

وان كان حجاجا كان برهانه أوضح وأثره في النفس أوقع، قال ابوالعتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليابس
وان كان اعتذارا كان أقرب الى القبول وأجذب للقلوب، وأنزع للضعائن، وأدعى الى الصداقة والمحبة، وأبعث على حسن الرجوع، قال الشاعر :

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرب
فالطير يرقص مذبوحاً من الألم^{٨٨}

٨٦- المصدر نفسه و ذيله، ١٢٨ .

٨٧- المدثر، ٥٠-٥١ .

٨٨- الصور البيانية، ١٢٨ .

وان كان وعظا كان أشفى للصدر، وأبلغ في التنبيه والزجر، و ذلك كقول النبي عليه الصلاة والسلام : «مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه» .

والسبب في أن للتمثيل هذا التأثير البالغ، هو ان النفوس جبلت على الميل الى العلم من طريق الحواس او الى ما يكون معلوما لديها بالاضطرار والطبع، فالعلم المستفاد من طرق الحواس، او المركوز في النفس من جهة الطبع والضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا : ليس الخبر كالمعاينة .

فالفضل فيه يرجع اما الى ان المعاني الممثلة يفيد الصحة ونقى الريب والشك، كما اذا كانت المعاني التي يجيء التمثيل في أعقابها غريبا بديعا يسكن ان يخالف فيها ويُدعى استحالتها، كقول المتنبي :

فان تَفَقُّ الانامَ وَأنتَ منهم فإِن المسكَ بعضُ دم الغزالِ

او الى انها تفيد بيان مقدار تلك الصفة ومبلغها في القوة والضعف والزيادة والنقصان، وذلك كأن تقول : مثلٌ مَنْ لا يحصل من سعيه على طائلٍ مثل الرّاقم على الماء .

وايضا أن لتصور الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله، والتقاط ذلك من غير محلته بابا آخر من الظرف واللطف، ومذهبا من مذاهب الاحسان لا يخفى موضعه من العقل . ولهذا نرى كلما كان التباعد بين طرفي التشبيه أشد^٣، كان التشبيه الى النفوس أعجب والقلوب اليه أرغب .

ولا يخفى ان التمثيل أخص شيء بهذا الشأن وأقرب جار لهذا المكان وأمس رحما لهذا الباب^{٨٩} .

منزلة التشبيه التمثيلي :

اعم انك اذا نظرت الى وجود الشبه وحصوله فى طرفى التشبيه ، و اشتراكهما فى نفس الصفة وحققتها وجدت ان التشبيه الحقيقى الاصلى هو ما يقابل التمثيل، اعنى التشبيه الصريح الظاهر^{٩٠}، واما اذا نظرت الى مدى تأثير التشبيه فى النفوس والعقول، وحظه من الخيال و أعمال الفكر رأيت ان التمثيل أفضل أنواع التشبيه، ولهذا قال الشيخ : «واذا ثبت هذا الاصل وهو ان تصوير الشبه بين المختلفين فى الجنس مما يحرّك قوى الاستحسان.. فان التمثيل أخص بشيء بهذا الشأن»^{٩١}.

ومما يدل على أهمية التمثيل ومنقبته، ان تشبيه التمثيل دليل على خصوبة الخيال و غزارة مادته، لان الاصل فيه مرعاة اشياء متعددة وملاحظتها مجتمعة منظمة ، فيكثر فيه الصور وتزاحمها وتفاعلها وتجمعها وتفرقها، وليست هذه الامور إلا وليدة الخيال المبتكر والادراك السامى والتفكير القوى . فالادب الذى يشتمل على تشبيه التمثيل ادب خصب الخيال، والتمثيل من بين صفوف التشبيه هو الدافع الى الابداع والابتكار^{٩٢}.

ومما يتصل بالتشبيه التمثيلي ويعد من صورته ما يعرف بالتشبيه الضمنى غير ان التسمية فيه لم تنأت من ناحية وجه الشبه، فهذا ندرسه فيما يلي كقسم مستقل من اقسام التشبيه .

٣- التشبيه الضمنى

هو ما لم يرد على تلك الصور المعروفة للتشبيه التى سبق ذكرها ،

٩٠- المصدر نفسه، ١١٢ .

٩١- المصدر، ١٤٨ .

٩٢- بلاغة ارسطو، ٢٧١ .

ولم يذكر فيه طرف التشبيه بحيث ينبئان عن المشابهة في النظرة الأولى . فلم يحمل احدهما على الآخر، ولم يقع بينهما نسبة، ولم يكن معهما ما يدل على عقد التشابه، حتى ان كلا منهما جملة مستقلة كانت بمعزل عن الاخرى في الغالب . و ذلك كقول المتنبي :

مَنْ يَهْنُ يسهل الهوانُ عليه ما لجرحٍ بميتٍ ايلامُ

فالمراد تشبيه حالة من اعتاد بالهوان وسهل ذلك عليه ولم يتاثر به، بحالة الميت اذا جرح لم يتالم به . فهذا المعنى لا يدرك من البيت في النظرة الاولى، لانه لم يصرح به، بل جاء على سبيل الكناية والاشارة وفي ضمن الكلام، ولهذا قال التفتازاني : « وليُسمَّ هذا التشبيه ضمناً ومكنياً عنه »^{٩٣} لعل انه اول من قدم عنوان التشبيه الضمني لهذا القسم . فالتسمية والقسمه جاءتا باعتبار ان الكلام ظاهر الدلالة وصرحها على التشبيه ام لا .

ومن أمثلة التشبيه الضمني قول ابي الفتح البستي :

فالحرُّ عزيزُ النفسِ حيث ثوى والشمسُ في كل برجٍ ذاتُ انوارٍ

وقول ابن ابي عيينة :

فدَعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضائري أطينُ أَجْنَحَةَ الذَّبَابِ يضيرُ

وقول البارودي :

فلا عَجَبُ إن لم يصرَّ نِيَّ مَنْزِلٍ فليس لعقبانِ الهواءِ وُكُورُ

وقول أبي فراس :

سيذكرني قومي اذا جدَّ جدُّهم وفي ليلةِ الظلماءِ يفتقدُ البدرُ

وقول المتنبي :

فإن تقق الانام وانت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

فاذا أمعنت النظر في هذه الامثلة رأيت ان التشبيه عرض في معرض الدعوى مع البينة والبرهان، فالجملة التي تضمنت المشبه أنت متقدمة في صورة دعوى مشتملة على مطلب غريب وبديع، قابل للمخالفة والانكار وادعاء استحالة وجوده . ثم اتى بالجملة التي تضمنت المشبه به في صورة امر محقق ومسلم، وكبرهان لرفع الغرابة ونفى المخالفة والانكار في امر المشبه، فقرّب المشبه من القبول وصحّح وجوده .

فالتشبيه الضمني يثرى عليه مسحة العقل اكثر ومنحة الفكر اوفر ، فهذا نرى انه يكثر استعماله عند امثال المتنبى وابى تمام ممن عُرّفوا بشاعر العقل والفكرة .

الاعغة التشبيه الضمنى :

يمكن تلخيص بلاغة التشبيه الضمنى فيما يلى :

- ١- أنه دعوى مع البينة والبرهان .
- ٢- أنه إبراز لما يبدو غريبا ومستحيلا فى معرض القريب الملموس الممكن .
- ٣- أنه جمع بين أمرين متباعدين وجنسين غير متقاربين .
- ٤- أنه دلالة على التشبيه بالاشارة والكناية لا بالوضوح والصراحة، لان النيل الى المطلب بعد اعمال الفكر الذ وأعز .

٤- تشبيه المركب بالمركب

من اقسام التشبيه باعتبار طرفيه تشبيه المركب بالمركب، والمراد بالتركيب هنا اعتبار اشياء مختلفة وانتزاع هيئة منها وجعلها مشبها او

مشبها بها^{٩٤}، وذلك كقوله تعالى: «إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَا لِيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ»^{٩٥}. فشبهت حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض، وذلك تشبيه صورة بصورة لانه لوحظ في كل من المشبه والمشبه به أشياء مختلفة فرتبت ونظمت ثم انتزعت منها تلك الهيئة او الصورة^{٩٦}.

ولا يخفى انه كلما كان طرفا التشبيه مركبين كان الوجه مركبا ولا عكس، كما نرى في قول ابى النجم او ابن المعتز:
والشمس كالمرآة في كفاف الأشكل لما رأيتها بدت فوق الجبل
فوجه الشبه هنا مركب، لانه كما قال السكاكي^{٩٧} هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة، وشبه تموج الاشراق. واما طرفا التشبيه أعنى الشمس والمرآة فمفردان^{٩٨}.

٩٤- المختصر، ٣/٣٥٧.

٩٥- يونس، ٢٥.

٩٦- المثل السائر، ١/٤٠٤.

٩٧- مفتاح العلوم، ١٦٠.

٩٨- لقد تنبعت الى ان التشبيه المركب قد يأتي في صورة التشبيهات

المفردة، مثل:

للورد عندى محل	لانه لا يَمَلُّ
كل الرياحين جند	وهو الامير الأجل
ان غاب عزوا وباهوا	حتى اذا عاد ذلوا

وإذا خلا المشبه والمشبه به في الكلام من التركيب سمي تشبيه المفرد بالمفرد، وذلك كقوله تعالى: «وجعلنا الليل لباساً»^{٩٩} فشبه الليل باللباس في ستر الهارب من العدو، وإخفاء كل ما لا يحب الشخص أن يطلع عليه الآخرون من أمره. فكل من المشبه والمشبه مفرد خالٍ من التركيب والتعدد. ومنه ما جاء في المثل: «اللَّيْلُ جُنَّةُ الْهَارِبِ».

وإذا كان المشبه مفرداً والمشبه به مركباً أو بالعكس، سمي الكلام تشبيه المفرد بالمركب، أو المركب بالمفرد.

فالأول - كقوله تعالى: «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف»^{١٠٠}.
ومنه في الشعر قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

والثاني - قليل الاستعمال لندرة وجود المشابهة بين المشبه والمشبه به حينئذ، قال ابن الأثير^{١٠١}: «وعلى كثرة ما حفظته من الأشعار لم أجد ما أمثل به هذا القسم إلا مثلاً واحداً، وهو قول أبي تمام في وصف الربيع:

يا صاحبي تقصياً نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصوور
تريا نهراً مئسماً قد شابهه زهر الربا فكأنما هو مئمر

فشبه النهار الشمس مع الزهر الأبيض بضوء القمر».

والتشبيه المركب بين هذه الأقسام أجل شأناً وأعظم مرتبة، لأن الفكرة

٩٩- عم ١١٦.

١٠٠- إبراهيم، ٢٢.

١٠١- المثل السائر، ١/٤١٥.

والرؤية فيه اوفر، و دقة النظر فيه اكثر، وآفاق الاخيلة فيه اوسع، و مؤوته ارفع، إذ إيجاد العُلقة والرابطة بين طائفتين مختلفتين وتقريبهما اصعب من ان تربط شخصين معا وتضع احدهما بجانب الآخر .
ولهذا متى امكن حمل التشبيه على المركب فلا يعدل عنه الى المفرد ، حتى لا تفوت معه دقة التركيب المرعية في وجه الشبه . فالتشبيه المركب اعز وقوعا من التشبيه المفرد والمتعدد الخالي من التركيب، لان امرهما سهل هين^{١٠٢} . فتشبيه المركب ابلغ الاقسام واعزها واجلها .

الفرق بين التشبيه المركب والمقيد والمتعدد

وقد يقع التشبيه على صور يحتاج في حملها على تشبيه المركب بالمركب او المفرد بالمفرد الى الدقة والتأمل، و ذلك :

١- كأن يكون طرفا التشبيه مقيدين بقيود على صورة الاضافة او المفعول او الوصف او الحال او المجرور او غير ذلك، ولها اثر في وجه الشبه . كما تقول : من لا يحصل من سعيه على فائدة كالتراقم على الماء . فكل من المشبه والمشبه به في المثال لم يكن شيئا واحدا، بل اعتبر معهما امور اخرى مثل عدم الحصول على الفائدة والكتابة على الماء . فهل يعدّ من باب تشبيه المركب بالمركب او من باب تشبيه المفرد المقيد بالمفرد المقيد ؟

ليس الجواب على هذا السؤال سهلا، و ذلك لان الفرق بين المركب

والمفرد كما قال العلامة التفتازانى : «احوج شىء الى التأمل فكثيرا ما يقع الالتباس»^{١٠٣}.

والتحقيق فى بيان الفرق بينهما ان المقصود بالذات للمتكلم فى امثال «من لا يحصل ...» ان كان عبارة عن المقيد وكان القيد تبعاله، عدت من باب تشبيه المفرد المقيد بالمفرد المقيد .

وان كان المقصود هو الهيئة الاجتماعية والقيود وسيلة للتوصل، ولا ترجيح بين اجزاء طرفى التشبيه بعضها على بعض، كانت من باب تشبيه المركب بالمركب .

فالفرق بين المقيد والمركب هو القصد الراجع فى شىء مخصوص و عدمه .

أما الرجحان باعتبار المتكلم او عدمه، فمبنى على انه يهتم بجزء اكثر من جزء آخر، او انه لا يهتم إلا بالمجموع .

وأما الرجحان باعتبار السامع فمبنى على القرائن الدالة على قصد المتكلم، او انه لو استعمل ذلك التشبيه لم يطابق ذوقه إلا مع ذلك الرجحان المقتضى للتقييد او عدمه المقتضى للتركيب .

والحاصل انه لا يوجد فى التركيب اللفظى ما يدل على ان امثال «من لا يحصل ...» من باب تشبيه المقيد او المركب، وانما المعتبر فى ذلك قصد الهيئة بالذات والاجزاء تبع لها، او قصد جزء من الاجزاء والربط بغيره تبع . والحامل على أحد القصدين وجود الحسن فيه دون الآخر، ويرجع ادراكه الى حكومة الذوق والطبع^{١٠٤}.

١٠٣- المختصر، ٤٢٢/٣ .

١٠٤- مواهب الفتاح، ٤٢٢/٣ .

ويقال ايضا في الفرق بينهما : إن المركب كل واحد من اجزائه جزء الطرف، والمفرد المقيد يكون الطرف فيه ذلك المقيد، والقيد شرط لا جزء^{١٥}.

٢- او كأن يكون طرفا التشبيه متعددين، مثل قول امرىء القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا

لدى وكرها العناب والحشف البالى

لقد عقد البيت على تشبيه شيئين بشيئين، فيرى في النظرة الاولى ان اجتماعهما اثرأ في المشابهة، وانه قصد أن يجعل بينهما اتصلا حتى يحصل من ذلك هيئة تكون مقصودة بالتشبيه . لكن اذا امعت النظر رأيت أن البيت من باب تشبيه المفرد بالمفرد، وانه لم يقصد من تشبيه القلوب الرطبة ان تكون مجتمعة بجانب القلوب اليابسة، اذ لا فائدة في ذلك الاجتماع والهيئة الحاصلة منه، اكثر مما تجد اذا اكتفيت بتشبيه القلوب الرطبة فقط . قال الشيخ : «ولو ان اليابسة من القلوب كانت مجموعة ناحية والرطبة كذلك في ناحية اخرى لكان التشبيه بحاله . ولذلك لوفرت التشبيه هنا فقلت : كأن الرطب من القلوب عناب، وكأن اليباس حشف بال لم تر احد التشبيهين موقوفا في الفائدة على الآخر، وليس كذلك الحكم في المركبات»^{١٦}.

فانك اذا فضضت التركيب في المركبات، وجدت في بعضها أن احد طرفيه يخرج عن ان يكون صالحا للمشابهة بما جاء في مقابلته مع التركيب. كما ترى في قول ابن المعتز :

١٥- اسرار البلاغة، ١٦٢-١٦٣ .

١٦- المصدر نفسه ، ٢٢١ .

غدا والصبحُ تحت الليلِ بادٍ كطُرْفِ أَشْهَبِ مَلْقَى الْجِلَالِ
 فالشاعر نظر الى الصبح والليل جميعا وتامل حالهما معا، فحصل عنده
 هيئة من مجموع الشكلين فأراد ان يشبهها بنظير لها، فوجد ذلك النظير
 في هيئة الفرس الاشهب قد ألقى الجبل منه . فلو فككت التركيب فيه و
 جعلت «الجلال» في مقابلة الليل وقلت : «كأن الليل جلال» وسكت لم
 يكن شيئا .

و وجدت في بعضها الآخر ، ان تفريق التشبيه وان كان صحيحا الا ان
 الكلام يفقد شيئا كثيرا من روعته ومقدارا من احسانه، كقول ابى طالب -
 الرقى :

و كأنَّ اجرام النجومِ لوامعاً درر نثرٍ ن على بساطٍ أزرقِ
 فاذا قلت فيه كأن السماء بساط ازرق، وكان النجوم درر، وجدت
 التشبيه صحيحا ومقبولا غير انه كان فى صورة التركيب اروع واحسن .
 وذلك لان المقصود كما قال الشيخ : «ان يريك الهيئة التى تملأ النواظر
 عجبا، وتستوقف العيون، وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى، من طلوع النجوم
 مؤتلفة مفترقة فى أديم السماء وهى زرقاء ، و زرققتها الصافية التى تخدع
 العين والنجوم تكلأاً وتبرق فى اثناء تلك الزرقة . ومن لك بهذه الصورة
 اذا فرقت التشبيه وأزلت عنه الجمع والتركيب»^{١٧}.

والحاصل ان الفرق بين التشبيهات المجتمعة والتشبيه المركب هو أن
 التركيب يفيد شيئا لا يوجد عند التفريق، وأن الوجه فى المركب مأخوذ من
 امور كان كل واحد منها مقصودا بالأصالة بحيث لو حذف شىء منها
 لاختل التشبيه، وايضا انه روعى فى المركب حالة اجتماع الاشياء على نظام

معين من حيث التقديم والتأخير والتسلسل المنطقي والعقلي، حتى لو قدم او تأخر شيء عن موضعه لاختل التشبيه كما اختل بالحذف. وذلك مثل قول الشاعر^{١٠٨}.

كما ابرقت° قوماً عطاشاً غمامة° فلماً رأوها أقشعت° وتجلت^{١٠٨}
فوجه الشبه ابتداءً مطمّع° متصل بانهاء مؤيس°، فهذا لا يصح
الاكتفاء بالمصراع الاول لأن الإتهاء المؤيس ايضاً ملحوظ في التشبيه،
وكذلك لا يصح التصرف في الترتيب بتقديم مضمون المصراع الثاني على
الاول.

اما التشبيهات المجتمعة التي لا تفيد حالة الاجتماع معنى زائداً فسي
التشبيه، ولا يعتبر فيها ترتيب ونظام خاص مثل: هو كالجبل سموخاً، و
كالبحر جوداً، فهي اذا فرقتهما او غيرت ترتيبها لا يحصل فيها خلل^{١٠٩}.
فالتشبيهات المجتمعة لها خاصيتان، الاولى انه لا يجب فيها الترتيب.
الثانية انه اذا سقط البعض لا يتغير حال الباقي^{١١٠}.

٥- التشبيه المقلوب

هو في الاصطلاح ما عكس طرف التشبيه في متعارف الناس، بان جعل

- ١٠٨- يقال انه كثير عزّة، وقبله فيما زعموه:
لقد أطمعتني بالوصال تبسماً فلماً رأني اعرضت° وتولت^{١٠٨}
ونيز اسرار البلاغة، ١٢٤.
١٠٩- راجع، الايضاح، المواهب، العروس، ٣/٣٧٨.
١١٠- راجع نهاية الايجاز، ٦٩.

ما يستعمل في متعارفهم مشبها، مشبها به، وما يستعمل مشبها به، مشبها .
فما هو معروف عند الناس تشبيه الجبين بالصبح، ولكن عكس محمد بن
وهيب ما تعالمه الناس وقال في قصيدة في مدح المأمون :

وبدا الصبح كأنَّ غرَّتَه وجه الخليفة حين يُمْتَدَح

فشبهه الصبح بوجه الخليفة تنزيلا لما هو قاصر في الحقيقة منزلة الكامل
الزائد .

وجعل الشيخ التشبيه المقلوب من باب جعل الفرع اصلا على عادة
التخييل ليوهم ان ما هو قاصر عن نظيره في الصفة زائد عليه في استحقاقها
واستيجاب أن يجعل اصلا فيها^{١١١}.

واما ابن الاثير فهو يسميه «الطرد والعكس» ويجعل الغرض منه
المبالغة^{١١٢}.

والتشبيه المقلوب لا يطرد في عكس كل تشبيه القاصر بالزائد، بل انما
يتأتى ويحسن في عكس تشبيه تعارفه الناس واصطلحوا عليه . ولهذا نرى
القلب في قول البحترى :

في طلعة البدر شيءٌ من محاسنها و للقضيب نصيبٌ من تشبيها
جاء حسنا، لان العادة والعرف ان يشبه الوجه الحسن بالبدر والقدر الحسن
بالقضيب^{١١٣}.

ومما هو حسن جميل و وقع في موقعه قول الصاحب بن عباد للقاضي
ابي الحسن حينما اهداه عطر الفطر عقب خروجه عن مجلسه :

١١١- اسرار البلاغة، ٢٥٧ .

١١٢- المثل السائر ١/٤٢١ .

١١٣- المصدر نفسه، ١/٤٢٢ .

يا ايها القاضى الذى نفسى له مع قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ، مُشْتَاقَهُ
 أَهْدَيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى لَهُ اخْلَاقَهُ
 فالمتعارف عند الناس ان يشبه الاخلاق بالعطر او بما يفوح مثله ،
 فاذا قصدت المبالغة وجعل الفرع الاصل وقلت : ان العطر كاخلاقه جاء
 التشبيه حسنا ومقبولا ١١٤.

اما اذا لم يقصد فى العكس المبالغة وايهام ان الناقص كالزائد، بل
 اقتصر على الجمع بين الشئيين فى مطلق الصورة والشكل واللون، او جمع
 وصفين على حدّ يوجد فى الفرع والاصل كليهما، فهو يستقيم ويحسن فى
 كل مورد اعم من ان يكون مما تعارفه الناس ام لا ١١٥.

غير ان من المعانى ما لا يقرب، ولا يحسن ان يعكس قصدت المبالغة
 ام لا، وذلك كانك تقول : نام القومُ حتى كأنّهم موتى، ولا يحسن ان
 تقول : ماتوا حتى كأنهم نيام ١١٦.

التشبيه المقلوب من الناحية النفسية

التشبيه المقلوب من الناحية النفسية وليدة عدم اشباع رغبة الادباء و
 عدم وجدان ضالتهم فى التشبيه العادى، فلذلك ترى بعضهم يزدري شأن
 التشبيه ولا يهتم به كقول المتنبي مفتخرا بنفسه :
 أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِى بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقَى وَلَا أَحَدٌ مِثْلَى

١١٤ - اسرار البلاغة، ٢٧٠ .

١١٥ - المصدر نفسه، ٢٥٧ .

١١٦ - فن التشبيه، ٢٧٩/١ .

او انه يطلب ظهيرا لما أعجب به ويسعى وراءه، لكنه يعزّ عليه
فيرجع خائبا، و ذلك كقول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك في السوء ° ددٍ والمجدِ والمكارمِ مثلاً
او انه يرفع شان ما أعجب به عما يشبهه به في العادة، كقول المتنبي:
ولو لا احتقارُ الأسدِ شبهتهم بها ولكنّها معدودةٌ في البهائم
فبحشوا عن قوالب تقي برغائبهم وتصورنزعاتهم، وسعوا وراء تعبير
يؤدى تلك المبالغة التي ملأت نفوسهم، فجاء طريق القلب ثمرة لهذا البحث
والسعى .

وأحيانا كانت هذه الرغائب والنزعات بحيث لم يبيل التشبيه
المقلوب غلة الشعراء فيها ولم يبرأ جوعهم منها ، فاضافوا الى القلب اشياء
تزيده مبالغة اشبه بالعلو والاغراق . قال مجنون ليلي :

أخذت محاسن كل ما ضنت محاسنه بحسنه
كاد الغزال يكونها لو لا الشوى و نشوز قرنه
وقال ايضا :

وعيناك عيناها ، وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق
وقال بديع الزمان الهمداني :

وكاد يحيك صوب الفيث منسجما

لو كان طلق المحييا يُمطر الذهبا^{١١٧}

ومع ان التشبيه المقلوب وليد عدم تحقق بغية الادباء ، فهو من نتائج
عصر الاناقة والترف وغلبة الفن على الذوق، فلهذا نرى انه فى العصر

الجاهلي اقل بكثير منه في العصر العباسي، واهون شأنًا من حيث الدقة والحسن والجمال^{١١٨}.

جمال التشبيه المقلوب و بلاغته

ان التشبيه المقلوب بما يؤدي من المبالغة والاهتمام بشأن ما هو ناقص في الواقع وفي متعارف الناس، استهوى الادباء والشعراء و اعجبوا به وانكروا على من لم يسلك مسلكه. نقل ابو هلال العسكري عن الاصمعي انه قال : سمعت اعرابيا يقول : انكم معاشر اهل الحضرة، لتخطئون المعنى، ان احدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول : كانه الاسد، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كانتها الشمس، ولم لاتجعلون هذه الاشياء بهم اشبه ؟ ثم قال : والله لأنشدتكم شعرا يكون ذلك اماما . ثم انشدني :

إذا سألت الوري عن كل مكرمة	لم تثلّف نسبتهَا إلا إلى «الهول»
فتى جوادا أعار النيل نائله	فالنيل يشكر منه كثرة النيل
والموت يهرب أن يلقى منيته	في شدة عند لف الخيل بالخيل
لو عارض الشمس ألفى الشمس مظلمة	أوزاحم الصم أجاها إلى الميّل
أو بارز الليل غطّته قوادمه	دون الخوافي كمثل الليل في الليل
امضى من النجم ان نابته نأبئة	وعند اعدائه أجرى من السيل ^{١١٩}

و مرجع هذه الايات الى تشبيهات مقلوبة غير صريحة .

ويلخص بلاغة التشبيه المقلوب فيما يلي :

١١٨ - المصدر نفسه ١/٢٦٠-٢٦١، ٣٠٧ .

١١٩ - نهاية الارب، ٣/١٨٥ .

١- الايهام في الشيء الناقص عن نظيره في الصفة، انه زائد عليه في استحقاقها .

٢- ايقاع المبالغة في النفس من حيث لا يشعر، وافادتها من غير ان يظهر لها ادعاء، لانه يوضع الكلام موضعاً كأنه يقاس فيه على اصل متفق عليه، ويبرز الخبر في معرض امر مسلم لاجابة فيه الى دعوى، ولاشفاق من خلاف مخالف وانكار منكر . والمعاني اذا وردت على النفس هذا المورد كان لها سرور خاص وفرح عجيب، لانها بمنزلة نعمة لم تكدرها المنة .

٣- انك تنال الربح في صورة رأس المال، وترى الفائدة قد ملأت يدك من حيث حسبتها قد جازتك^{١٢٠} .

٦- التشبيه المجمل والمفصل

من أقسام التشبيه باعتبار ذكر وجه الشبه وعدمه، المجمل والمفصل .
المجمل - ما لم يذكر فيه نفس وجه الشبه او ما يستلزمه على الطريقة المعروفة في الجامع بين الطرفين، سواء لم يذكر معهما وصف ينبىء عن التشبيه، كقولك : العلم نور، او ذكر ولكن لا على الطريقة المعروفة - اعنى على صورة التمييز او المجرور بفي - وذلك مثل : هم كالحلقة المقرغة لا يدرى اين طرفاها . فوجه الشبه التناسب والمساواة وعدم التفاوت، وهو غير مذكور في الجملة ولكنه مدل عليه بقول : « لا يدرى أين طرفاها » الذي لم يجيء على الطريقة المعروفة في الوصف الجامع .

وكقول ابي تمام في الحسن بن سهل :

صدفتُ عنه ولم تصدف مواهبه عنّي، وعاوده ظنّني فلم يخب
كالغيث إن جئته وافاك ريقه، وإن ترحلت عنه لَجَّ في الطلبِ
فوجه الشبه الإفاضة في حالتى الطلب وعدمه وهو غير مذكور، غير
انه ذكر مع كل من المشبه والمشبه به ما ينبىء عنه، ولكن لا على الطريقة
المعروفة في الوصف الجامع، فهذا عدّ نحو هذه الأمثلة من مصاديق
المجمل .

والمفصل ما ذكر فيه وجه الشبه نفسه، او ما يستلزمه على الطريقة
المعروفة في الوصف الجامع، فالاول كقولك : هو بحر "جوداً، وهو جبل"
في الاستقامة . والثاني نحو : كلامه كالعسل حلاوة، وهذه الحجّة كالشمس
في الظهور .

فالحلاوة وكذا الظهور ليسا نفس وجه الشبه ههنا، لانهما غير
موجودين في المشبه حقيقة، فهما وصفان يستلزمان وجه الشبه الاصلى أعنى
الملائمة مع الطبع والموافقة له في المثال الاول، وعدم الانكار وفقدان
الشك في المثال الثاني .

والفرق بين هذا القسم من المفصل والمجمل الذي ذكر فيه وصف
يُنْبىء عن وجه الشبه، ان الوصف في المفصل جاء على الطريقة المعروفة
في الوصف الجامع، بخلافه في المجمل كما عرفت .

اغراض التشبيه

لقد سبق أن رسالة التشبيه نقل شعور الكاتب والاديب وتصويره

احساسهما، ولما كان محمل هذا الشعور ومثاره هو المشبه، كان من الطبيعي ان يعود الغرض من التشبيه اليه .
وقد قالوا في تعليل رجوع غرض التشبيه الى المشبه : انه لما كان التشبيه بمنزلة القياس في ابتناء شيء على آخر كان الوجه ان يكون الغرض منه عائداً الى المشبه الذي هو كالمقيس، او انه لما كان المقصود من التشبيه بيان حال المشبه كان الغرض منه عائداً اليه^{١٢١}.

والأغراض الراجعة الى المشبه في الغالب هي :

١- تهويل المشبه وجعله مهيباً .

اذا كان المشبه به أخوف شيء في متعارف الناس، او معروفا عندهم بالمهابة . وذلك كقول عنتر بن شداد :

وأنا المنيّة وابن كلّ منيّة ، و سواد جلدى ثوبها ورداها
وقوله ايضاً :

و أنا المنيّة حين تشّتجّر القنا والطعن منى سابق الآجال
ويكثر هذا في مقام المدح :

٢- بيان حاله .

اذا كان المشبه به معلوما عند السامع بتلك الصفة التي يقصد اشتراك الطرفين فيها، بخلاف المشبه . وذلك كقول النبي (ص) .

«الحياء من الإيمان كالرأس من الجسد .»

وقول عروة بن الورد :

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس، لما أخصبوا وتمّولوا

١٢١- راجع حاشية عبد الحكيم، ٤٥٥ وحاشية چلبى على المطول،

وقول المتنبي :

وما الموت إلا سارقٌ دقَّ شخصه
يصولُ بلا كفٍّ ويسعى بلا رِجلٍ
وهذا النوع كما قال الاستاذ على الجندی : «يرد كثيرا في المسائل
العلمية للإفهام والتوضيح، فهو جزيل الفائدة عظيم النفع، كما انه يقع
بكثرة في كلام الناس لصلته القوية بالفطرة، لان الانسان بطبيعته يستظهر
بعارفه المختزنة على الاحاطة بما يجهله» ١٢٢.

٣- بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف والزيادة والنقصان .
و ذلك اذا عرفت حال المشبه في مطلق تلك الصفة التي يقصد الإشراف
فيها للمشبه به، ولكن جهلت مقدارها في القوة والضعف . فيلزم ان يكون
المشبه به اعرف بتلك الصفة واتم فيها، و ذلك كقوله تعالى : «ثم قست
قلوبكم فهي كالحجارة، او أشد قسوة» ١٢٣.

وكقول عنتره :

لئن أكَأَسوداً فالَمِسْكَ لوني
وما لسوادِ جلدِي مِن دواءِ
ولكن تبعد الفحشاء عنِّي
كبعْدِ الأرضِ مِن جَوِ السماءِ
وقوله ايضا :

أحبك يا ظلوم ، فانت عندي
مكان الروح مِن جسد الجبانِ
ولو أني اقول مكانَ رُوحِي
خسيتُ عليكِ بادرةَ الطعانِ
٤- تقرير حاله وتقوية شأنها .

يشترط في هذا النوع ان يكون المشبه به حسيًا ١٢٤، وان يكون اقوى

١٢٢- فن التشبيه، ٢٠١/١ .

١٢٣- البقرة، ٧٤ .

١٢٤- حاشية الدسوقي، ٣٩٨/٣ .

واظهر في وجه الشبه . والغالب عليه تشبيه المعقول بالمحسوس، و ذلك لأن إلف النفس بالحسيات أتم من إلفها بالعقليات، فاذا ذكرت المعنى العقلي الجليّ ثم عقبته بالتمثيل الحسي، فكأنك نقلت النفس من المعنى الغريب الى المعنى القريب^{١٢٥}، فتسكن اليه وتطمئن عنده . كقوله تعالى : «والذين كفروا اعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً...»^{١٢٦}.

وقول النبي (ص): مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه .

وقولهم : التعليم في الصغر كالنقش في الحجر .

وقول امرىء القيس :

كأتى غداة البين يوم تحمّلوا* لدى سمّراتِ الحيّ ناقفٍ حنظل

وقد يقع في تشبيه المحسوس بالمحسوس، اذا كان المشبه به أقوى في ظهور الحجة . و ذلك كقول امرىء القيس :

كانّ دماء الهاديّات بنحره عصاره حنّاءٍ شبيبٍ مرّجلٍ

والفرق بين هذا النوع والذي قبله ان ما فيه بيان المقدار ان قصد من حيث التقرير لما فيه من قوة الظهور والتمام، كان من التقرير .

وان قصد من حيث مجرد فهم الكيفية، كان من بيان المقدار^{١٢٧}.

وامّا الفرق بينه وبين بيان الحال فهو يعدّ قسما من بيان الحال، و

لكنه بيان على وجه التمكين بتوضيح حال المشبه في ذهن السامع^{١٢٨}.

١٢٥- راجع فن التشبيه، ١/٢٠٧-٢٠٨، والمطول، ٣٣١ .

١٢٦- النور، ٣٩ .

١٢٧- المواهب، ٣/٣٩٩ .

* وفي بعض النسخ : يوم ترحلوا .

١٢٨- فن التشبيه، ١/٢٠٤ .

وفي هذا الوقت الذي اكتب هذه السطور، يخطر على بالي ان تقرير الحال في الاصل يقع فيما ادّعى للمشبه امر^{١٢٩} او نسب اليه حكم، وقصد من طريق ذكر مثل ونظير له ان يستقر في النفس ويتمكن فيها، فعلى هذا ان المشبه في تقرير الحال حينئذ جملة^{*} مشتملة على حكم يقرّب من الذهن بإتيان نظير معروف ومأنوس له . و ذلك كقول الصنوبري :

مِحْنُ الْفَتَى يُخْبِرُنَا عَنْ أَخْلَاقِهِ

كَالنَّارِ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ الْعَنْبَرِ

ويمتاز تقرير الحال عن بيان الإمكان الذي يأتي قريبا : بان الحكم الذي ينسب الى المشبه فيه ليس امرا غريبا يشكّ فيه او يدعى امتناعه .
هـ بيان إمكان المشبه .

و ذلك اذا كان المشبه مشتملا على امر غريب يسكن ان يشك فيه او يدعى امتناعه، فيؤتى بنظير له مسلم الحكم ومقبوله، تدعيما لحال المشبه، كقول المتنبي :

وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الثرام
وهذا النوع من الغرض يأتي غالبا مع صورة التشبيه الضمني كما رأيت في قول المتنبي، وليس مراد التفتازاني بقوله : «وليُسَمَّ مثل هذا تشبيها ضميا او مكنيا عنه»^{١٢٩} ان التشبيه المسوق لبيان الامكان تشبيه ضمني او كنائي دائما كما ظنه الاستاذ علي الجندی^{١٣٠}، بل المراد ان ما اتى

١٢٩- المطول، ٣٣١ .

١٣٠- فن التشبيه، ٢١٩/١ .

* حقيقة كمثل المتن او تاويلا مثل : العلم في الصغر ... فانه في تاويل : العلم في الصغر لا يزول اثره، او يبقى اثره طويلا، ومثله النقش في الحجر .

على سبيل قول المتنبي :

فإنَّ تَفَقُّ الأَنَامِ وَأَنْتَ مِنْهُمُ فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ
بأن لم يذكر طرفا التشبيه على ما هو المعروف في بابه، يسمى تشبيها
ضمنيا ومكنيا عنه، لان بيان الامكان قد يتحقق مع التشبيه الصريح كما نقله
صاحب ١٣١ عروس الافراح عن السكاكي من التمثيل بقول ابن الرومي :

قالوا : ابو الصقر من شيبان، قلت لهم :

كلا لعمرى ، و لكن منه شيبان

كم من أب قد علا بابن ذرى شرف

كما علا برسول الله عدنان

فالعرض من التشبيه في البيت الاخير بيان الامكان ، مع انه لم يسلك

سبيل التشبيه الضمني .

ولا او افق الاستاذ الجندی في تمثيله لبيان الامكان الذي اتى على

صورة التشبيه الصريح بقول المتنبي :

فإن يك سيّار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

لان معنى البيت : ان ذهب سيّار وبقيت فلا بأس، كما انه لا بأس

اذا ذهب الورد وبقي مأوه، فلم يذكر طرفا التشبيه فيه على الطريقة المعروفة

في التشبيه الصريح، وليس المخاطب في البيت وحده مشبها لجملة «ماء الورد

ان ذهب الورد» التي في معنى : بقي ماء الورد ان ذهب الورد، كما لا يخفى

على المتأمل .

٦- تنظيم شأن المشبه وتحسينه .

١٣١- المواهب، ٣/٣٩٦، تفحصت في المفتاح عن هذا التمثيل و

اكن ما وجدته .

و ذلك اذا شبهت شيئاً بما هو معروف عند الناس بالجلال والرفعة
والحسن والقبول، تكريماً له وترغيباً فيه، كقول الشنفرى :

ولى دونكم أهلون : سيّد عمّلس ،

و أرقط زهلول ، و عرفاء جيّال

هم الأهلون ، لامستو دَع السّر ذائع

لديهم ، ولا الجانى بما جرّ يُخذل

وقول عنتره :

بها ليلٌ مثل الأُسْدِ فى كلِّ موطنٍ

كَأَنَّ دَمَ الأَعْدَاءِ فى فَمِهِمْ شَهْدٌ

وقول ١٣٢ ابن الانبارى فى ابن بقية الوزير، وقد صلبه عضد الدولة :

علو" فى الحياةِ و فى المماتِ	لحقُّ أنتَ اِحدى المُعْجِزاتِ
كانَ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا	وفؤدُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ
مَدَدتَ يَدِيكَ نَحْوَهُمْ احْتِفَاءً	كمدَّهُما اليهم بِالهِبَاتِ
و لما ضاقَ بطنُ الأَرْضِ عن أنْ	يضمَّ عِلاكَ مِنْ بَعْدِ المماتِ
أصاروا والجوَّ قَبْرَكَ واستعاضوا	عَنِ الأَكْفَانِ ثوبَ السافياتِ ١٣٣
لعظْمِكَ فى النفوسِ تَبِيَّتْ تُرْعَى	بحرّاسٍ و حِمْطَظٍ ثِقَاتِ
و تُشْعَلُ عِنْدَكَ النيرانُ لَيْلاً	كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الحِياةِ

٧- تحقير شأن المشبه وتقييحه .

و ذلك اذا جعلت المشبه به شيئاً معروفاً عند الناس بالمهانة والدناءة
والقبح، تحقيراً للمشبه وتقييحه، كقول عروة بن الورد :

١٣٢- فى التشبيهه، ٢٢٩/١ .

١٣٣- السافيات : الرياح .

لِحَالِهِ صُعَلَوْكَ إِذَا جَنَّ لَيْلَهُ
يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينَهُ
مُصَافِي الْمَشَاشِ الْفَاكِلَ مَجْزَرٌ ١٣٤
أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مَيَّسِرٍ
يَحْتُ الْحَصَا عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَمَّرِ
وَيُمْسِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ

وقال المتنبي في الهجاء :

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّه
قَرِدٌ يَتَّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ

وقد جمع تحسين المشبه وتقييمه قول عنترة :

مَاءُ الْحَيَاةِ بَدَلَةٌ كَجَهَنَّمَ
وَجَهَنَّمَ بِالْعِزِّ طَيْبٌ مَنْزِلٌ *

ولا يخفى أن في التحسين والتقييم أثرا واضحا في تربيته النفوس على الفضائل وردعها عن الرذائل، وترغيبها في الخير وترهيبها عن الشر، وحثها على العمل الصالح وملئها بالحماسة والإقدام وحب التضحية والفداء والوقوف في وجه الظلم ١٣٥.

وقد يعود الغرض من التشبيه إلى المشبه به، وهو على ما أشار إليه صاحب التلخيص ضربان :

١- المبالغة في شأن المشبه به وإيهام أنه أتم من المشبه كما نراه في التشبيه المقلوب، قال البحترى ١٣٦ يصف قصرا فوق هضبة :

١٣٤- المشاش : جمع مشاشة، رأس العظم . المجزر : الموضع الذي تنحر فيه الأبل .

١٣٥- فن التشبيه، ٢٤٣/١ .

١٣٦- البلاغة الواضحة، ٦٢ .

* وقال البارودي : عيش الفتى في فناء الذل منقص - والموت في العز
فخر السادة النبيل .

في رأسٍ مُشرفةٍ حَصَّاهَا لَوْلَاهُ" وترايبها مسكٌ يثابُ بعنبرٍ
وتقول : حَجَرَ كقلب الظالم .

٢- الاهتمام بشأن المشبه به، وذلك اذا تركت في التشبيه المشبه به
الأصلى وما هو انسب واليق بالمشبه، وجئت بأخر لا يكون بينه وبين
المشبه اتصال وثيق ولا قرابة ماسّة، والبلغ لا يرتكب هذا العمل الا لغرض
او نكتة مثل الاهتمام بشأن المشبه به . كما اذا كنت جائعا وشبّهت وجهها
كالبدر في الاستدارة والانارة بالرغيف، اهتماما بشانه . وأظن ان قول
عنتره :

ولقد ذكرتكَ والرماحُ نواهِلٍ منىً وبيضُ السيفِ تقطرُ منىً دمي
فوددتُ تقييلَ السيوفِ لأثَّها لمعتُ كبارقِ ثغرِكَ المتبسِّمِ

من هذا الباب، لان المعروف ان يشبه لمعان السيوف بلمعان البرق
او النجوم او ما هو مثلها في قوة اللمعان وشدة البرقان، وليس كذلك الثغر.
فلا يعنى عنتره من هذا التشبيه غير الاهتمام بشأن المشبه به وادعاء انه لا
يغيب عن قلبه حتى في ساحة القتال .

وهذا الضرب على عكس الضرب الاول لا يختص بالتشبيه المقلوب و
ما وجدت في كلام القوم من يدعى الاختصاص به، غير ان الظاهر من كلام
الاستاذ الجندى اختصاص هذا الضرب بالتشبيه المقلوب كالذى قبله ١٣٧، و
لا يخفى ضعفه لان الامثلة المتقدمة لبيان الاهتمام بشأن المشبه به، لا تؤيد
الاستاذ .

وأضيفُ على الضربين المذكورين ضربا ثالثا، وهو تحسين المشبه به

بالطريق الأولى على وجه الكناية، ويتأتى ذلك فى التشبيه المقلوب . قال
عنترة :

لَيْنٌ أَكُّ اسْوَدًّا فَالْمِسْكَ لُونِي وما لسوادِ جلدى من دواء
وأظنّ ان قوله تعالى على لسان آكلى الرّبا : «انما البيع مثل
الرّبا»^{١٣٨} من هذا الباب .

التشبيه فى ميزان النقد

هذه الظاهرة العامة التى توجد عند كل شعب وقوم ويعرفها الصغير
والكبير ويستعملها اهل الوبر والحضر، تتفاوت صنوفها شرفا وخسة،
حسنا وقبحا، إصابة وخطأ وبلاغة وسقوطا، وكذلك تختلف فى الاهمية
وفى اشتغالها على الفن والمهارة وعمق الخيال .

ومما يقرب التشبيه الى القبول والصحة ويزيده الحسن والبراعة،
اشتماله على نقل العواطف والتجارب الذى هو فلسفة ابتداء التشبيه^{١٣٩}،
والوفاء^{١٤٠} بالعرض المراد منه، واخراج الخفى والمستور الى الظاهر
والمكشوف^{١٤١}، وجمع^{١٤٢} الاشياء برباط وثيق يختص به طرفا التشبيه فى
قصد المتكلم، واتفاق^{١٤٣} المشبه والمشبه به فى معينين او اكثر من الوجوه
المشتركة التى تدعو الخيال الى التركيب والتأليف^{١٤٤}، والوقوف^{١٤٥} عند

١٣٨- البقرة، ٢٧٦ .

١٣٩- النقد الادبى، ٤٤٧ .

١٤٠- سر الفصاحة، ٢٩٠ والصناعتين، ٢٥٧ والعمدة ١/٢٨٧ .

١٤١- سر بلاغة ارسطو، ٢٧١، عيار الشعر، ١٧ .

جهات لا يتم التشبيه لدى المتكلم إلاّ بها، وأن يقع التشبيه موقعه ١٤٢ خاليا من الغلو والافراط، بعيدا عن الرداءة والتنافر وكلّ ما يذهب بسلاسة التعبير وسهولته، وأن يكون اشتراك المشبه والمشبه به في الصفات الأكثر من افرادهما حتى يتبيّن وجه التشبيه ولاكلفة الاّ ان يكون المطلوب من التشبيه اشهر صفات المشبه به واكملها ١٤٢، وأن تكون المشابهة بين الطرفين متحققة ومتأصلة ومقبولة بحيث لو جعل كل منهما مشبها به لم يُخلّ بالكلام، قال ابن طباطبا: «فاحسن التشبيهات ما اذا عكس لم ينتقض» ١٤٤.

هذه نماذج من التشبيه المختار الحسن البارِع :

قال الله تعالى : «مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياءَ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وانّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت» ١٤٥.
وقال ايضا : «هّن لباس لكم وانتم لباس لهن» .
وجاء في الامثال : «الليل جنة الهارب» ١٤٦.

وقال مسلم بن الوليد :

فإنّ أغش قوماً أو أزورهم

فكالوحش يثديها من الانس المحلّ

١٤٢- عيار الشعر، ٦ .

١٤٣- مقدمة شرح الحماسة للمرزوقي، بالنقل عن الرمزية في الادب

العربي، ١٨ .

١٤٤- عيار الشعر، ١١ .

١٤٥- عنكبوت

١٤٦- المثل السائر، ٣٩٩-٤٠٠ .

وانسى و اسماعيل بعد فراقه

لكالغمد يوم الروع زايله النصل^{١٤٧}

وقال ابو العلاء المعري :

والخيل كالماء يبدى لى ضمائرہ

مع الصفاء ، و يخفيها مع الكدر

وقال الحسين بن مطير الاسدي يرثى معن بن زائدة :

فتى عاش في معرفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

وقال عنترة بن شداد العبسي :

و خلا الذباب بها فليس ببارح

غردا كفعل الشارب المترثم

هزجا يحك ذراعہ بذراعہ

قدح المكب على الزناد الأجذم^{١٤٨}

وقال امرؤ القيس في اثبات الليل واقامته :

كان الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان الى صم جندل

وقال مجنون ليلى :

اريد لأنسى ذكرها ، فكأنا تماثل لي ليلي بكل سبيل^{١٤٩}

ذكر ابن الاثير في التشبيه المقبول والحسن قسما خاصا يرجع الى قالب

التشبيه وعرضه ، فقال :

«واعلم ان محاسن التشبيه ان يجيء مصدريا ، كقولنا : أقدم إقدام

١٤٧- عيار الشعر ، ٨٩ .

١٤٨- سر الفصاحة ، ٢٤٠ .

١٤٩- الكامل ٣/ ١١٤ ، ١٢٣ .

الأسد ، وفاض فيض البحر . وهو احسن ما استعمل في باب التشبيه»^{١٥٠} .
إذا كان وجود الاوصاف المتقدمة سبباً لإجادة التشبيه وإصابته، وعلّة لبلاغته وبراعته، فلاشك ان الخلو منها يوجب قبحه وخطأه ويضع من قدره وروعته، ويجلب عيوباً تحطّ من شأنه .

فهذه العيوب اما ترجع الى الألفاظ المفردة ، او الى صياغة الكلام و تركيبه، او الى المعنى، او الى عملية الخيال او غير ذلك . وفيما يلي نماذج من العيوب التي اعتورت التشبيه وجعلته قبيحاً :

قال بشار بن برد :

كَأَنَّ ابريقَنَا والقطرُ في فمِهِ طيرٌ تناولَ ياقوتاً بمنقارِ
والمعروف ان كلمة «طير» اذا استعملت يقصد بها معنى الجمع ، جاء في القرآن الكريم : «والطيرُ صافات»^{١٥١} ، «وارسل عليهم طيراً ابابيل، ترميهم بحجارةٍ من سجيل»^{١٥٢} . ذكر علامة الزمخشري ان الطير اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى^{١٥٣} .

اما اذا قصد بها معنى المفرد كما وقعت في بيت بشار فهي رديئة ، والحسن المقبول فيها لفظة «طائر» .

ومثله قول المتنبي :

و مملومة سيفية ربيية

يَصيحُ الحِصا فيها صياحُ الكفالقِ^{١٥٤}

١٥٠- المثل السائر ١/٣٩٥ .

١٥١- النور، ٤١ .

١٥٢- الفيل، ٣-٤ .

١٥٣- الكشف، ٤/٢٣٤ .

١٥٤- المملومة : الكتيبة المجتمعة . سيفية : منسوبة الى سيف

الدوله . ربيية : منسوبة الى قبيلة ربيعة وهى قبيلة سيف الدولة .

فان لفظه «اللقاق» مبتدلة بين العامة، فلاتقع موقع القبول والرضى^{١٥٥}.
وقال ذوالرّمة :

كَانَ اصْوَاتٌ ، مِنْ اِيْغَالِهِنِّ بِنَا ،

أَوْ اٰخِرِ الْمَيْسِ ، اَصْوَاتِ الْفَرَارِيحِ^{١٥٦}

يريد : كأن اصوات او اخرالميس اصوات الفراريح من ايغالهن بنا،
لكن هذا المراد لا يعرف بغير اعمال الفكر والرؤية، لان الخلل الناشىء فى
الصياغة بسبب التقديم والتاخير قد ذهب بسلامة التعبير وسهولته .
ومثله قول بعضهم :

فَاَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَرَأَ رُسُومَهَا قَلَمًا
وَالْأَصْلُ : فَاَصْبَحَتْ بَعْدَ بَهْجَتِهَا قَرَأَ ، كَأَنَّ قَلَمًا خَطَّ رُسُومَهَا .

وقال خفاف بن ثدبة :

أَبْقَى لَهَا التَّعْدَاءُ مِنْ عَتَدَاتِهَا وَ مَتَوْنِهَا كَخِيُوطَةِ الْكُتَّانِ
أَرَادَ أَنْ قَوَائِمِهَا وَمَتَوْنِهَا مِنْ اِثْرِ الْعَدْوِ وَالرَّكْضِ دَقَّتْ حَتَّى
صَارَتْ كَالْخِيُوطِ ، وَهَذَا التَّشْبِيهُ بَعِيدٌ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْغُلُوِّ^{١٥٧} .
وفى البيت عيب آخر وهو انه اراد ضلوعها، فقال متونها .

وقال الأخطل مخاطبا عبدالمك فى شأن زفر بن الحارث :

بَنَى اِمِيَّةَ اِئْتَى نَاصِحٌ لَكُمْ فَلَ يَبِيْتَنَّ فَيْكُمْ اَمِنَا «زَفَرٌ»
يُظَلُّ مُفْتَسِرًا كَاللَّيْثِ كَلِكَلْتَهُ لَوْ قَعَةٌ كَأَنَّ فِيهَا لَهَا جِزْرٌ

١٥٥- المثل السائر، ١٨٢-١٨٣ .

١٥٦- الميس الرحل، الخشبة الطويلة التى بين الثورين، اوغل فى-

النسير : اسرع، والقوم : امعنوا فى سيرهم . والفراريج : افراخ الدجاج .

١٥٧- عيار الشعر، ٩٠ والصناعتين، ٢٥٦ .

فهذا التشبيه لا يفي بما يريد الشاعر منه، لانه رفع شأن «زفر» حتى خوِّف منه مع ان الشاعر أراد ان يضع من قدره .

ومثله قول كثيّر :

الا إنّما ليلى عصا خيزرانةٍ اذا غمَزَموها بالأكفّ تلينُ
فكلمة العصا التي توحى بمعاني اليبس والجساوة والغلظة لا تناسب ما قصده الشاعر من وصف حبيته باللين والرّقة والشدونة .

روى أن كثيّرًا لما انشده بشارا ضحكك، وقال : لله ابوصخر، جعلها عصا ثم يعتذر لها، والله لو جعلها عصا مٌخّ او عصا زبدٍ لكان قد أساء ١٥٨.

ومثله ايضا قول العرجي :

يدبّ هواها في عظامي وحبّتها كما دبّ في الملسوع سمّ العقارب
فتشبيهه ديب الهوى في العظام بديب السم في الملسوع غاية في البشاعة، وهذا التصوير للحب ليس دليلا على الحبّ الذي اراد الشاعر التأكيد عليه .

وقال ابو بكر بن ظهار :

و كأنّ الظلامَ لمّا تولّى تمرّ راعه من الفجر ليث
والنمر ليس معروفا بالسواد والظلمة ولا الأسد بالبياض والاشراق، فلم يجمع طرفي التشبيه رباط وثيق، فلا تجد في هذا التشبيه بيانا يقرب ما اراده الشاعر من الأذهان ويزيل عنه الابهام والغموض . وفي البيت عيب آخر وهو ان وصف المشبه به بالارتياح من الاسد لم يقع في موقعه، اذ «أنّ النمر لا يرتاح من الاسد ارتياح الثور منه، او ارتياح الشاة من الذئب

حتى يُمثَّل به، بل المعروف ان النمر يقاوم الاسد ويصارعه ولا يستسلم لهلكه معه»^{١٥٩}.

اعلم ان جمع الاشياء برباط وثيق يمت الى قرابةٍ ونسب و وقوع التشبيه موقعه، عقبة صعبة لم يعبرها الا فرسان البلاغة، ومقتل من مقاتل البيان لم ينج منه الا اصحاب البراعة. فلهذا نرى اكثر عيوب التشبيه ترجع الى هذه المسألة.

قال ساعدة بن جؤية يصف السهام :

كساها رطيب الرّيش فاعتدلت^{١٦٠} قداح^{١٦١} كاعناق الطباء الفوارق
فتشبيه السهام بالاعناق ليس مقبولا لفقدان المقاربة بينهما، وايضا ان المطلوب في السهام الدقة والاستواء، فتشبيهها بما يعرف بهذين الوصفين أنسب والى الصواب اقرب.

ومثله قول بعضهم :

ملا حاجبيك الشيب حتى كآته^{١٦٢} ظباء^{١٦٣} جرت^{١٦٤} منها سنيح^{١٦٥} وبارح^{١٦٦}
شبه الشاعر شعرات البيض في حاجبيه بظباء سوانح وبوارح، ولا يخفى ما فيه من البعد وعدم القرابة^{١٦٧}.

ومن هذا الباب ايضا قول ابي تمام :

لا تسقني ماء الملام فاتنسى^{١٦٨} صب^{١٦٩} قد استعدبت^{١٧٠} ماء بكائي^{١٧١}
فجعل للملام ماء وهو بعيد، اذ الماء مستلذ والملام مستكره، فيكون بينهما من هذه الناحية منافرة ومخالفة. ولهذا روى ان بعض اهل المجانة ارسل الى ابي تمام قارورة وقال : «ابعث في هذه شيئا من ماء الملام»^{١٧٢}.

١٥٩- فن التشبيه ٦٧/٢.

١٦٠- الصناعتين، ٢٥٧-٢٥٨، والمثل السائر، ٤١٩/١.

١٦١- المثل السائر، ٤١٨/١.

وقال ابو نواس يصف الاسد :

كانما عينه إذا نظرت^{١٦٢} بارزة الجفن ، عين مخنوق
فالشاعر أخطأ في اختيار المشبه به لعين الاسد، اذ المعروف ان عين
الاسد غائرة لا بارزة، كما قال ابن عبد ربه :

ليث^{١٦٣} تطير له القلوب مخافة^{١٦٤} من بين هممة له وزير
و كأنه يثومى اليك بطرفه^{١٦٥} عن جمرتين بجمد منقور
ومثله قول النابغة الجعدي :

كان^{١٦٦} حجاج مقلتها قلب^{١٦٧} من الشيقين ، حلق مستقاها^{١٦٨}
فالشاعر شبه حجاج مقلة ناقته بالقلب الذي غار ماؤه فأخطأ ، لان
الحجاج هو العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب فلا يغور .

ويمكن ان يفرق بين خطأ ابي نواس والنابعة : بان الشاعر في الاول
لم ير المشبه او راه رؤية عابرة او سمع بوصفه، ولكنه في الثاني لم يدقق
الملاحظة في احواله واجزائه مع انه رآه عيانا غير مرة^{١٦٩}.

وقال الكميث :

كان^{١٧٠} العظام من^{١٧١} عليها^{١٧٢} أراجيز^{١٧٣} أسلم^{١٧٤} تهجو غفار^{١٧٥}

١٦٢ - سر الفصاحة، ٢٥٤ .

١٦٣ - القلب : البئر، وقد يؤنث . الشيقين : موضع . حلق : غار .

مستقاها : ماؤه .

١٦٤ - عيار الشعر، ٩٠-٩١، والصناعتين، ٢٥٨، و فن التشبيه ،

٢٢٥/٣ - ٢٢٦ .

١٦٥ - العظام بضم الغين : صوت غليان موج البحر، والمراد هاهنا :

غليان القدر .

فأخطأ الكميّ في تشبيهه، لانه اختار مشبّهها به لم يقع في الخارج ولم يسمع به احد، فان قبيلة اسلم ما هجت يوما غفارا .
ومما لم يكن التشبيه مُصيّبا ولم يقع موقعه قول المّرّار :
و خالٍ على خديك يبدو كأنّه

سنا البدر في دعجاء بادٍ دجونتها^{١٦٦}

لان الخدود بيض والغالب المشهور في الخال ان يكون اسود، فتشبيه الخدود بالليل، والخال بضوء البدر تشبيه ناقض للعادة .

وقول الحكم - لعله عبدالرحمن بن الحكم - :

كانت بنو غالبٍ لأمتها كالغيث في كلِّ ساعةٍ يكفٍ
ومثله قول أيمن :

فانا قد وجدنا امّ بشرٍ كامّ الأسدٍ مذكّارا و لودا
فلا تعرف امّ الأسد بانها مذكّار و ولود، فوصفها بهذه الصفة لم يقع موقعه^{١٦٧} .

ومن العيوب التي ترجع الى عملية الخيال او الاحساس والشعور قول المتنبي في مدح سيف الدولة ونكايته بالروم :

ثرتهم فوق «الأحيدب» كلّه كما نثرت فوق العروس الدراهم
يريد ان مزق أعداءه كلّ مزق وبدد شملهم وفرق جشهم واشلاءهم على هذا الجبل، كما يفرق الدراهم والدنانير على العروس .

فالتشبيه من ناحية اللفظ والمعنى مقبول، الا انه من حيث الجو العاطفي وعملية الخيال معيب، اذ الشطر الاول كما قال الاستاذ على الجندی :

١٦٦ - دعجاء : سوداء، صفة لمحذوف تقديره ليلة. ودجونها سوداها.

١٦٧ - سر الفصاحة، ٢٤٥ .

« بهيم الانسان في جوّ قابض كئيب عابس، وهو جوّ الموت والجراح
والدماء والأشلاء والأئين والتوجع .
والثاني ينقله الى جوّ ضاحك فرح بهيج، اعنى جوّ العروس المجلوة
على المنصة فى أبهى زينتها بين اترابها الناضرات يرقصن، ويعنّين وينثرن
فوقها الدراهم» ١٦٨ .

فلم يجز الشطران فى هذه العملية على وتيرة واحدة، ولم يظهر
الطرفان عند الاحساس والشعور على مسرح مشابه .

وقال ابن المعتز فى وصف هلال الفطر عقب رمضان :

انظر اليه كزورقٍ من فضّةٍ قد اثقلته حمولةٌ من عنبرٍ
فهذا التشبيه من الناحية اللفظية والمعنوية مقبول ايضا، الا انه من
حيث عدم ربط التشابه بالشعور المسيطر على الشاعر فى نقل تجربته معيب .
لانه لا ينقل الينا شعوره الصادق بجمال هلال الفطر وروعته فى هذا التشبيه،
وكل ما جاء به انه بحث عن نظير حسى لما يراه دون ان يتصل هذا النظر
بشعور محدّد او فكرة .

وقد يكون فى هذا التشبيه دلالة نفسية على رغبته فى الهرب من
عالم الواقع، او دلالة على بيئة الترف التى فيها ابن المعتز، ولكن هذه
الدلالة النفسية لاشعورية، ولاصلة لها بالمنظر الطبيعى الذى يقصد ابن
المعتز الى تصويره ١٦٩ .

١٦٨ - التشبيه ٣/ ١٧٣ .

١٦٩ - النقد الادبى الحديث، ٤٤٤ .

الفصل الثاني المجاز

معنى الحقيقة والمجاز

لما كان المجاز يذكر في مقابل الحقيقة، وكان يتفرع عليها ولا يتصور بدونها، جرت العادة بالبحث عن الحقيقة وتفسيرها كالمجاز، وان كان المقصود الاصلى هو الاخير .

الحقيقة لغة :

جاء في اللسان : والحقيقة : ما يصير اليه حق الامر و وجوبه . وبلغ حقيقة الامر، اي يقين شأنه .

وفي الحديث : لا يبلغ المؤمن حقيقة الايمان حتى لا يعيب مسلماً يعيب هو فيه . يعنى خالص الايمان ومحضه وكنهه .
وحقيقة الرجل : ما يلزمه حفظه ومنعه^{١٧٠}.

والحقيقة، اما فعيل بمعنى مفعول من حققت الشيء أحقته اذا اثبتته، واما فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء يحق إذا وجب .

و «التاء» فيها عند السكاكى للتأنيث مقدرةً بمعنى الفاعل او بمعنى المفعول، لاعتباره الصفة غير مخرّاة على الموصوف، اعنى الكلمة قبل التسمية^{١٧١}. ولكن التفتازانى يرى ان «التاء» فيها للنقل من الوصفية الى الاسم^{١٧٢}.

١٧٠- اللسان، مادة حق .

١٧١- مفتاح العلوم، ١٧١ .

١٧٢- المطول، ٢٧٩ .

ومعنى كونها للنقل، ان «التاء» في الاصل تدل على معنى فرعى و هو التأنيث، فاذا روعى نقل الوصف عن أصله الى ما كثر استعماله فيه و هو الاسمية، اعتبرت التاء فيه واتى بها اشعارا بفرعية الاسمية فيه كما كانت فيه حال الوصفية اشعارا بالتأنيث . فالتاء الموجودة بعد النقل غير الموجودة قبله^{١٧٣}.

وسواء قدرت التاء للتأنيث او للنقل يقال بالمعنى الاسمى : لفظ حقيقة كما يقال كلمة حقيقة .

وقال النويرى : والحقيقة، فى اللغة فعيلة بمعنى مفعولة، من حق الامر يحقّه اى اثبتّه، او من حققته اذا كنت منه على يقين^{١٧٤}.

الحقيقة اصطلاحا :

الحقيقة اذا اطلق على القول يراد بها فى الاصطلاح : ما جرى مجراه الاصلى وسلك مسلكه الطبيعى من حيث المعنى والعلاقة بين الاجزاء .

قال ابن جنى : الحقيقة، ما أُقِرَّ فى الاستعمال على اصل وضعه فى اللغة^{١٧٥}.

وقال عبدالقاهر فى تحديد الحقيقة فى المفرد : كل كلمة اريد بها ما وقعت له فى وضع واضع - وان شئت قلت : فى مواضع - وقوعا لا يستند فيه الى غيره .

فالاسد اذا استعمل مرادا به الحيوان المفترس الذى وقع له فى وضع

١٧٣- راجع المواهب والدسوقى ٤/٤ .

١٧٤- نهاية الارب، ٣٧/٨ .

١٧٥- الخصائص ٢/٤٤٢ .

واضع اللغة، فقد ادى ذلك من غير ان يحتاج الى اعتبار اصل للحصول على المعنى المراد^{١٧٦}.

وقال ابن الحاجب : الحقيقة، اللفظ المستعمل في وضع اول^{١٧٧}.

وقال السكاكي : فالحقيقة، هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعه له من غير تاويل في الوضع، كاستعمال الاسد في الهيكل المخصوص، فلفظ الاسد موضوع له بالتحقيق ولا تاويل فيه^{١٧٨}.

وقال ابن الاثير: فاما الحقيقة، فهي اللفظ الدال على موضوعه الاصل^{١٧٩}.

وقال النويري : فحدها في المفرد، ان كل كلمة اريد بها ما وضعت له فهي حقيقة، وفي الجملة، ان كل كلمة كان الحكم الذي دلت عليه كما هو في العقل فهي حقيقة^{١٨٠}.

وقال صاحب الطراز : قد اكثر الحذاق من علماء البيان والاصول في تحديد الحقيقة وبيان مفهومها وأتوا بأمر غير مرضية، وأجمعها ما ذكره الحسين البصري : ما افاد معنى مصطلحا عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب^{١٨١}.

وقال صاحب التلخيص : والحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له

١٧٦- اسرار البلاغة، ٣٩٦-٣٩٧ ذكر عبد القاهر ان كل واحد من وصفى المجاز والحقيقة اذا كان الموصوف به المفرد غير حده اذا كان موصوفا به الجملة . وانا نحدّهما في المفرد .

١٧٧- مختصر المنتهى مع شرحه ٤٣/١ .

١٧٨- مفتاح العلوم، ١٦٩ .

١٧٩- المثل السائر، ٥٨/١ .

١٨٠- نهاية الارب، ٣٨/٨ .

١٨١- الطراز، ٤٧/١ .

في اصطلاح به التخاطب^{١٨٢}.

فهذه الأقوال على اختلافها في الدقة والملاحظة تقصد هدفا واحدا وتتلاقى عنده، وهو أن الحقيقة اللفظ الجارى على مجراه الاصلى، والمستقر في موطنه المعين له .

المجاز لغة :

جاء في اللسان : جُرِّتَ الطريق وجاز الموضع جَوْزاً و جَوَازاً و مَجَازاً، و جازية : سار فيه و سلكه .

والمجاز والمجازة : الموضع .

وقولهم : جعل فلان ذلك الامر مجازا الى حاجته، اى طريقا و مسلكا^{١٨٣}.

فالمجاز في اللغة اما مصدرٌ جُرِّتَ المكان اذا تعديته، كما يقال: قست مقاما، وقلت مقالا^{١٨٤}. واما اسم للمكان الذى يُجَاز فيه كالمعاج والمزار و اشباههما^{١٨٥}.

المجاز اصطلاحا :

لقد عرف العلماء والأدباء منذ قديم المَجاز، و تنبهوا لأهميته و دوره في التعبير و الباس المعنى و الاحساس الوضوح و النصاعة، فحاموا حوله و سعوا في تحديده و بيان المراد منه في الاصطلاح . لعل ارسطو فيما نعلم

١٨٢- المطول، ٢٨٥ .

١٨٣- اللسان، مادة جاز .

١٨٤- العمدة، ٢٦٦/١ .

١٨٥- المثل السائر ١/٥٨ .

اول من أتى بتحديد المجاز فانه قال : «والمجاز نقل اسم يدل على شيء الى شيء آخر»^{١٨٦}.

وجاء في الأدب العربي العالمان الجليلان : ابو عبيدة معمر بن المشنى (ت ٢١٠ هـ) وتلميذه ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (-٢٧٦ هـ) واستعملا المجاز فى معنى عام اعنى طريق القول واسلوبه^{١٨٧}. فقال الدينورى : «و للعرب المجازات فى الكلام، ومعناها طرق القول وماأخذه . فبيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والاختفاء والظهار، والتعريض والافصاح، والكناية والايضاح، ومخاطبة الواحد ومخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصدُ بلفظالخصوص لمعنى العموم، وبلفظالعموم لمعنى الخصوص، و...»^{١٨٨}.

واما الشيخ عبدالقاهر (- ٤٧١ هـ) فهو يحدد المجاز هكذا : كل كلمة اريد بها غير ما وقعت له فى وضع واضعها لملاحظة بين الثانى والاول فهو مجاز . وان شئت قلت : كل كلمة جُرّتَ بها ما وقعت له فى وضع الواضع الى ما لم توضع له، من غير ان تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ماتجوز بها اليه وبين اصلها الذى وُضِعَتْ له فى وضع واضعها، فهى مجاز^{١٨٩}.

وقال ابن رشيق (- ٤٥٦ هـ) : وماعدا الحقائق من جميع الالفاظ ثم لم يكن محالا محضا فهو مجاز، لاحتماله وجوه التأويل . فصار التشبيه

١٨٦- فن الشعر، ٥٨ .

١٨٧- راجع مجاز القرآن، ٨، ١١، ١٢ .

١٨٨- تاويل مشكل القرآن، ١٥، ١٦ .

١٨٩- اسرار البلاغة، ٣٩٨ .

والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، الا انهم خصّوا بالمجاز بابا بعينه، وذلك ان يسمى الشيء باسم ما قاربه او كان منه بسبب .

قال جرير :

إذا سقط السماء بأرض قومٍ رعيناهُ وإن كانوا غضابا
فأراد من السماء المطر لتقاربهما، ومن الضمير الراجع الى السماء بمعنى المطر، النبات الذي يكون عنه ١٩٠ .

وقال السكاكي: (ت ٦٢٦ هـ) واما المجاز، فهو الكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة له بالتحقيق، استعمالا فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن ارادة معناها فى ذلك النوع ١٩١ .

وقال ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) : والمجاز، المستعمل فى غير وضع اول على وجه يصح ١٩٢ .

وقال ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) : واما المجاز فهو ما اريد به غير المعنى الموضوع له فى اصل اللغة ... كقولنا : زيد اسد، فان زيدا انسان، والاسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جزنا من الانسانية الى الاسدية ١٩٣ .

والمجاز عند النويرى (ت ٧٣٦ هـ) كل كلمة اريد بها غير ما وضعت له لمناسبة بينهما، او كل جملة اخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه فى العقل بضرب من التاويل ١٩٤ .

١٩٠ - العمدة ١/٢٦٦ .

١٩١ - المفتاح، ١٧٠ .

١٩٢ - مختصر المنتهى مع شرحه ١/٤٣ .

١٩٣ - المثل السائر، ١/٥٨ .

١٩٤ - نهاية الأرب، ٨/٣٨ .

وقال يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـ) : احسن ما قيل فيه، «ما افاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب، لعلاقة بين الاول والثاني»^{١٩٥}.

وجاء في الايضاح في تحديد المعنى الاصطلاحي للمجاز : اما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، في اصطلاح به التخاطب، على وجه يصح، مع قرينة عدم ارادته .

واما المجاز المركب، فهو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه^{١٩٦}.

فهذه الاقوال وان كانت تتفق في ان اللفظ الخارج عن موطنه المعين، والجارى في غير مجراه الاصلي يسمى مجازا، تختلف قريبا وبعدا من الحقيقة، وقصدا واردة للمصديق وشمولا واحتواء لها . فالمجاز عند ابي عبيدة وابن قتيبة كما رأيت لا يضاد الحقيقة ولا يقابلها، لان طريق القول واسلوبه كما يتحقق مع خروج اللفظ عن المجرى الاصلي ، يتحقق مع استقراره في الموطن المعين له . وايضا ان المجاز عندهما اشمل معنى، و اوسع مصاديق .

والمجاز عند ابن رشيق وابن الاثير ايضا يشمل التشبيه الذي هو من مصاديق الحقيقة عند الآخرين، لكن الظاهر من كلام الاول ان التشبيه مطلقا داخل تحت المجاز، لأنه يعلل رأيه هذا بأن المتشابهين في اكثر الاشياء انما يتشابهان بالمقاربة على السامحة والاصطلاح لا على الحقيقة^{١٩٧}.

واما ابن الاثير فهو لا يجعل من المجاز غير التشبيه المضمحل الاداة كما

١٩٥- الطراز، ٦٤/١ .

١٩٦- الايضاح مع شروح التلخيص، ٢٢/٤-٢٤، ١٤١-١٤٢ .

١٩٧- العمدة، ٢٦٨/١ .

رأيت من مثاله، ولأنه يقول : «ان المجاز ينقسم الى قسمين : توسع فى الكلام ، وتشبيهه، والتشبيه ضربان تشبيه تام وتشبيه محذوف، فالتشبيه التام ان يذكر المشبه والمشبه به». فيعنى من التشبيه التام، المضمرة الاداة ١٩٨. لعل ما جاء فى «الايضاح» أضيقت دائرة، وأكثر دقة، وامس الى فلسفة التحديدات جمعا ومنعا .

ثم، فك اذا تأملت هذه الاقوال ظهر لك أشياء :

منها - ضرورة المناسبة بين المعنى الاصلى والفرعى لوجهين : الاول- تيسير الانتقال من المعنى الحقيقى الى المجازى بسبب تلك العلاقة الملحوظة بينهما. الثانى- ان الكلمة لا يضح استعمالها فى جميع غير ما وضعت له، لأن تشريك معنى فرعى للمعنى الاصلى فى اللفظ دون سائر المعانى الفرعية يحتاج الى دليل ومرجح، والا فلا حكمة فى التخصيص .

ومنها - ان كل مجاز له اصل و حقيقة ١٩٩ ، لان اللفظ انما يطلق عليه المجاز بالخروج والنقل عن المعنى الاصلى .

غير ان هذا الخروج لما كان نتيجة التطور الطبيعى لاستعمال اللغات، لانحتاج اليوم فى فهم المراد من هذه اللغات الى تصور معناها الاصلى . قال الاستاذ العقاد : «فلا يلبث التشبيه المجازى ان يؤدي معناه المقصود بغير وساطة الشكل المستعار، ولا يشتغل الذهن بالصورة المحسوسة لاتنقله منها على الإثر الى الوصف الذى يقارنها» ٢٠٠ .

ومنها - ان الحقيقة والمجاز فرع استعمال اللفظ ، فلا توصف كلمة أو كلام بالحقيقة او المجاز قبل استعمالهما .

١٩٨ - المثل السائر، ١/٣٥٦-٣٥٧ .

١٩٩ - المثل السائر، ١/٦٢ .

٢٠٠ - اللغة الشاعرة، ٣٨-٣٩ .

المجاز آية المواهب :

لما كان المجاز عبارة عن خروج اللفظ عن موطنه الاصلى، وعدم جريه على ما عيّن له، كان لا يُعرَف فيه القرار والاصطلاح، ولا يمكن الاهتداء اليه والإجادة فيه بالتعلم والدرس . لان المجاز هو ثورة اللفظ على تلك الاجواء الضيقة التي خلقتها له القرارات والاصطلاحات، فكيف ينقاد اليها مرة اخرى . فهو يعتمد على الذوق والطبع، والبراعة فيه لا تعرف غيرهما، لانها - كما قال أرسطو - ليست مما تتلقاه عن الغير بل هي آية المواهب الطبيعية، لان الإجادة في المجازات معناها الاجادة في ادراك الأشباه^{٢٠١}.

فالمجاز عصيان اللفظ على الوضع والاصطلاح، وتحطيم قيود القرارات والتحديدات، ووليد الأذواق والقرائح، فيتجلّى على أيدي مهرة البيان وأهل الخطابة والشعر، الذين يتوسعون في الأساليب المعنوية، فينقلون الحقيقة الى المجاز . ولم يكن ذلك من واضع اللغة في اصل الوضع ، و لهذا اختص كل منهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية .

هذا امرؤ القيس قد اخترع شيئاً لم يكن قبله، فمن ذلك انه اول من عبّر عن الفرس بقوله «قيد الاوابد» وقال :

وقد أغتدى والطير في وكنتها
بمنجرٍ دٍ قيد الأوابد هيكلاً
ولم يُسمع ذلك لاحد من قبله .

و روى عن النبي (ص) انه قال يوم حنين : «الآن حمى الوطيس»، أراد بذلك شدة الحرب، فان الوطيس في أصل الوضع هو التنور ، فنقل

الى الحرب مجازاً، ولم يُسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي (ص) ٢٠٢.

اللفظ بين الحقيقة والمجاز :

اعلم انهم اختلفوا فى وقوع الحقيقة والمجاز، فذهب بعضهم الى ان اللغة كلها حقيقة وأنكرور ودالمجاز فى القرآن وغيره ٢٠٣. نُقل عن الاستاذ ابى اسحاق الاسفرائنى القول بنفى المجاز فى اللغة .

وحجته ان المجاز على ما يصفه من يقول به يستدعى منقولا عنه متقدما ومنقولا اليه متأخرا، وليس فى لغة العرب تقديم وتأخير بل كل زمان قَدْر أن العرب قد نطقت فيه بالحقيقة فقد نطقت بالمجاز، لان الاسماء لاتدل على مدلولاتها لذاتها، اذ لا مناسبة بين الاسم والمسمى فجعل هذا حقيقة و ذلك مجازا ضرب " من التحكم وترجيح بلا مرجح، فإن الاسد مثلا كما وضع للسبع وضع للرجل الشجاع ٢٠٤.

ويقال ايضا فى الاحتجاج على انكار المجاز : ان افادة اللفظ للمعنى المجازى اما بواسطة القرينة المخصوصة أو بدونها. فان أفاد المعنى بالقرينة كان اللفظ فيه حقيقة، لان اللفظ لا يفيد خلافة مع القرينة، فلا يصح عده مجازاً، وبدون القرينة لا يفيد . فحصل ان اللفظ لا يكون مجازا الا مع القرينة ولا مع عدمها ٢٠٥.

ذهب بعض آخر الى ان اللغة كلها مجاز وأن الحقيقة غير محققة فيها ٢٠٦.

٢٠٢- المثل السائر ١/ ٦١ .

٢٠٣- الطراز ١/ ٤٤ .

٢٠٤- المزهر، ١/ ٢١٤ .

٢٠٥- الطراز ١/ ٧٣-٧٤ .

٢٠٦- المصدر السابق ١/ ٤٤ .

يرى ابن جنى أن أكثر اللغات مجاز يظهر ذلك بالتأمل، فعامّة الأفعال مثل قام زيد وقعد عمرو، وانطلق بشر، وجاء الصيف، وانهمز الشتاء مجاز عنده . ويستدل على رأيه بأنّ الفعل يفاد منه معنى الجنسية، فإذا قيل : قام زيد، فمعناه : كان منه القيام، أي هذا الجنس من الفعل . ومعلوم أنه لم يمكن منه جميع القيام، لأنه من المحال أن يجتمع لسان واحد جميع أنواع القيام الداخلة تحت الوهم . فإذا كان كذلك علمت أن «قام زيد» مجاز لاحقيقة، وإنما هو على وضع الكل موضع البعض للاتساع والمبالغة وتشبيه القليل بالكثير .

ويدل على أن الفعل يفيد معنى الجنس ويتناول جميع أجزائه، أننا نقول : قمت قومةً، وقومتين، ومائة قومةٍ، وقياماً حسناً وقياماً قبيحاً، وقال مجنون ليلي :

فقد يجمع الله الشيتيين بعد ما يظنّان كل الظنّ أن لا تلاقيا
فإعمالنا للفعل في هذه الأجزاء، في بعضه أو كله يدل على أن الفعل صالح بحسب الوضع لأن يتناول جميع أجزائه .

وكذلك قولك : «ضربت زيدا» فهو مجاز من جهة الفعل، ومن جهة المفعول أيضا . أما من جهة الفعل، فلأنك إنما فعلت بعض الضرب لاجمعيه . وأما من جهة المفعول فلأنك إنما ضربت بعض جسمه، مثل يده، أو أصبعه، أو ناحية أخرى من جسده . ولهذا إذا احتاط الإنسان واستظهر جاء ببدل البعض، فقال : ضربت زيدا وجهه أو رأسه^{٢٠٧} .

والتحقيق أن انكار الحقيقة في اللغة افراط، كما أن انكار المجاز

٢٠٧- راجع الخصائص ١/٤٤٧-٤٥٠ .

٢٠٨- الطراز ١/٤٤ .

تفريط^{٢٠٨}، واللغة مشتملة على الحقيقة والمجاز كليهما^{٢٠٩}.

توارد الحقيقة والمجاز على لفظ واحد :

الالفاظ والكلمات خاضعة لنواميس التطور والارتقاء ، فهي تحيي و تعيش، وتتطور وتزدهر ثم تموت . فعلى هذا انها لا تجمد أبدا على حالة واحدة بل تتحول وتغير، فما كان حقيقة في معنى اليوم يمكن أن يصبح استعماله غداً في ذلك المعنى مجازاً وبالعكس، ولهذا يقال : «فالحقيقة متى قل استعمالها صارت مجازاً عرفاً، والمجاز متى كثر استعماله صار حقيقة عرفاً»^{٢١٠}. وايضا ان الشيخ يرمز الى هذا التطور في تعبيره عن المجاز بقوله : «كل كلمة جُزّت بها ما وضعت له في وضع الواضع الى ما لم توضع له، من غير ان تستأنف فيها وضعا...»^{٢١١}.

فهو - كما ترى - يشترط لاعتبار المجاز في اللفظ ان لا يستأنف فيه وضع آخر اى لا يتفق الناس على استعماله في معنى جديد لانه اذا استأنف فيه وضع آخر أصبح استعمال اللفظ في المعنى الجديد حقيقة لا مجازاً .

فعبداً القاهر - وكذا البلاغيون الآخرون - لم يتجاهلوا تطور الدلالة على مر العصور، ولم يحطوا من شأنه، ولم يفرضوا ان اللفظ يتجمد إزاء معنى واحد ولا يتعداه . فهم راعوا ذلك التطور والتغيير، فاعتبروه مرة حقيقة واخرى مجازاً^{٢١٢}.

٢٠٩- المزهري ١/٢١٣ .

٢١٠- المصدر نفسه ١/٢١٦ .

٢١١- اسرار البلاغة، ٣٩٨ .

٢١٢- راجع الصور البيانية، ٢١٣-٢١٥ .

فالحقيقة والمجاز يمكن تواردهما على لفظ واحد، أمّا باعتبار المعنيين فهو ظاهر ولا يتعلق به غرضنا ههنا، وأمّا باعتبار المعنى الواحد فهو يرجع الى وضعين، كاللفظ الموضوع في اللغة لمعنى وفى الشرع او العرف لمعنى آخر، فيكون استعماله فى احد المعنيين بالنسبة الى ذلك الوضع حقيقة، وبالنسبة الى الوضع الآخر مجازاً ٢١٣.

الفرق بين الحقيقة والمجاز :

تُعرف الحقيقة من المجاز بطرق مختلفة :

منها - تبادل الذهن الى فهم المعنى الحقيقى لولا القرينة .

ومنها - ان الحقيقة تصرّف بثنية وجمع واشتقاق بخلاف المجاز، و ذلك مثل كلمة «امر» فاذا استعملت فى القول يقال فيها : هذان أمران ، وهذه أوامر الله وأوامر رسول الله، وأمرٌ يأمرُ أمراً فهو أمرٌ .

واذا استعملت فى الحال والشأن والافعال، صارت عارية من هذه الاحكام .

ومنها - عدم صحة النفى، فلا يصح ان يقال للحيوان المفترس : هذا ليس بأسد . بخلاف المعنى المجازى، فانه يصح نفى الاسد عن الرجل الشجاع .

ومنها - تقوية الكلام بالتأكيد، فانها من علامات الحقيقة دون المجاز لان أهل اللغة لا يقولون المجاز بالتأكيد، فلا يقولون: أراد الجدارُ إرادةً ولا قالت الشمسُ قولاً .

ومنها - الاطراد فيما يدل عليه الكلمة، لان الحقيقة اذا وضعت

لافادة شيء وجب اطرادها، والا كان ذلك ناقضا للغة . فامتناع الاطراد فيها يدل عليه الكلمة من دلائل المجاز، وذلك كتسمية الجَدَّ أباً وابن الابن ابناً، فانها لا تطرد^{٢١٤}.

اقسام المجاز :

ينقسم المجاز في المرحلة الاولى الى قسمين، لان المعتبر في معرفة خروج اللفظ عن مجراه الاصلى، وعدم استقراره في موطنه الطبيعي إما الوضع والاصطلاح فيسمى لغويا ، او العقل فيسمى عقليا .

١- المجاز اللغوي : هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة عن ارادة المعنى الحقيقي، وان شئت قلت : خروج اللفظ عن مجراه الاصلى من حيث معناه الذي عيّن له في اللغة والاصطلاح لغرض . وذلك كقول النبي (ص) : «الآن حمى الوطيس» اراد بذلك شدة الحرب، فاستعمال الوطيس في الحرب مجاز، لانه لم يسمع من اهل اللغة استعمال الكلمة في هذا المعنى والقرار عليه . والنبي (ص) اول من عبّر عن الحرب بالوطيس .

فالمجاز اللغوي إما مفرد " او مركب " ، وكل منهما إما مجاز " استعاري " أو مجاز " مرسل " . فاقسام المجاز اللغوي اربعة :

١- مفرد استعاري .

٢- مركب استعاري .

٣- مفرد مرسل .

٤- مركب مرسل .

٢١٤- راجع جمع الجوامع ١/١٨٤م والمزهر ١/٢١٢ .

والمعتبر في تقسيم المجاز اللغوي الى الاستعاري والمرسل كيفية العلاقة بين المعنى الاصلى والمجازى، فاذا كانت تلك العلاقة عبارة عن المشابهة فى شىء او صفة سُمى المجاز استعارياً، وسيأتى الكلام عليه فى فصل يخصّه لأهميته .

واما اذا كانت العلاقة غير المشابهة فان المجاز حينئذ يسمى مرسلًا، لاسترساله وعدم تقيده بعلاقة خاصة^{٢١٥}.

فالعلاقة فى المجاز المرسل مفرداً او مركباً كثيرة، تأتي فيما يلى بسا هو معروف منها :

١- الكلية والجزئية، كقولك فى تسمية الكل بالجزء : نشرت الحكام الجائرون عيونهم فى الشوارع والأحياء والأسواق، محافظةً على عروشهم المترلزة بالكبت والإرهاق . فسمى الجواسيس بالعيون تسمية للكل باسم جزئه .

وشرطها ان يكون لذلك الجزء مزيد اختصاص بالمعنى الذى قصد بالكل، فهذا لا يصح إطلاق اليد او الأصبع على الجاسوس^{٢١٦}.

واما تسمية الجزء بالكل فكقوله تعالى : «يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصّواعق حذر الموت»^{٢١٧} فالمراد من الأصابع الأنامل التى هى أجزاء من الأصابع .

ومنها قولهم : له الفُ رأسٍ من الغنم .

٢- السببية والمسببية - اما تسمية السبب بالمسبب، فكقوله تعالى:

٢١٥- حاشية الدسوقي ٢٩/٤ .

٢١٦- راجع المختصر، ٣٥/٣-٣٦ .

٢١٧- البقرة، ١٩ .

«يُنزَّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا»^{٢١٨} أي المطر الذي هو سبب للرزق .
وقوله ايضاً: «إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا»^{٢١٩} فعُبِّرَ عن أكل الحرام
بالنار التي تَنشَأُ منه .

وقوله : «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ»^{٢٢٠} أي اردت القراءة .

ومنها قولهم : امطرت السماء نباتاً .

واماً تسمية المُسَبَّبِ بالسبب، فكقوله تعالى : «فَمِنَ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ
فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»^{٢٢١} سمي جزاء الاعتداء اعتداءً ،
لأنه مسبب عن الاعتداء .

وقوله ايضاً : «وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا»^{٢٢٢} فعبر عن الاقتصاص
بالسيئة لتسبيه عنها .

وقال الشاعر :

اَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكَ بِضَرَّةٍ

بعيدةٍ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

اراد من الدم الدية التي هي مسببة عن الدم^{٢٢٣} .

٣- الحالية والمحلية - اما تسمية الحال باسم محله، فكقوله تعالى :

«فَلْيَدْعُ نَادِيَةً»^{٢٢٤} . أي اهل نادية «فالنادية» اسم لمكان الاجتماع

٢١٨- المؤمن، ١٣ .

٢١٩- النساء، ١٠ .

٢٢٠- النحل، ٩٨ .

٢٢١- البقرة، ١٩٤ .

٢٢٢- الشورى، ٤٠ .

٢٢٣- راجع الايضاح مع شروح التلخيص ٤/٣٨-٣٩ .

٢٢٤- العلق، ١٧ .

ومجلس القوم وقد اطلق على اهله الذين يخلثون فيه^{٢٢٥}.

ومنها قولك : سرَق اللّصّ المنزل، تريد انه سرق ما فى المنزل، و شربت كوباً من الشاي، اى شربت ما فى كوب .

واما تسمية المحل باسم حاله، فكقوله عز شأنه: «واما الذين ابيضت وجوههم فى رحمة الله»^{٢٢٦} اى فى الجنة التى هى محل الرحمة .

٤- اعتبار ما كان - كقوله عز وجل : «وأتوا اليتامى اموالهم»^{٢٢٧} سُمى البالغون باليتامى، تسمية للشئء بالاسم الذى كان هو عليه فى الزمان الماضى .

وكما يقال : من الناس من يأكل القمح ، و منهم من يأكل التذرة والشعير ، اى الخبز الذى كان فى الأصل قمحا او شعيرا او غيرهما .

٥- اعتبار ما يكون - كقوله تعالى : «إِنَّكَ إِذْ تَدْرَهُمْ يَضَلُّوا عبادك، ولا تَلِدُوا الا فاجراً كفاراً»^{٢٢٨}. سُمى المولود بالفاجر تسمية للشئء بما يؤول اليه فى المستقبل مجازاً، لان المولود لا يتصف حين الولادة بالفجور او الكفر .

وقوله ايضا : «إِنتى أَرانى أعصِرُ خمرًا»^{٢٢٩} اى عنبا يؤول بعد العصر الى الخمر .

٥- الآليّة - كقوله تعالى : «وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسولٍ الاّ بلسانِ قومه»^{٢٣٠}، اى بلغة قومه، فعبر عن اللغة باللسان الذى هو آلة لها .

٢٢٥- المواهب ٤/٤١ .

٢٢٦- آل عمران، ١٠٧ .

٢٢٧- النساء، ٢ .

٢٢٨- نوح، ٢٧ .

٢٢٩- يوسف، ٣٦ .

٢٣٠- ابراهيم، ٤ .

وتقول : هو كاتِبٌ له قلمٌ بليغٌ، تريد من القلم كلامه، فسميت الكلام باسم آتته .

٦- المجاورة - قال عنتره :

فشككتُ بالثرمحِ الأصمُّ ثيابه ليس الكريمُ على القنا بمُحَرَّمِ
 اراد قلبه او صدره، فعبّر عنه بالثياب تسمية للشئء باسم مجاوره .
 فهذه الأمثلة كلها من باب المجاز المرسل في المفرد، وأمّال مثال المرسل
 في المركب فكقول جعفر بن علبه الحارثي :

هوأى مع الركب اليمانيين مُصْعِدِ

جنيبٌ و جثمانى بمكّة مَوْثِقُ

فهذا المركب موضوع للاخبار بفارقة المحبوب، ولكن الغرض منه اظهار
 التخزن والتحسر اللازم لذلك الاخبار ٢٣١.

وقال حارث بن وعله :

قومي هم قتلوا - أميم - أخى فاذا رميت يصيثنى سهمى
 اراد التخزن والتفجع اللازم لهذا الاخبار، لأن اميمة عالمة بان
 القاتلين لأخيه قومه .

وكقوله تعالى حكاية عن زكريّا (ع) : «ربّ إني وهنّ العظم

منى» ٢٣٢.

وقوله ايضا : «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟» ٢٣٣

٢٣١- المطول، ٣٠٩، وحاشية عبدالحكيم ٥٠٥ .

٢٣٢- مريم، ٤ .

٢٣٣- الزمر، ١٩ .

فالمراد في الاول اظهار الضعف والتخضع، وفي الثاني تحريك حمية
الجاهل^{٢٣٤}.

المجاز في ادوات الاستفهام و صيغ الامر والنهي :

اعلم ان استعمال ادوات الاستفهام في معاني مثل الاستبطاء والتعجب
والنفي، وكذا صيغ الأمر والنهي في غير معناهما كالتهديد والتعجيز
والإهانة، يُعدّ مجازاً الاّ انّ تحقيق كيفية هذا المجاز وبيان انه من
ايّ نوع من أنواعه مسا لم يحتم احد حوله، كما قال التفتازاني^{٢٣٥}.
وعلل السيد في حواشي المطول ترك المسألة من جانب القوم، بصعوبة
بيان علاقة المجاز وكيفية المناسبة المجوّزة له، ثم قام نفسه ببيان هذه
العلاقة في اكثر استعمالات ادوات الاستفهام في غير معناها. ويرجع خلاصة
ما ذكره الفاضل المحشى الى أن نوع المجاز مرسل، وأن العلاقة عبارة عن
الاستلزام^{٢٣٦}.

ويرى عبد الحكيم السيالكوتى أن استعمال أدوات الاستفهام في غير
معناها ليس مجازاً دائماً، بل هو متردد بين المجاز والكناية ومستتبعات
الكلام. فقال في بيان «ما لى لا أرى الهدهد» :
عدم الرؤية قد يكون لحال في جانب الرائي، وقد يكون لحال فى
جانب المرئى، فقوله : «مالى لا أرى الهدهد؟» ان كان استنفهما عن حال
فى جانب الرائي يوجب عدم الرؤية، فالاستفهام لا يسكن حمله على حقيقته اذ
لا معنى للاستفهام عن حال نفسه، فهو مجاز عن التعجب .

٢٣٤- راجع المطول، ٣٥-٣٦ .

٢٣٥- راجع المطول، ٢٣٥ .

٢٣٦- راجع حاشية السيد على المطول، ٢٣٥ .

وان كان استفهما عن حال في جانب المرئى يوجب عدم الرؤية كالسائر، فيجوز ان يكون الاستفهام على حقيقته .
 فان قصد منه التعجب ويكون ارادة المعنى الحقيقى لمجرد التصوير والانتقال كان كناية، وان قصد منه المعنى الحقيقى مع التعجب كان التعجب من مستتبعات الكلام .
 ثم أضاف : وبما ذكرنا ظهر الجمع بين كون الاستفهام على حقيقته وكونه للتعجب ٢٣٧ .

بقيت ههنا نكتة وهى بيان نوع المجاز، بمعنى انه هل مفرد او مركب؟ فالظاهر من كلامهم أنه يُعدّ من المجاز المفرد، ولكن لا أرى منعا فى حمله على المجاز المركب ايضا* ، كما رأيت فى قوله تعالى : «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» .
 وفى ختام البحث عن المجاز المرسل لا بأس ان يُعرّف أن السكاكى وابن الاثير لم يأتيا بعنوان «المرسل» لهذا القسم من المجاز، بل جاء السكاكى بموارده تحت عنوان المجاز المفيد والمجاز الخالى عن الفائدة ٢٣٨ .
 واما ابن الاثير فانه يردّ موارده الى قسم سماه بالمجاز فى التوسع ٢٣٩ .
 ٢- المجاز العقلى :

المجاز العقلى هو اسناد الفعل الى غير ما هو له لعلاقة، وان شئت قلت : خروج اللفظ عن مجراه الأصلى من حيث الرابطة او النسبة التى وقعت

٢٣٧- حاشية عبد الحكيم، ٣٥٩ .

٢٣٨- المفتاح، ١٧٢ .

٢٣٩- المثل السائر ١/ ٣٥٦ .

* وان كان الاستفهام لطلب التصور دون التصديق .

بين الكلمات، وذلك كأن يقال : جَدَّ جُدَّكَ .

إذا تأملت في هذا الكلام عرفت انه لم يجر مجراه الحقيقي، لان الجَدَّ لا يصلح لان يُنسب اليه فعل الجَدَّ . ولاشك ان هذه المعرفة لم تنبأ من ناحية اللغة و وضعها، بل الحاكم هنا هو العقل، ولهذا يُسمى بالمجاز العقلي. وليس من واجبات هذا المجاز ان يكون مكان الحكم الأصلي معلوما بنفس العقل مثل المثال المتقدم، بل اذا استعان العقل في معرفة الحكم بشيء آخر غير الوضع جاز ولم يخرج عن كونه عقليا، كما اذا قلت: هزم الأمير الجند. فالعقل هنا يحكم باستعانة العادة ان الأمير لا يهزم الجند بنفسه^{٢٤٠}. لما كان المجاز العقلي راجعا الى الرابطة والنسبة بين الكلمات كان من الطبيعي ان لا يتحقق الا في المركبات .

وجدير بالذكر ان النسبة التي توصف بالمجاز اعم من ان تكون تامة او ناقصة كما في المركبات الاضافية، واعم من ان تتحقق بين الفعل والمفعول والسبب والزمان والمكان والمصدر، او بين ما في معنى الفعل معها . فالنسبة تكون مجازا عقليا في الموارد الآتية :

١- نسبة الفعل ومعناه الى المفعول حال كونها مبينين للفاعل، و ذلك كأن تقول : برى القلم . والاصل برى الكاتب القلم، لكن تُسند الفعل المبني للفاعل الى المفعول اشارة الى ان القلم لينته كانه يساعد على عمل البرى .

ومثل ما يقال : «عيشة» رَضِيَتْ° و «عيشة» راضية° .

فالراضى في الاصل الشخص لا العيشة .

قال الحطيئة :

دع المكارمَ لا ترحل لبغيتيها
واقعدْ فإتكَ أنت الطاعم الكاسي

اراد انت المطعوم والمكسو . واصل النسبة هكذا : فانك الناس طاعمك وكاسيك، فأسند الوصف الى المفعول على سبيل التهكم، او للإشارة الى ان المفعول يُبرَز نفسه في معرض الفاعل .

٢- نسبة الفعل ومعناه الى الفاعل حال كونها مبنيين للمفعول ، نحو : صاحب العشيّة رضى . والمرضى في الاصل العيشة لاصحابها، لكن اسند الفعل المجهول الى الفاعل قصدا للمبالغة في الرضاء ، لانه اذا كان الشخص مرضيا للعيشة كانت تستسلم له وتدور معه، فكأنما خلقت له وخلق لها، فيحصل التراضى من الجانبين .

وجاء في القرآن الكريم : «واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون حجاباً مستورا» ٢٤١.

والمستور في الاصل القرآن او الرسول لا الحجاب الساتر، لكن اسندت الصفة الى الفاعل وهو الحجاب، مبالغة في انه حجاب يستر أن يُبصر فكيف يُبصر المحتجب به، كما قال الزمخشري ٢٤٢.

٣- نسبة الفعل ومعناه الى السبب، نحو قوله تعالى : «يذبح ابنائهم» ٢٤٣.

والمذبح في الحقيقة أعوان فرعون لانفسه، لكن اسند الفعل اليه اشارة الى انه هو السبب لتلك الجريمة .

٢٤١- الاسراء، ٤٥ .

٢٤٢- الكشاف ٢/٢٦٣ .

٢٤٣- القصص، ٤ .

وكقوله ايضا : «فما ربيحت تجارته»^{٢٤٤} والرابع في الاصل هو اصحاب التجارة، فاسند الفعل الى السبب مجازا تحقيرا لشأنه وتاكيدا على الخسران الناشئ منه .

وكقولك : هذا سيف قاتل .

والقاتل هو الشخص، لكن اسندت الصفة الى السبب وهو السيف مبالغة في شأنه .

وكقول عمرو بن العاص في ذكر الكلمات التي استحسناها . هئن مؤخر جاتي من الشام»^{٢٤٥} .

٤- نسبة الفعل ومعناه الى المصدر، اي المفعول المطلق^{٢٤٦}، نحو : عظمت عظمته وصالت صولته .

والفاعل في الحقيقة صاحب العظمة والصولة، لكن اسند الفعل اليهما للمبالغة .

وكما يقال : شعر شاعر .

٥- نسبة الفعل ومعناه الى الزمان، كقول طرفة بن العبد :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا

وياأتيك بالأخبار من لم تنزود^{٢٤٧}

اراد ان الحوادث التي تقع في الأيام تبيّن للانسان ما يجهله، لكن

٢٤٤- البقرة، ٦ .

٢٤٥- اسرار البلاغة، ٤٣٣ .

٢٤٦- حاشية عبد الحكيم، ٢٣ .

٢٤٧- اخذت بعض هذه الامثلة من كتاب البلاغة الواضحة، ١١٩ .

اسند الفعل الى الزمان الذي توطنت النفس^{*} على وقوعه، ليطمئن السامع على ان الخبر واقع .

جاء في القرآن الكريم : «يوم يجعل^{*} اللدان شيئا»^{٢٤٨}.
وكما يقال : يوم "عاصف".

فاليوم لا يكون عاصفا، وانما العاصف الريح التي تعصف فيه، فاسندت الصفة الى الزمان مجازا .

٦- نسبة الفعل ومعناه الى المكان، كقوله تعالى : «واخرجت الارض^{*} أثقالها»^{٢٤٩}.

والاخراج في الحقيقة ليس فعل الأرض، لكن نسب اليها تجسيما للتسريع في العمل، واشارة الى درجة اتقياد الأرض في عملية هذا الإخراج، فكان نفسها هو المخرج للاثقال .

وكما يقال : ذلك نهر "جارٍ" . وتلك حديقة "غناء"^{*} .
ففي الحقيقة ان الجارى ماء النهر وان الغناء طيور الحديقة او ذبابتها، لكن اسندت الصفة في المثالين الى المكان مبالغة في الجرى والغنى .

٧- نسبة الخبر الى المبتدأ الخارجة^{*} عن موضعها، نحو : زيد "أسد"، وانما هي اقبال "وادبار" .
قالت الخنساء :

تَرَ تَعُ^{*} ما رتعت[°] ، حتى اذا دكرت[°]

فإنما هي إقبال^{*} وادبار^{*}

فالحكم بالاتحاد بين زيد و اسد، وكذا بين الناقاة والاقبال والادبار

٢٤٨- المزمّل، ١٧ .

٢٤٩- الزلزال، ٢ .

خارج عن موضعه في العقل^{٢٥٠}.

قال الشيخ في دلائل الاعجاز : ومما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء : « وترتع ... البيت » . وذلك انها لم تُردِّدْ بالاقبال والادبار غيرَ معناهما فتكون قد تجوزت في نفس الكلمة، وانما تجوزت في أن جعلتها لكثرة ما تُقبِل وتُدبِرُ، ولغلبة ذلك عليها واتصاله بها، وانه لم يكن لها حالٌ غيرهما، كانها قد تجسّمت من الإقبال والإدبار^{٢٥١}.

فالظاهر من كلام الشيخ هنا ومن كلامه في اسرار البلاغة في تعريف المجاز العقلي حيث يقول : « ان كلَّ جملةٍ أُخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل لضرب من التأويل فهي مجاز »^{٢٥٢} هو ان النسبة المتضمنة بالحقيقة او المجاز تشمل نسبة الخبر الى المبتدأ ايضا . فحصرها في نسبة الفعل او معناه الى ملاساته، واخراج النسبة الواقعة بين المبتدأ والخبر من الاتصاف بالحقيقة او المجاز كما فعله الخطيب القزويني، تعسف^{٢٥٣}.
تلك أمثلة كانت للمجاز العقلي في النسبة التامة، واما المجاز العقلي في النسبة الناقصة فكقوله تعالى : « وان خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا »^{٢٥٤} و « مكر الليل والنهار »^{٢٥٥}.

واصل الكلام هكذا : وان خفتم شقاق الزوجين في الحالة الواقعة

٢٥٠- راجع عبد الحكيم، ١٢٣ .

٢٥١- دلائل الاعجاز، ٢٣٣ .

٢٥٢- اسرار البلاغة، ٤٣٠ .

٢٥٣- التلخيص مع شروحه ٢٢٤/١، الايضاح على هامش شروح.

التلخيص ٢٤٦/١ .

٢٥٤- النساء، ٣٦ .

٢٥٥- سبأ، ٣٣ .

بينهما، ومكر الناس في الليل والنهار . فاضيف المصدر في الاول للمكان لان البين اسم مكان، وفي الثاني للزمان، فهو من اضافة المصدر لفاعله المكاني في الاول والزمانى في الثاني^{٢٥٦}. ولا يخفى ما في هذه الاضافة من تفخيم شأن الشقاق والمكر .

قال الشيخ في اسرار البلاغة : «ومما يجب أن يُعلم في هذا الباب ان الاضافة في الاسم كالاسناد في الفعل، فكل حكم يجب في اضافة المصدر من حقيقة او مجاز فهو واجب في اسناد الفعل»^{٢٥٧}.

اجتماع المجاز العقلي مع اللغوى :

لما كان الاعتداد في المجاز العقلي بالنسبة و في اللغوى بالمعانى الموضوعه لها الالفاظ ، جاز اجتماعهما في جملة لاختلاف موردهما . فاذا شَبَّهْتْ معنى بمعنى او صفة بصفة واستعرت لاحدهما اسم الآخر، ثم أثبتت حكما لما لا يصلح له، كان في كل واحد من الاثبات والمثبت مجاز . و ذلك كأن تقول لصاحبك : احيتنى رؤيتك .

تريد آنتنى وسرّتنى ونحوهما، فقد جعلت الانس والمسرة الحاصلة بالرؤية حياةً اولاً، ثم جعلت الرؤية فاعلة لتلك الحياة .

ومثله قول المتنبي :

ويُحْيِي له المَالَ الصَّوَارِمُ والقَنَا وَيَقْتُلُ ما يُحْيِي التَّبَسُّمُ والجَدَا
فالشاعر جعل الزيادة والوفور في المال حياة له، وتفريقه بالجوهر والعطاء قتلا له، ثم اثبت الحياة فعلا للصوارم والقتل فعلا للتبسم مع العلم

٢٥٦- الدسوقى ١/٢٤٠ .

٢٥٧- اسرار البلاغة، ٤٢٥-٤٢٦ .

بانه لا يصح منهما هذه الافعال ٢٥٨.

رجوع المجاز العقلي الى اللغوى :

لقد انكر السكاكى المجاز العقلي و رأى ان جميع موارد يرجع الى المجاز اللغوى . فجعل المنسوب اليه فى تلك الموارد مستعملا فى غير معناه ادعاء على سبيل الاستعارة المكنية، وهى ان يثدّ كَر المشبهُ ويراد منه المشبه به بواسطة قرينة، وقال :

«والذى عندى هو نظم هذا النوع - اعنى المجاز العقلى - فى سلك الاستعارة بالكناية، بجعل الربيع * استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقى بواسطة المبالغة فى التشبيه على ما عليه مبنى الإستعارة كما عرفت، وجعل نسبة الإنبات اليه قرينة الاستعارة .

وبجعل * * الامير المُدبّر لأسباب هزيمة العدو * استعارةً بالكناية عن الجند الهازم، وجعل نسبة الهزم اليه قرينة للاستعارة» ٢٥٩.

واعترض الخطيب القزوينى على نظرية السكاكى هذه، وذكر فى نقضها وجوها لا تُتمّر ولا تحلى، ومن أراد الوقوف عليها فليراجع الايضاح والتلخيص مع شروحه ٢٦٠.

وتبع السكاكى فى الإنكار للمجاز العقلى وارجاعه الى اللغوى صاحب «الطراز» ، غير انه يعدّه من المجاز المركب الذى يفسره هكذا :

٢٥٨- اسرار البلاغة، ٤١٩ .

٢٥٩- المفتاح، ١٨٩ .

٢٦٠- شروح التلخيص على هامشه الايضاح ٢٦٦/١- ٢٧١ .

* اى فى نحو : أنبت الربيع البقل .

* * اى فى نحو : هزم الأمير الجند .

«وحاصل الامر في ذلك هو ان يستعمل كل واحد من الالفاظ المفردة في موضوعه الاصلى، لكن المجاز انما حصل في التركيب لا غير، وهذا كقوله :

أشباب الصغيرِ و أفنى الكبيرِ
 كثرُ الغدَاةِ و مرثُ العَشَى
 فكل واحد من هذه الالفاظ المفردة فيما ذكرناه مستعمل في موضوعه الاصلى، لكن انما جاء المجاز من جهة اسناد الإشابة والإفناء الى كثر الغدَاة والى مرث العَشَى، وهو غير مطابق لما عليه الحقيقة . فان الإشابة والإفناء انما يحصلان بفعل الله لا بكر الغدَاة ولا بمرث العَشَى»^{٢٦١}.

فهذا العالم الجليل مع اعترافه بان المجاز في امثال هذه المركبات جاء من جهة اسناد الشيء الى غير ما هو له، جعله لغويا وقال :
 «اعلم ان هذه المجازات المركبة التي ذكرناها ومثلناها كلشها مجازات» لغوية استعملت في غير موضوعاتها الأصلية»^{٢٦٢}.

ثم وجه نظريته بما لا يخلو من التعسف، وهو ان صيغ المنسوب او المسند في الامثلة التي ذكرها لهذه المجازات المركبة لم تستعمل في موضوعاتها، لانها وضعت في اللغة لان يسند الى الفاعل القادر لا الى غيره. ويمكن بيان نظرية السكاكي وصاحب الطراز هكذا :

١- المجاز العقلي - مجاز مفرد لغوي عند السكاكي، ولكنه مركب لغوي عند صاحب الطراز .

٢- ان المستعمل في غير معناه الحقيقي هو المنسوب اليه عند السكاكي، واما عند صاحب الطراز فهو عبارة عن نفس المنسوب . ف

٢٦١- الطراز ١/٧٤ .

٢٦٢- المصدر نفسه ١/٧٥ .

«الإشابة» مثلا وضعت في اصل اللغة لصدورها من القادر الفاعل، فاذا اسندت الى غيره لم تقع في موقعها .

اطلاق آخر للمجاز العقلي :

قد عرفت ان المجاز العقلي هو المركب الذي أخرج الحكم المفاد به عن موطنه في العقل لعلاقة، وهذا المعنى هو المتبادر منه عند الاطلاق . غير انه قد يطلق ويراد به المجاز الواقع في الكلمة المستعملة في غير معناها لعلاقة المشابهة، كأن تقول : دخلت شرارة في قلبي من سماع ذلك الخبر الهائل .

فيقال للشرارة المستعملة في معنى الهم والحزن أنها مجاز عقلي، بمعنى ان المَبْرَّرَ لاستعمال الكلمة في غير معناها الحقيقي هو الادعاء الذي صير المشبه فردا من افراد المشبه به، فكأنه استعمل في معناه الأصلي . ولما كان هذا الادعاء راجعا الى التصرف في امر عقلي، سمي ماجرت فيه هذه العملية مجازا عقليا لا لغويا، ولكن الجمهور لم يقولوا بهذه التسمية وذهبوا الى ان استعمال اللفظ في غير معناه لعلاقة المشابهة يسمى مجازا لغويا .

فعلم مما ذكرنا ان المجاز العقلي يطلق على أمرين : احدهما اسناد الشيء الى غير من هو له .

والثاني التصرف في المعاني العقلية على خلاف ما في الواقع ٢٦٣ .

الملحق بالمجاز :

اعلم انه كثيرا ما نرى ان بعض اجزاء الجملة او الكلام لم يقع موقعه

ولم يحتفظ بما هو مستحقه، وجرى على شكل كان من حقه ان لا يجرى عليه . فترى في الجملة نوعا من التجوز والتوسع، ولكن ليس ذلك في اللغة ولا في الاسناد بل في حكم خاص للكلمة اكتسبته بمقتضى اصول وقواعد قررها أهل فنّ خاص .

قال الشيخ ... «اعلم ان الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها كما مضى، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هو بحقيقة فيها»^{٢٦٤}.

ويُعرف هذا التغير عندهم بالمجاز في الحذف او بالمجاز في الزيادة، وذلك لان سبب هذا التوسع يرجع إمّا الى الحذف نحو : واسأل القرية^{٢٦٥}، وجاء ربك^{٢٦٦}. «فالحكم الاصلى لربك والقرية وهو الجرّ قد تغيّر في الاول الى الرفع وفي الثاني الى النصب»^{٢٦٧}.

وامّا الى الزيادة نحو ليس كمثله شيء . «فالحكم الاصلى لمثله هو النصب لانه خبر ليس وقد تغيّر الى الجرّ بسبب زيادة الكاف»^{٢٦٨}.

اما السكاكي فسمّى الاول المجاز بالنقصان والثاني المجاز بالزيادة، ثم هو يعتقد ان اللفظ بعد الزيادة او النقص استعمال في غير ما وضع له، فغيّر معناه كما غير لفظه .

«وفيه نظر لان تغير المعنى واستعمال اللفظ في غير ما وضع له في هذا النوع من المجاز ممنوع»^{٢٦٩}.

٢٦٤- اسرار، ٤٥٧ .

٢٦٥- يوسف، ٨٢ .

٢٦٦- الفجر، ٢٢ .

٢٦٧- المطول، ٣٢٦ .

٢٦٨- المصدر نفسه، ٣٢٦ .

٢٦٩- المصدر نفسه، ٣٢٧ .

بلاغة المجاز :

لما كان الاصل في اللفظ ان يجرى في موضعه ويستقر في موطنه، فإنه لا يُعَدَّل عنه الا لأغراض ولطائف، منها :

١- ان الفاظ المجازات قد تكون اشدّ الفة واكثر أنساً بها من كلمات الحقيقة، وذلك لخفتها على اللسان والسمع . فمثلا ان كلمة «العين» المراد بها الريئة - اى الرقيب - اخف على السمع واللسان، وأسهل لدى السامع والقارىء من الريئة^{٢٧٠}.

جاء فى مقدمة تلخيص البيان : «لم يورد - الحكيم سبحانه - الفاظ المجازات لضيق العبارة عليه، ولكن لانها أحلى فى اسماع السامعين وأشبه بلغة المخاطبين»^{٢٧١}.

٢- انها قد تكون أصلح للقافية فى الشعر او السجع فى النثر^{٢٧٢}.
وذلك كما مرّ فى قول الحطّيبية :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَلْ لِمُعَيَّتِهَا

فَاعْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

لعل اقتضاء القافية كان مما دعى الشاعر للعدول من «المسكسو» الى الكاسى .

٣- افادة الايجاز الذى هو مقصد هام فى البلاغة، و ذلك فان قولنا: «بنو فلان يطأهم الطريق» أوجزّ من «بنو فلان يطأهم اهل الطريق» و كذا «قرر المجلس» اقلّ مؤنةً من «قرر اهل المجلس» .

٢٧٠- علم البيان، ١٥٨، الطراز ١/٧٩ .

٢٧١- تلخيص البيان فى مجازات القرآن، ١ .

٢٧٢- الطراز ١/٧٩ .

٤- أنه من شأن المجاز أن يفخم عليه المعنى وتحدث فيه النِّبَاهة والمبالغة، فإن قوله: «فنام ليلي وتجلّى همّي» ليس حال المعنى وموقعه فيه كما اذا تركت المجاز وقلت: فمنت ليلي وتجلّى همّي. وكذا الحال في رأيت أسداً^{٢٧٣}.

٥- أن العبارة المجازية قد تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الاحوال، فترى البخيلَ عند سماعها يسمع، والجبانَ يشجع، والطائشَ المتسرعَ يحكم. فاذا زالت تلك الحال العارضة عن السامع ورجع الى نفسه تجده نادماً على ما كان منه من بذل مال او ترك عقوبة، او اقدم على امر مخوف، وهذا هو فحوى السحر الحلال، المستغنى عن إلقاء العصا والحيال^{٢٧٤}.

ولهذا قال القيرواني: «والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، واحسن موقعا في القلوب والاسماع»^{٢٧٥}.

٦- انه قد يترك التعبير بما يدل على المعنى الأصلي لما فيه من الثقل على النفس والروح، وذلك لانه يحكى عن شيء موحش او مؤلم، فيعدّل الى ما يدل على شيء يستأنس ويتفأل به، وذلك كتسمية اللديغ بالسليم، والبرية المهلكة بالمقازة.

٧- ان المجاز كما قال العقاد: «هو الأداة من أدوات التعبير الشعري»، لانه تشبيهات وأخيلة وصور مستعارة واشارات ترمز الى الحقيقة المجردة بالأشكال المحسوسة، وهذه هي العبارة الشعرية في جوهرها

٢٧٣- دلائل الاعجاز، ٢٢٨.

٢٧٤- المثل السائر ١/٦٣.

٢٧٥- العمدة ١/٢٦٦.

الاصيل» ٢٧٦.

٨- التوسع في اللغة وفتح آفاق جديدة من التعبير امام الشاعر او الأديب، فيستطيع ان يعبر عن تجاربه واخيلته مهما كثرت وعظمت .

تلك أغراض يتضمنها المجاز، ويهدف اليها اللفظ الخارج عن مجراه الاصلى . وليس من واجبات المجاز ان تجتمع تلك الاغراض واللطائف فى كل موردٍ من موارد، بل يجوز اجتماعها كما يجوز افتراقها. لكن ابن جنى حينما قص أغراضا كثيرة للمجاز بالفاظ قليلة كالإتساع والتوكيد والتشبيه ، رأى أن المجاز يدور معها جميعا وجودا وعدما، فقال : «و انما يقع المجاز ويُعدّل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهى : الإتساع والتشبيه والتوكيد . فان عدم هذه الاوصاف كانت الحقيقة البتة» ٢٧٧.

ثم اكد على نظريته هذه بانه جاء بامثلة كثيرة من المجاز وسعى فى اثبات احتوائها على تلك الأغراض .

فمثلا ذكر فى قوله تعالى : «وَأَدّٰ خَلٰنٰه فِى رَحْمٰتِنَا» ٢٧٨ انه مجاز و فيه الأوصاف الثلاثة .

اما السعة فلأنه كأنه زاد فى أسماء المَحَالِّ والجهات اسما آخر و هو الرحمة .

واما التشبيه فلأنه شبه الرحمة التى لم يصح دخولها بما يجوز ان يدخل فيه، فلذلك وضعت موضعه .

٢٧٦- اللغة الشاعرة، ٣٧ .

٢٧٧- الخصائص، ٤٤٢ .

٢٧٨- اللغة الشاعرة، ٣٧ .

وامّا التوكيد فلأنه اخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر، ويعدّ هذا نوعاً من التعالي بالعرض والتفخيم لشأنه، اذ صيّر الى حيّز ما يشاهد ويلمس ويعاين^{٢٧٩}.

فاذا كان وجود جميع الأوصاف الثلاثة واجبا في كل مجاز فمن البدهي أن المجاز عنده لا يخلو على اى حال من التشبيه، ولذلك قال فى قوله تعالى: «وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا»^{٢٨٠} الذى يُعرّف بالمجاز فى الحذف، فيه المعانى الثلاثة .

اما الاتساعُ فلأنّه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح فى الحقيقة سؤاله .

واما التشبيه فلأنها شبّهت بمن يصح سؤاله لمّا كان بها ومؤلفاً لها .

واما التوكيد فلأنه فى ظاهر اللفظ إحالة بالسؤال على من ليس من عادته الإجابة . فكأنهم تضمنوا لأبيهم عليه السلام انه ان سأل الجمادات والجبال أنبأته بصحة قولهم . وهذا تناه فى الخبر. اى لو سألتها لانطقها الله بصدقنا فكيف لو سألت من عادته الجواب^{٢٨١}.

الفصل الثالث فى الاستعارة

المراد منها :

وهى كما مرّ قسم من المجاز بُنى على التشبيه، ويقال فى تعريفها :

٢٧٩- الخصائص، ٤٤٣ .

٢٨٠- يوسف، ٨٢ .

٢٨١- الخصائص، ٤٤٧ .

استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الاصلى والفرعى، مع قرينة مانعة عن ارادة المعنى الحقيقي^{٢٨٣}. وذلك كقول تعالى: «كتاب» أنزلناه إليك لتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ^{٢٨٣}. اى من الضلالة الى الهداية .

وقول المتنبي لما قابله بمدوحه وعانقه :
فلم أرَ قبلى مَنْ مشى البَحْرَ نحوَه
ولا رجلاً قامَتْ تُعانِقُه الأُسْدُ
فاستعمال البحر والاسد فى الرجل الممدوح استعارة، واسناد المشى والمعانقة إليهما قرينة .

واركان الاستعارة على ما قال الترماني^{٢٨٤} ثلاثة :

١- المستعار منه، وهو المعنى المنقول عنه، او المعنى الاصلى .
٢- المستعار له، وهو المعنى المنقول إليه، او المعنى الفرعى . و يسمى المستعار منه والمستعار له طرفى الاستعارة، وهذان الطرفان لا يذكران معاً، بل يجذف احدهما دائماً بحيث لا يحتاج اليه فى التركيب الكلامى كما رأيت .

٣- المستعار، وهو اللفظ الدال على المعنى المنقول عنه .
ثم المستعار لا يقع فى الجملة على صورة الخبر او ما ينوب منابه كالحال، بل يأتى اما فاعلاً، او مفعولاً، او مجروراً، او مبتدأ .
ليست آراء القدماء ونظراتهم فى المراد من الاستعارة سواء، إذ أن

٢٨٢- جواهر البلاغة، ٣٠٣ .

٢٨٣- ابراهيم، ١ .

٢٨٤- ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن، ٨٦ .

منهم من يقصد بها ما يتعارفه الناس في معنى العارية وان لم يكن طريق نقله التشبيه .

فهذا ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٤) يعنى من الإستعارة وضع كلمة مكان اخرى لعلاقة السببية او المجاورة او المشاكلة، و ذكر فى امثلتها قول مُعَوِّد الحكماء ، معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غُرِيَابًا*
فعدّ السماء المستعمل فى المطر بعلاقة السببية او المجاورة استعارة^{٢٨٥}.
وقد حذا حذوه ابو بكر بن دريد (- ٣٢١ هـ، ف) فانه ذكر فى باب الاستعارة قولهم «رَعَيْنَا الْغَيْثَ» وما هو أبعد من ذلك^{٢٨٦}.

وقال الآمدي : (- ٣٧٠ هـ) : «وانما استعارت العرب المعنى لما ليس هو له اذا كان يقاربه او يناسبه او يُشَبِّهه فى بعض أحواله، او كان سببا من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشئ الذى استعيرت له وملائمة لمعناه»^{٢٨٧}. وفى ضوء هذا الرأى سُمى استعمال المجلس فى أهله بعلاقة المحلية استعارة فى قول المهلهل :

تُبَيِّتُ أَنْ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْ قَدَتُ

وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسِ^{٢٨٨}

وقال ابو هلال (- ٣٩٥ هـ) فى تفسير الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها فى اصل اللغة الى غيره لغرض . ثم ذكر لها امثلة كثيرة منها قوله تعالى :

٢٨٥- تاويل مشكل القرآن، ١٠٢ .

٢٨٦- راجع اسرار البلاغة، ٤٤٢ .

٢٨٧- الموازنة، ١/ ٢٥٠ .

٢٨٨- اسرار البلاغة، ٢٤٣ .

* و روى البيت لجريير ايضا ، راجع ٢٤٧ من هذا الكتاب .

«ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً»^{٢٨٩} فالأصل : ذَرْنِي وَأَسَى وَعَذَابِي.

وقول الشاعر :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَاباً^{٢٩٠}

ومنه من يحصر آفاق الاستعارة على التعبير عن المعقول بالمحسوس،

كما فعل اسامة بن منذر (٤٤٨-٥٣٠ ؟) فقال : «اعلم ان الاستعارة هو أن

يُستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول، كما قال الله تعالى : «لا

تُظَلِّمُونَ فَتِيلًا»^{٢٩١}.

ومنه من أراد من الاستعارة استعمال اللفظ في غير ما وضع له

بعلاقة المشابهة، فهو لاء اما صرحوا بهذه المشابهة كالقاضي الجرجاني

(٣٦٦ هـ) فانه قال : «وانما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن

الاصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها . وملاكها تقريب الشبه، و

مناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد

بينهما منافرة، ولا يتبين في احدهما اعراض عن الآخر»^{٢٩٢}.

وكالشيخ عبدالقاهر الجرجاني (ف ٤٧٤) فانه صرح في مواضع

متعددة من كتابيه القيسمين بأن مبني الاستعارة التشبيه، فقال :

الف - «امّا الاستعارة فهي ضرب من التشبيه»^{٢٩٣}.

ب - «اعلم ان الاستعارة كما علمت تعتمد التشبيه أبداً»^{٢٩٤}.

٢٨٩- المدثر، ١١ .

٢٩٠- الصناعتين، ٢٧٢، ٢٧٦ .

٢٩١- البديع في نقد الشعر، ٤١ .

٢٩٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه، ٤١ .

٢٩٣- اسرار البلاغة، ٢٦ .

٢٩٤- اسرار البلاغة، ٦٣ .

ج - «فلاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه»^{٢٩٥}.
 أولم يصرحوا بها، ولكن هناك أشياء تدل على انهم راعوا علاقة المشابهة في الاستعارة . و ذلك كما ترى الجاحظ (٢٥٥ هـ، ف) يعنى من الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه، فهو لا ينص على رعاية المشابهة بين الطرفين في هذه التسمية، لكنه لما طبق مراده من الاستعارة على جعل المطر بكاء في قول الشاعر :

و طَفِقَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا^{٢٩٦}
 علمنا ان الظاهر من كلامه هو رعاية المشابهة في الاستعارة .

وكما ترى الرمانى (٢٧٤ هـ، ف) يكتفى في تعريف الاستعارة بقوله :
 «تعليق العبارة على غير ما وُضِعَتْ له فى اصل اللغة على جهة النقل للإبانة»^{٢٩٧}. فهو ايضا لا يصرح برعاية المشابهة في الإستعارة، ولكن نعلم أن المشابهة ملحوظة عنده فى هذا التعليق . و ذلك لأن الرمانى فرق الاستعارة من التشبيه بأن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه باق على اصله، لم يغير عنه فى الاستعمال، بخلاف الاستعارة^{٢٩٨}. فهو يرى أن الاستعارة مبنية على التشبيه الا انه لم يبق على اصله .

وكذلك ترى ابن المعتز (٢٩٦ هـ، ف) لا يزيد على قوله فى بيان السراد منها : «استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها، من شيء قد عرف

٢٩٥ - دلائل الاعجاز . وفيه يشير الى ان من الاستعارة نوعا آخر وان

كان الناس يضمونه الى الاول الا ان التحقيق هو غيره .

٢٩٦ - البيان والتبيين ١/ ١٥٣ .

٢٩٧ - ثلاث رسائل، ٧٩ .

٢٩٨ - المصدر نفسه، ٧٩ .

بها»^{٢٩٩} كلمة او كلاما يدل على رعاية المشابهة في الاستعارة، ولكنه لما عد الاستعارة في كتابه من اقسام البديع بلا شرط علمنا ان المشابهة معتبرة عنده فيها. فلولم تكن معتبرة فيها لكانت الاستعارة حينئذ تساوى المجاز، وليس كل مجاز بديعا، فلم يصح عدّها بلا شرط في اقسام البديع^{٣٠٠}.

والدليل الآخر على رعاية المشابهة عند ابن المعتز، انه اورد امثلة كثيرة للاستعارة لا يخلو واحد منها عن المشابهة.

فالاستعارة عند من يشترط بناءها على التشبيه لا تساوى المجاز، بل المجاز اعم منها، فكل استعارة عنده مجاز وليس كل مجاز استعارة.

والمذهب المرضى او الصواب عند الشيخ في هذا المقام هو ان تقتصر الاستعارة على نقل تشبيهي للمبالغة. وقال: «انا نرى كلام العارفين بهذا الشأن، اعنى علم الخطابة ونقد الشعر، والذين وضعوا الكتب فى اقسام البديع يجرى على ان الاستعارة نقل الاسم عن اصله الى غيره للتشبيه على حد المبالغة»^{٣٠١}.

الفرق بين التشبيه والإستعارة

لما كان المذهب المرضى هو بناء الاستعارة على التشبيه واتصالها به وجدنا من المناسب ان نشير الى الفرق بينهما واختلاف آفاقهما فنقول:

التشبيه والاستعارة يتفاوتان فى الشكل والمعنى والمورد.

٢٩٩- البديع، ١٧.

٣٠٠- راجع اسرار البلاغة، ٤٤٢.

٣٠١- المصدر نفسه، ٤٤٢-٤٤٦.

اما التفاوت في الشكل فهو ان المشبه والمشبه به لا يجتمعان في الاستعارة ولا يفترقان في التشبيه، بمعنى انه يكتفى باحدهما في الاستعارة كما مرّ بخلاف التشبيه . نعم، قد يحذف احد الطرفين في التشبيه ايضا كقوله تعالى : «صَمٌّ بكم عمى» فهم لا يعقلون» الا ان الحذف لا يتجاوز درجة التلفظ، ولهذا لا يُستغنى عن المحذوف من حيث التركيب الكلامي . وايقنا ان المشبه به في التشبيه يأتي موضع الخبر او ما هو في حكمه، واما في الاستعارة فهو يقع موقع المبتدأ، او الفاعل، او المفعول، او المجرور بالحرف او الاضافة^{٣٠٢}.

واما التفاوت في المعنى فهو :

الف - ان التشبيه استعمال اللفظ في ما وضع له واحتفاظاً للمشبه والمشبه به معناهما الحقيقي، وكلّ ما يفعله التشبيه هو ربط الصلة بينهما . ولكن الاستعارة استعمال اللفظ في غير ما وضع له، وبناءً على تناسي التشبيه وتدميج احد الطرفين في الآخر وجعلهما شيئاً واحداً . ففرق بين ان يقول الشاعر :

وأسبَلتْ لؤلؤاً مِنْ نرجسٍ فسقت

وروداً ، وعضتْ على العنّابِ بالبرد

وبين ان يقول : واسبلت دمعاً كاللؤلؤ من عين كالنرجس ، وسقت خدا كالورد، وعضت على انامل كالعناب بأسنان كالبرد .

فالتشبيه اقرب الى تصوير الواقع، ولكن الاستعارة اُمنع في الخيال لانها تطمس الأشياء طمساً وتستبدل بها أشباهها ، فالفتاة الباكية في البيت لم تُمطر من عينها دمعاً كاللؤلؤ، بل أمطرت لؤلؤاً . فالاستعارة اعظم شأنها

في مواضع التهويل والتجسيم والتشخيص، وأجلّ قدرا من حيث ادعاء الاتحاد وافادة المبالغة. ولهذا نرى أن التشبيه أكثر شيوعا في العصور «الاتباعية» التي يكون فيها الشعراء أقل حدة في الخيال وأكثر انصياعاً لأحكام العقل والمنطق، وكانت الاستعارة أكثر شيوعا من التشبيه في العصور «الابتدائية» التي يشطح فيها الخيال ويجمع، فلا يكون العقل عليه ضابطاً^{٣٠٣}.

ب - كل استعارة تصلح لأن تتحول أو ترجع إلى التشبيه بخلاف العكس، فلا يصح أن تجرى الاستعارة في أي تشبيه أردته. بل إنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشئين مما يقرب مأخذه ويسهل متناوله ويكون في الحال دليل عليه وفي العرف شاهد له، حتى يمكن المخاطب إذا اطلقت له الاسم أن يعرف الغرض ويعلم ما أردت.

ألا ترى قول النبي (ص): «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة» وقول النابغة: «فإنك كالليل الذي هو مذكر كي» فإنه لا يجوز فيهما حذف المشبه والأداة ووجه الشبه، وتحويلهما إلى الاستعارة لغموض وجه الشبه وصعوبة فهم المراد.

فالأصل في صحة التحويل أن يرجع التشابه بين الطرفين إلى صفة يكون المشبه به أصلاً فيها ومعروفاً عند الناس بها، فكلما تحقق ذلك الأصل صح تحويل التشبيه إلى الاستعارة بلا أشكال^{٣٠٤}.

وأما التفاوت في المورد فهو أن التشبيه أكثر دورانا في النشر العلمي، وفي الموضوعات التي تخاطب العقول، لأن المراد من هذه المسائل أن تكون واضحة دقيقة محددة، سهلة الإدراك، بعيدة من وثبات الخيال، و

٣٠٣ - فنون الأدب، ٩٤-٩٥.

٣٠٤ - أسرار البلاغة، ٢٧٩-٢٨٥.

ظفرات التصوير، وترَف الألفاظ، واناقة الصياغة . والاستعارة ألصق وأنسب بالنثر الأدبي والشعر، وأكثر اهميةً فيهما من التشبيه^{٣٠٥}.

« زيد أسد » بين الاستعارة والتشبيه

اعلم أنه لاخلاف في أن «زيد كالأسد» تشبيه وأن «رأيت أسداً يرمى» استعارة، ولكنهم اختلفوا في «زيد أسد»: فقال قوم هو تشبيه بليغ، وقال الآخرون هو استعارة، ولكل أدلة يتمسكون بها . استدل القائلون بالاستعارة بوجوه : الاول - أن «الأسد» في هذا المثال قد أجرى على «زيد» و أخبر به عنه، ومعلوم ان الانسان لا يكون اسدا مع ان مقتضى الحمل والإجراء كون المحمول عين الموضوع في المعنى .

الثاني - ان المشبه به في نحو المثال المتقدم كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور كقول عمر ان بن الحطّان السدوسى يهجو الحجاج ويستهزى به: (اسد على) وفي الحروب نعامه

فَتَخَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

وقول ابى العلاء المعرى في رثاء والدا الشريف الرضى :

(والطير أغربة عليه) بأسرها :

فَتُخ السَّرَاةِ وَ سَاكِنَاتِ لَصَافِ^{٣٠٦}

والتعلق دليل على أن المشبه به مؤول بالمشتق ومنقول الى غير ما

٣٠٥ - فن التشبيه ١/٥١ .

٣٠٦ - والسراة ولصاف : جيلان .

وضع له، اذ لو كان مستعملا في معناه الاصلى لم يكن لتعلق الجار وجه .
الثالث - أن المراد من هذا الكلام اجراء الأسد على زيد قضاءً
لحق المبالغة المقصودة ، فيلزم ان يكون الاسد منقولا الى معنى المشبه،
لانه لو استعمل في معناه الحقيقي وبني الكلام على تقدير الأداة ، لزم
انتفاء المبالغة وخلص الكلام من الغرض المراد منه .

فعلى هذا كان «زيد اسد» استعارة وتقديره «زيد رجل شجاع او
ذات متصفة بالشجاعة كالأسد» فحذف المشبه والأداة وتنوسى التشبيه ، ثم
استعمل المشبه به في معنى المشبه على سبيل الاستعارة .

فالمشبه هو الرجل الشجاع او الذات المتصفة بالشجاعة لزيد، لانه
لا يصلح لأن يكون مشبها الا من حيث كونه ذاتا صدقت عليها الشجاعة ،
ولا يخفى انه بهذه الحيشية يعتبر مخبرا به لامخبر عنه .
واما من حيث انه شخص تعيين بهذا العلم فلا يقع مشبها لفقدان
وجه الشبه بينه وبين الأسد .

الرابع - ان الاستعارة تمازغن التشبيه بصحة وضع المشبه فيها موضع
المشبه به من غير ان يحصل خلل في الكلام الا انتفاء المبالغة، فكل ما صح
فيه هذا الوضع كان استعارة لا تشبيها . فجملة «زيد اسد» استعارة، لانه
يصح ان يجعل فيها موضع المشبه به الذى هو خبر لزيد المشبه المقدر، و
يقال : زيد رجل شجاع كالأسد .

اما القائلون بالتشبيه فاستدلوا على صحة رأيهم بوجود المشبه
والمشبه به معا في اللفظ، واستعمال المشبه به في المعنى الاصلى . وقالوا
إن جملة «زيد اسد» تشبيه بليغ بحذف الوجه والأداة وادعاء الاتحاد بين
الطرفين، وان الكلام مبنى على تقدير الاداة^{٣٠٧} .

قال القاضي الجرجاني : « فقد رأيت بعض اهل الأدب ذكر انواعا من الاستعارة عدّ فيها قول ابي نواس :

والحبّ ظهر انت راكبه فاذا صرفت عنانه انصرفا
ولست أرى هذا وما اشبهه استعارة، وانما معنى البيت ان الحب مثل
ظهر، او الحب كظهر تديره كيف شئت اذا ملكت عنانه، فهو اما ضرب
مثل، او تشبيه شىء بشىء»^{٣٠٨}.

واستدلوا ايضا بأنه لو كانت جملة «زيد اسد» استعارة لكان لفظ
الأسد مستعاراً، وأنت خير بأن المستعار لا يقع فى الكلام على شكل الخبر
او ما فى حكمه^{٣٠٩}.

ولهذا يرى الشيخ عبدالقاهر ان فى اطلاق الاستعارة على مثل «زيد
اسد» مما كان المشبه به خبراً او راجعاً اليه بعض شبهة، ويترجّح ان
يعدّ تشبيهاً على حد المبالغة لا استعارة . وبيان ذلك ان جعل المشبه المشبه
به على ضربين :

احدهما - أن تنزله منزلة الشىء فتذكره بامر قد ثبت له ولا يحتاج
الى ان تعمل فى اثباته، وذلك حيث تسقط ذكر المشبه من الشئيين ولا
تذكره بوجه من الوجوه، كقولك : رأيت اسدا .

الثانى - ان تجعل ذلك كالامر الذى يحتاج الى ان تعمل فى اثباته
وتحصيله، وذلك حيث تجرى اسم المشبه به بالصراحة على المشبه فتقول:
زيد اسد، وزيد هو الأسد . او تجيء به على وجه يرجع الى هذا، كقولك:
ان لقيته لقيت به اسدا، وان لقيته ليلقيتك منه الأسد . فانت فى هذا كله
تعمل فى اثبات كونه اسدا وتضع كلامك له، ولهذا يأتي المشبه به على

٣٠٨ - الوساطة، ٤١ .

٣٠٩ - نهاية الإيجاز، ٨٨ .

شكل الخبر او ما في حكمه ٣١٠.

اما في الصورة الاولى فانت تخرّج قولك مخرج ما لا يحتاج فيه الى اثبات وتقرير، فيأتي المشبه به فيها على شكل الفاعل، او المبتدأ، او المفعول، او المجرور .

والقياس يقتضى ان يقال في الصورة الثانية : انها تشبيه على حد المبالغة، ويقتصر على هذا القدر ولا تسمى استعارة ٣١١.

وايضا استدلووا بأن التشبيه يمتاز عن الاستعارة بحسن اظهار الاداة فيه وقبحه فيها، فاذا قبل في «زيد اسد» : زيد كالأسد، ما عرض فيه قدح وما زالت عنه الفصاحة والبلاغة ولذلك يعدّ تشبيها . وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول دون المنقول اليه، فانه لا يحسن فيه ظهور اداة التشبيه، و متى ظهرت زالت عن ذلك الكلام ما كان متصفا به من الفصاحة والبلاغة ونحوهما، وهذا هو الاستعارة ٣١٢.

وفي نهاية هذا البحث جدير بالذكر ان حجة القائلين بالاستعارة قابلة للمناقشة على ما يلي :

١- ان اقتضاء الحمل كون الموضوع عين المحمول واتحادهما فى المعنى امر مسلم، لكن هذا الكون والاتحاد اعم من ان يكون حقيقيا او ادعائيا . وايضا اذا صح نقل الأسد الى معنى الرجل الشجاع هربا من ذلك المحذور، فلم لا يصح تقدير الأداة لنفس تلك القضية .

٣١٠- اما وقوع المشبه به فاعلا او مفعولا فى نحو : ان لقيته ليلقيناك منه الاسد، وان لقيته لقيت به اسدا، فلا بأس فيه لانه فى الحقيقة يرجع الى اجراء اسم المشبه به على المشبه .

٣١١- راجع اسرار البلاغة، ٣٦٦-٣٧٨ و دلائل الاعجاز، ٥٣-٥٤ .

٣١٢- المثل السائر ١/٣٥٧ .

٢- ان تعلق الجار بالاسد ليس الا باعتبار تضمنه لمعنى الاجتراء او ما يشابهه، ومعلوم ان المشبه الذي نقل اليه لفظ المشبه به ليس ذلك المعنى بل هو ذات مستلزمة لمعنى الاجتراء، ضرورة ان الاجتراء الذي هو وجه الشبه لا يكون احد طرفي التشبيه او جزءه، والا لزم الحاجة الى وجه شبه اخر. فاذا صح تعلق الجار بالأسد المستعمل في معنى المشبه باعتبار استلزامه لمعنى الاجتراء او تضمنه ايّاه، فلما ذا لا يصح التعلق بالأسد المستعمل في المعنى الاصلى باعتبار استلزامه للبسالة ونحوها، او التعلق بما يستفاد من معنى الأداة المحذوفة؟

٣- ان اتقاء المبالغة في «زيد اسد» اذا اعتبر تشبيها لا استعارة ممنوع، لان ادعاء الاتحاد بين المشبه والمشبّه به المنصوص عليه في اللفظ ينادى على تلك المبالغة.

٤- نحن لانسلم ان «زيد» باعتبار انه ذات متصفه بالشجاعة يعتبر مخبرا به فلا يكون مشبها، لان هذا الاعتبار مبنى على تأويل مدعى الاستعارة. واما على رأى من يقول بالتشبيه فالمخبر به هاهنا هو «الأسد» على سبيل الادعاء، فحينئذ كان «زيد» المراد به الذات المتصفة بالشجاعة مشبها ومخبرا عنه بلاشكال.

مايحتمل الاستعارة والتشبيه بحسب اعراب المشبه به

قد يرد الكلام على صورة يجوز حمله على الاستعارة والتشبيه المضمير الاداة معا، كما اذا وقع المشبه به في جملة يجوز بناؤها على ضمير من تقدم ذكره واجراء المشبه به على ذلك الضمير، او قطعها عما يربطها بما قبلها وبنائها على المشبه به كجملة مرتجلة. كقول البحترى في قصيدة يمدح

بها احمد و ابراهيم ابني المدير :

ألامٌ على هوى الحسناءِ ظلماً

و قلبى فى يدِ الحسناءِ عانِ

إذا انصرفتْ ° ، (اضاءتْ شمس دجنِ)

و مالٍ من التعطفِ غصن بان^{٣١٣}

فإذا بنيت جملة «اضاءت شمس دجن» على ضمير الحسناء واجريت

كلمة الشمس على ذلك الضمير ونصبتها، جاء الكلام تشبيها لاشتماله على

المشبه والمشبه به معاً، كانه قال : «اضاءت الحسناء شمس دجن» اذ

الضمير المستتر الرجوع الى الحسناء فى حكم المذكور .

اما اذا قطعت الجملة عما قبلها ونقلتها الى غير ضمير الحسناء كجملة

مرتجلة، و رفعت كلمة الشمس و بنيت الجملة عليها، فالكلام استعارة لاشتماله

على ذكر المنقول فقط .

وهذا الموضع كما قال ابن الاثير : «فيه دقة غموض، و حرف التشبيه

يحسن فى الاول دون الثانى»^{٣١٤}.

الاستعارة بين المجاز اللغوى والعقلى

اختلف القوم فى الاستعارة بين المجاز اللغوى والعقلى، فمنهم من

ذهب الى انها مجاز لغوى واحتج بان لفظ المستعار المستعمل فى معنى المشبه

لم يوضع له فى اصل اللغة ولا لأعم منه ومن المشبه به فالأسد مثلاً فى

٣١٣- ديوان البحرى .

٣١٤- المثل السائر ١/٣٦٠-٣٦١، و رواية البيت فيه: (اذا سفرت...

ومالت فى التعطف (...).

قولنا : « للإسلام أسود » تهتف بمجده » وضع في اللغة للحيوان المفترس لا للرجل الشجاع ولا لأمر يعمهما ، فاستعماله في الرجل الشجاع تجوز في اللغة وإخراج اللفظ من المعنى الحقيقي الى المجازي .

ومنهم من ذهب الى أنها مجاز عقلي ، بمعنى ان التصرف فيها او العملية المُسَوِّغَة لها ترجع الى امر عقلي لا أن المجاز وقع في الاسناد .

وهؤلاء يحتجون بان اللفظ المستعار لم يخرج من موطنه ولم يَتَنَقَّل الى غير موضعه الا بعد ادعاء دخول الشبه في جنس المشبه به وجعله فردا من افراده ، لان مجرد النقل خاليا عن الادعاء والجعل لا يبرر الاستعارة ولا يسوغها ، والا كانت الأعلام المنقولة والمشاركات اللفظية استعارة مع انه لم يقل به احد . وايضا لو كانت الاستعارة مبنية على مجرد النقل لما صح لنا القول بأنها أبلغ من الحقيقة ، ولما صح التعجب في قول ابي الفضل بن العميد :

قَامَتْ تَظَلَّلْنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تَظَلَّلْنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تَظَلَّلْنِي مِنَ الشَّمْسِ
او النهي عنه في قول الشريف ابي الحسن محمد بن احمد ... بن علي بن ابي طالب :

لَا تَعَجَّبُوا مِنْ بِلَى غِلَالَتِهِ قَدْ زُرَّ أَرْوَاهُ عَلَى الْقَمَرِ
ويمكن ان تُناقش احتجاجهم بما يلي :

- ١- انا لانسلم اذا كان النقل في الاستعارة عاريا من الادعاء ان لا يبقى فيها الامجرد الاطلاق ، وان لا يكون بينها وبين الاعلام المنقولة والمشاركات اللفظية فرق ، لاننا نعلم ان النقل في الاستعارة لا يتحقق الا بواسطة التشبيه بخلاف غيرها من الاعلام المنقولة والمشاركات اللفظية ، فلتساويان الاستعارة
- ٢- ان انتفاء الادعاء والجعل لا يستلزم مساواة الاستعارة للحقيقة

في الأبلغية وعدمها، لانه ليس المراد من عبارة «ابلع من الحقيقة» اكثر مبالغة، حتى يقال إنها تتحقق بادعاء الاتحاد وتنتفى بانتفائه . بل المراد بها ان الاستعارة ادل واقوى واوضح في بيان الغرض من الحقيقة، فليس بواجب ان تشتمل كل استعارة على المبالغة .

٣- ان ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يُخْرِج اللفظ عن كونه مستعملا في غير ما وضع له بحسب اللغة، لضرورة العلم بان «الأسد» مثلا لم يوضع في اللغة ابتداءً الا للحيوان المفترس لا للرجل الشجاع ولا لأعم منهما .

٤- ان التعجب والنهي عنه قضاء لحق المبالغة بتناسي التشبيه في الاستعارة .

والتحقيق في هذا المقام ان النزاع لفظي يدور حول التعبيرات والألقاب والاعتبارات، فلا يترتب عليه نتائج متناقضة او متخالفة . و ذلك لان من جعل الاستعارة مجازا لغويا لم ينكر الادعاء والجعل فيها، ومن جعلها مجازا عقليا لم ينكر استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي بالوضع الاول فيها^{٣١٥} .

توارد الإستعارة والمجاز المرسل على محل واحد :

اعلم ان اللفظ الواحد بالنسبة الى المعنى الواحد يجوز ان يكون مجازا مرسلا واستعارة، لكن باعتبارين مختلفين . و ذلك إذا كان بين المعنى الاصلى والفرعى نوعان من العلاقة : احدهما المشابهة والآخر غيرها، كما ترى في استعمال «المشْفَر» في شفة الانسان . فانه يصح ان يعتبر استعارة على قصد المشابهة بينها وبين شفة البعير في الغلظة، وان يعتبر

مجازا مرسلا باعتبار استعمال مشفر البعير في مطلق الشفة ثم في شفة
الانسان ٣١٦.

صَوْرُ الإِسْتِعَارَةِ

الاستعارة باعتبار الأركان المكوّنة لها والعوامل المؤثرة فيها
تنقسم إلى أقسام متعددة، وتتلون بألوان مختلفة . ولسنا هاهنا بصد
استقراء تلك الأقسام و دراسة تلك الصور بكمالها، لأن ذلك العمل لافائدة
فيه غير تكثير الأقسام وازدياد المحتملات، لكن نقف في هذا المجال
عند بعضها قليلا او كثيرا على حسب حظه من الأهمية . فنقول من تلك
الصور :

١- المفردة والمركبة

ان الشبه اذا كان موجودا في الشيء على الانفراد من غير ان يكون
منتزعا منه ومن اشياء اخرى، ثم انتهى ذلك الشبه الى عملية الاستعارة
كما ترى في استعارة النور للعلم، والظلمة للجهل، والشمس للوجه
الجميل ، فالاستعارة في هذه الصورة تسمى مفردة .

وإذا لم يكن الشبه موجودا في الشيء على الانفراد بل اعتبر معه
غيره، فليس الاسم الذي وقع موقعا يقتضى كونه مستعارا باستعار . و
ذلك مثل قول داود بن علي عم ابي العباس السفاح تايدا له : وقد أخذ
القوسَ باربها .

فالمراد من «القوس» هاهنا الخلافة ومن «باريها» الخليفة، لكن الشبه لم يقع بين القوس والخلافة على الانفراد بدون ان يعتبر معهما شيء آخر، فلهذا لا يقال الخلافة قوس كما يقال هي نور. وانما الشبه مؤلف من حال الخلافة مع القائم بها ومن حال القوس مع الذي برأها، والقوس على الانفراد ليس بمستعار ولكن مجموع الكلام، فالاستعارة في هذه الصورة تسمى مركبة كما تسمى مثلاً^{٣١٧}، وتسمى ايضاً مماثلة^{٣١٨} وتمثيلاً، او تمثيلاً على سبيل الاستعارة^{٣١٩}.

وظهر مما تقدم ان الاستعارة التمثيلية لا تجرى فيما كان وجه الشبه فيه مركباً والمشبه والمشبه به مفردين، لانه لا يبقى في الاستعارة غير لفظ المستعار فاذا كان مفرداً والوجه مركباً كما لو قيل: «رأيتُ عُثْقوداً ملاحيةً في السماء» لم يعرف من ذلك اللفظ تركيب الوجه وانتزاعه من متعدد. وهذا بخلاف تشبيه التمثيل، فان تقارن المشبه والمشبه به فيه ممّا ينمّان عن تركيب الوجه فضلاً عن ذكره في بعض الأحيان^{٣٢٠}.

و «التمثيل» ضرب من ضروب الإستعارة كما عرفت، ويقال في تعريفه ايضاً: هو ان تمثل شيئاً بشيء فيه إشارة^{٣٢١}، او هو ان تقصد الاشارة الى معنى فتأتي بالفاظ تدل عليه وتكون مثالا له^{٣٢٢}. و ذكره بعضهم في اقسام الكناية، ولكل من هم وجه: فمن عده من الاستعارة جعل

٣١٧- اسرار البلاغة، ٢٩٢-٢٩٥.

٣١٨- اعجاز القرآن، ١١٩.

٣١٩- راجع التلخيص مع شرحه المطول، ٣٨٠.

٣٢٠- حاشية عبد الحكيم، ٥٠٣-٥٠٤.

٣٢١- العمدة ١/ ٢٧٧.

٣٢٢- اعجاز القرآن، ١١٩.

العلاقة بين المعنى الحقيقي والفرعى المشابهة، ومن ذكره في اقسام الكناية جعل العلاقة الملازمة .

فمما هو من التمثيل :

١- قول النبي (ص) : «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول» عن رعيته».

٢- قول المتنبي :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءَ الزَّلَالَا

٣- ما كتبه الوليد بن زيد لما بويع بالخلافة الى مروان بن محمد و

قد بلغه انه يتوقف في بيعته له : «اما بعدُ فَإِنِ ارَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا و

تُؤَخِّرُ أُخْرَى فَاذَا اتَاكَ كِتَابِي فَاعْتَمِدْ عَلَيَّ أَيُّهُمَا شِئْتَ . والسلام».

فالمشبه الصورة العقلية المأخوذة من كون الانسان مترددا في البيعة

فيقدم عليها بالعزم تارة ويحجم عنها بالاستخارة مرة اخرى، والمشبه

به الصورة الحسية للإنسان القائم للذهاب فيقدم رجلا تارة للذهاب و

يؤخرها أخرى للاحجام عنه، فاستعمل الكلام التبادل بالمطابقة على الصورة

الثانية في الصورة الاولى على سبيل الاستعارة . ووجه الشبه هاهنا هو ما

يترتب على الصورتين من الانبعاث للامر والانصراف عنه .

والظاهر أن المستعار هو عبارة «تقدم رجلا وتؤخر اخرى» لاغير،

وان «اراك» لادخل في النقل والتجوز لانا اذا قلنا: «فلان يقدم رجلا...»

حصل التمثيل ايضا ٣٢٣.

ومعنى «تؤخر اخرى» : تؤخر تلك الرجل المقدّمة، فعلى هذا

كانت كلمة «اخرى» نعنا لموصوف محذوف اعنى «المرّة» لا «الرجل»

وتقدير الكلام : تؤخرها مرة اخرى . وانما لم يجعل اخرى نعنا للرجل

على ان يكون المعنى وتؤخر رجلا اخرى، لان هذا ليس صورة تردد

الانسان في الذهب وغيره، فانه «اذا ارادالذهب رمى رجله أما ما واذا احجم عنه ردّ تلك الرجل الى موضعها، ويُسَمَّى ردّها لموضعها تاخيرا باعتبار ما انتهت اليه اولا»^{٣٢٤}.

لقد سبق انه يمكن ان يتواردالمجاز المرسل والاستعارة على محل واحد باعتبارين مختلفين كما رأيت في «المشفر»، فعلى هذا لا بأس في القول بالمجاز المرسل في «انى أراك تقدم رجلا...» كما رآه عصام الدين حيث يقول: «ومما يختلج في الصدر ولا تجده في صدر بعد الصّدر انّ قوله: انى اراك تقدم رجلا... مسبب عن التردد فيحتمل ان يكون التجوز باعتباره، فيتحقق المجاز المرسل في المجموع من غير تصرّف في الأجزاء كالاستعارة»^{٣٢٥}.

٢- التهكمية والتعليحية

وهى ما استعمل المشبه به في ضدّ معناه الحقيقي او نقيضه، كقوله تعالى: «فبشّرْهُمُ بعذابٍ اليّمْ»^{٣٢٦} فاستعير «التبشير» وهو الإخبار بما يسّر المُخْبِرَ «للإنذار» وهو التخويف والتهديد، بعد ادعاء دخوله في جنس البشارة على سبيل التهكم والإندار.

والفرق بين التهكمية والتعليحية هو أنه ان كان الغرض الحامل على استعمال اللفظ في ضد معناه الهزاء والسخرية بالمقول فيه كانت الاستعارة تهكمية، وان كان الغرض الحامل على ذلك بسط السامعين وإزالة السامة عنهم من طريق الإتيان بشيء مليح مُستظرف كانت الاستعارة حينئذ

٣٢٤- الدسوقي ١٤٣/٤ .

٣٢٥- عصام الدين، العقد الاول، الفريدة السادسة، مخطوط .

٣٢٦- آل عمران، ٢١ .

تمليحية ٣٢٧.

٣- المرشحة و المجرّدة والمطلقة

الاستعارة باعتبار ما يلائم الطرفين، مع قطع النظر عن القرينة اللازمة فيها الدالة على أن المستعار لم يستعمل في معناه الأصلي، تنقسم الى ثلاثة اقسام : مرشحة، مجرّدة ومطلقة .

فالمرشحة : استعارة اقترنت بصفة او تفريع مما يلائم المستعار منه، وذلك كقولك : بَيْنَ فِكَيْهِ حَسَامٌ لا يُثْقَل .
وقوله تعالى : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فما ربحت تجارتهم » .

فا «لِحَسَامٍ» و «والإِشْتَرَاءِ» استعارة و «بين فكيه» و «الضلالة» قرينتها، وعبارة «لا يُثْقَلُ» و «فما ربحت تجارتهم» ترشيع .

ومن امثلة المرشحة ايضا قول بعضهم في وصف الكتاب :

لنا جلساء لانمل حديثهم الباء مأمونون غيباً و مشهدا
وقول البحترى :

وأرى المنايا إن رأت بك شبيهة جعلتك مرمى نبلها المتواتر

وقولك : تَلَطَّخَ فُلَانٌ بَعَارٍ لَنْ يُغْسَلَ عَنْهُ أَبَدًا ٣٢٨ .

والفرق بين الصفة والتفريع ان الملائم ان كان من بقية الكلام المشتمل على الاستعارة يعتبر صفة، وان كان كلاما مستقلا وقع بعد ما فيه الاستعارة وبنى عليه كما رأيت في آية «اولئك الذين ...» يسمى تفريعا، سواء كان

٣٢٧- الدسوقي ٧٨/٤ .

٣٢٨- الامثلة من «البلاغة الواضحة» ، ٨٩ ، ٩٣ .

بحرف التفريع اولاً ٣٢٩.

وانما سميت هذا النوع من الاستعارة مرشحة، لان الترشيح بمعنى التقوية والتزيين، وانك اذا بنيت الاستعارة على تناسي التشبيه و ذكرت ملائمتها المستعار منه فقد سعيت في تقويتها وتزيينها .

والمجردة : استعارة افترنت بما يلائم المستعار له، و ذلك كأن تقول : بين فكيه حسامٌ ينطق بالحق .

وكقول كُثيِّر يمدح عبد العزيز بن مروان :

عَمَرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ بِضَحِكْتِهِ رِقَابُ الْمَالِ ٣٣٠

استعار الشاعر «الرداء» للعطاء لانه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقي عليه، ثم وصفه بـ«الغمر» الذي يناسب العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة، والتقريظة سياق الكلام، اعنى قوله : اذا تبسم ... ٣٣١

ومعنى البيت : ان السائلين يأخذون اموال الممدوح من غير علمه و يأتون بها الى حضرته، فيعرف ذلك ويتبسم في وجههم ولا ياخذها منهم، فضحكهم سبب لتمكن المال في أيديهم وأمارة على الإباحة لهم ٣٣٢.

وقال عبد الحكيم : «في» غلقت» اشارة الى انه يعلم ان للسائلين حقا عليه بواسطته صارت الأموال مرهونة عندهم، وانه عاجز عن اداء ذلك الحق . فلذلك لم يقدر على انفكاك الأموال عنهم» ٣٣٣.

٣٢٩- الدسوقي ١٢٧/٤ .

٣٣٠- الغمر من الثوب : السابغ الواسع . غلق الرهن في يد المرتهن

اذا لم يقدر الراهن على انفكاكه .

٣٣١- المطول، ٣٧٧ .

٣٣٢- الدسوقي، ١٢٩/٤ .

٣٣٣- السياكوتي، ٥٠٢ .

وكقولك : نَقَضُ صَدْرَكَ مِنَ الْغَلِّ وَالْحَقْدِ ، اى فَسَّرَغِ
 صَدْرَكَ . والتنقيض فى الأصل تحريك الثوب ليزول عنه الغبار أو الشجر
 ليسقط ما عليه من الورق وغيره ، ثم استعير لمعنى التفريغ والإخلاء ،
 فصدرك هاهنا قرينة ومن الغل والحقد تجريد . وما أحسن قول المعرى
 فى هذا المعنى :

ما الخَيْرُ صَوْمٌ يَذُوبُ الصَّائِمُونَ لَهُ
 وَلا صَلاةَ ، وَلا صُوفَ عَلَى الجَسَدِ
 وَانَّمَا هُوَ تَرَكَ الشَّرَّ مُطَّرِحاً ،
 وَتَفَضُّكَ الصَّدْرَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ ٣٣٤

والمطلقة : استعارة خلت مما يلائم المستعار منه والمستعار له ، او
 افترنت بما يناسبهما سواء . و ذلك كقول المتنبي :

أحِينُ إِلَى أَهْلِى وَأَهْوَى لِقَاءِ هَمِّ
 وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتاقِ عِنقَاءُ مُغْرِبٍ ٣٣٥؟

استعار العنقاء لأهله ، وسياق الكلام اعنى : «أحِينُ إِلَى أَهْلِى ...»
 قرينة ، ولم يذكر فى البيت اضافة على القرينة صفة او تفريعا مما يناسب
 المشبه او المشبه به .

وكقولك : فى صدره حديدٌ لا يلين بالنار ولا يتأثر بالكلام ، اى
 فى صدره قلب .

وقولك ايضا : بيننا جبالٌ لا تتزلزلُ للرياح ولا ترُكعُ
 للصياح .

٣٣٤- لزوم ما لا يلزم ١/٣٧٥ .

٣٣٥- شرح ديوان المتنبي للبرقوقى ١/٣٠٧ .

بلاغية المرشحة :

والمرشحة بين هذه الاقسام أقوى من غيرها لاشتمالها على تقوية
المبالغة وتحقيقها، فيبنى الكلام فيها على تناسي التشبيه . ولهذا يدعى
المتنبى حينما قابله ممدوحه وعانقه، انه لم ير قبله مشى البحر نحو رجل
ومعانقة الأسد معه، فيقول :

فلم أرَ قبلى مَنْ مشى البحر نحوَه

ولا رجلاً قامتْ تُعانقه الأسدُ

ويضع ابوتامم الكلام فى علو المنزلة وضعه فى علو المكان ، فقال:
و يصعد حتى يظن الجهولُ بأنَّ له حاجةً فى السماء
فلولا ان قصده أن يتناسى التشبيه، ويصرُّ على انكاره فيجعله
صاعدا الى السماء من حيث المسافة المكانية، لما كان لهذا الكلام وجه ٣٣٦.
اعلم ان الترشيح لا يختص بالاستعارة بل يجرى فى التشبيه والمجاز
المرسل ايضا، وذلك بذكر ما يلائم المشبه به او ما يناسب المنقول منه .
الاول - كقول المعرى فى رثاء والده :

كانَ دعاء الموت باسمك نكرة

فرتْ جسدى، والسمُّ يُنفثُ فى أذنى^{٣٣٧}

فان «فرت جسدى» وكذا «ينفث ...» فى البيت مما يناسب المشبه
به اعنى «النكرة» او «السم» لا المشبه .

والثانى - كقول النبى (ص) لأزواجه الطاهرات : «أسرعكنَّ
لحوقاً بى أطولكنَّ يداً» . فان اليد مجاز مرسل عن النعمة لحصولها

٣٣٦- المطول، ٣٠٨ .

٣٣٧- سقط الزند، ١٦، النكرة اللدغة . فرت : قطعت .

عن اليد، و «اطولكن» ترشيح لهذا المجاز لملاءمتها لليد لا للنعمة^{٣٣٨}.

٤- المصّرحة والمكنية

تنقسم الإستعارة بإعتبار ذكر المشبه او المشبه به إلى قسمين :
مصّرحة ومكنية .

المصّرحة : ما اكتفى فيها من أركان التشبيه بذكر المشبه به ، كقول
على (ع) في وصف القرآن : «لا تُكشِفُ الظلماتُ إلاَّ به» . استعار
الظلمات للشبهات بجامع عدم الاهتدا فيهما من غير دليل، ولم يذكر من
أركان التشبيه في هذه الاستعارة غير الظلمات التي هي المشبه به .
وقول الشنفرى :

(ولى دونكم أهلون) : سيد "عمّس"

و أرقطُ زهلول" ، و عرفاءُ جيئالُ

هم الأهلُ لا مُستودعُ السرِّ ذائعُ

لديهم ، ولا الجانى بما جرَّ يُخذلُ

استعار الأهل للوحوش بجامع عدم ذبوع الأسرار وعدم خذلان
المذنب لديهم .

والمكنية : ما لم يذكر فيها من أركان التشبيه غير المشبه، و ذلك
كقوله تعالى : «واخفِضْ لهما جناح الذلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ»^{٣٣٩} جُعِلَ
التذلل والتواضع أمام الوالدين طائرا يحنو على أفراخه بجامع اللين
والرحمة، فلم يُذكر من اركان التشبيه إلاَّ «الذل» وهو المشبه .

٣٣٨- راجع المطول، ٣٠٥، والمواهب ٤/١٥٦-١٥٧ .

٣٣٩- الاسراء، ٢٤ .

وكقول على (ع) : لقد رجعت° فيهم أبصار العبر، وسمعت° عنهم
آذان العقول . فكل° من العبر والعقول هاهنا استعارة مكنية .
وقال تأبط شراً :

إِذَا هَزَّهٗ فِي عَظْمِ قِرْنٍ ، تَهَلَّكَتْ°

تَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنِيَا الضَّوَاهِكِ° ٣٤٠

جعل المنيا سبباً بجامع الإهلاك والإعدام، ولم يذكر من أركان
التشبيه سوى المشبه، اعنى «المنيا» .

وانما سمي هذا النوع من الاستعارة بالمكنية لانه لم يُصرح فيه
بذكر المستعار، بل اقتصر على ذكر لازمه لينقل منه الى المقصود كما هو
شأن الكناية . وذلك اللازم في الامثلة المذكورة كان : الجناح، والابصار،
والآذان، والأفواه .

٥- التحقيقية والتخييلية

والاستعارة باعتبار أن المستعار له موجود في الواقع ام لا، تنقسم
إلى قسمين : تحقيقية وتخييلية .

التحقيقية : ما كان المراد بالمستعار له امرا معلوما بحيث يمكن ان
يُنص° عليه ويشار إليه اشارة حسية او عقلية^{٣٤١}، وذلك نحو قوله تعالى:
«وَأَتَوَالِيَتَامَى أَمْوَالِهِمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ»^{٣٤٢} . استعير
الخبيث للمال الحرام والطيب للمال الحلال، وهما امران متحققان حسا .

٣٤٠- هزّه : الضمير للسيف . النواجذ : أقصى الأضراس .

٣٤١- المطول، ٢٩٢ .

٣٤٢- النساء، ٢ .

وقوله تعالى: «الر، كتاب» انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور»^{٣٤٣}. استعير الظلمات للجهل والنور للعلم، وان شئت فقل للضلالة والهداية، ولا يخفى انهما متحققان عقلا.

ويجربى هذا المجربى قوله عز من قائل: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهيرا»^{٣٤٤} استعير الرجس للذنب والعصيان الذى هو امر عقلى^{٣٤٥}.

والتخييلية: ما لم يكن لمعنى المستعار له وجود فى الواقع، فلا يمكن النص عليه ولا الاشارة إليه فى الحس والعقل، وإنما يتجلى فى الوهم والخيال ولهذا يدوب فى غيرهما.

ومن امثلتها «أبصار العبر» و «آذان العقول» فيما سبق من قول على (ع)، فإنه استعير كل من الأبصار والآذان لما يتصور فى الوهم من طرق الإدراك للعبر والعقول، ومن البدهى أن المستعار له لم يكن له وجود فى غير الوهم والتخييل، وانه ليس فى الواقع ما تشير إليه حسا او عقلا وتجرى عليه لفظ الأبصار والآذان.

آراء حول الاستعارة المكنية والتخييلية

اعلم أن القوم لم يتفقوا على المراد من الاستعارة المكنية والتخييلية وتفسيرهما، فذهبوا هاهنا مذاهب شتى، وسلكوا مسالك مختلفة.

٣٤٣- ابراهيم، ١ .

٣٤٤- الاحزاب، ٣٣ .

٣٤٥- تفسير البيضاوى ٤/١٦٣ .

فنعرض فيما يلي هذه الآراء والنظرات على ضوء من التحقيق والتدقيق، فنقول ومن الله التوفيق :

المعروف عند الناس ان المذاهب هنا اربعة :

الف - مذهب السلف - يراد منه من تقدم السكاكي^{٣٤٦}.

ب - مذهب السكاكي .

ج - مذهب صاحب التلخيص .

د - مذهب عصام الدين .

الأوّل - ان المأخوذ من كلام السلف هو ان الاستعارة المكنية ما لا يصّرّح بذكر المستعار، بل بذكر رديفه ولازمه عليه^{٣٤٧}. فالمراد مثلا بقول تابط شرا : «تهلّكت ° نواجذُ أفواهِ المَنايا» استعارة السبع للمنايا ، إلاّ انه تركّ التصريح بذكر «السبع» المستعار و دلّ عليه بذكر لازمه و هو «الأفواه» .

قال صاحب الكشاف في بيان تسمية العهد بالجبل على سبيل الاستعارة في قوله تعالى : «ينقضون عهد الله»^{٣٤٨} «وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه . ونحوه قولك : «شجاع» يفترس أقرانه وعالمٍ يفتري منه الناس»^{٣٤٩}.

ومعنى هذا الكلام هو انه وقعت في «العهد» و «الشجاع» و «العالم» استعارة استعير فيها شيء كالجبل للاول، والأسد للثاني ،

٣٤٦ - عصام الدين، الفريدة الأولى من العقد الثاني .

٣٤٧ - المطول، ٣٨٢ .

٣٤٨ - البقرة، ٢٧ .

٣٤٩ - الكشاف ١/ ٢٠٧ .

والبحر للثالث، غير انه لم يذكر لفظ المستعار بل دل عليه بلازمه وردفه على سبيل الإشارة والرمز. وهذا الردف واللازم هو النقص للحبل، والافتراس للأسد، والإغتراف للبحر.

ولما كان هذا النوع من الاستعارة يلتقى مع الكناية في ذكر لازم الشيء والإشارة به على مكان ذلك الشيء، ناسب أن يسمى استعارة مكنية او بالكناية وان كان السلف لم يصرحوا بهذه التسمية.

وجدير بالذكر أن الشيخ - وان كان من السلف - لا يقول في موطن الاستعارة بالكناية الا بتشبيه وتقدير في النفس حذف المشبه به فيه، ثم ذكر ما يلائمه واستعير للمشبه على طريق ادعاء معنى شيء لشيء. فقال عند تفسير الاستعارة وبيان معزى التشبيه في قول لمبيد:

وغداة ريحٍ قد كشفتُ وقيرةٍ إذ أصبحتُ بيد الشمالِ زمامها:
«بل ليس اكثر من أن تخيل الى نفسك ان الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدبر المصرف لما زمامه بيده، ومقادته في كفه»^{٣٥٠} وذكر أن هذا التشبيه لا يأتيك عفوا بل يحتاج إلى أعمال الفكر والتأمل، وانه لا يلقاك من استعارة اليد للشمال بل يستنبط من الشمال نفسه^{٣٥١}.

فالشيخ لا يرى في الشمال استعارة على معنى انه استعير له لفظ المشبه به المحذوف بل كل ما يعتبره هناك لا يتعدى دائرة تشبيه مقدر في النفس، فعلى هذا ان ما يسمى بالمكنية استعارة بالمعنى المصطلح عند غيره من السلف، وتشبيه مقدر في النفس لا يتأتى عفوا بغير التأمل عنده. ثم انه لا يسمى هذا التشبيه استعارة ولا مكنية، ومن رأى مذهبه وسمى

٣٥٠- اسرار البلاغة، ٥٢-٥٣.

٣٥١- المصدر نفسه، ٥٣-٥٥.

التشبيه بالمكنية فلعلم أنه نظر الى خفاء التشبيه وعدم ظهوره، واما التسمية بالاستعارة فالظاهر انه لا يرى له وجه .

ذلك هو ما جاء وثقل من السلف في الاستعارة المكنية .

واما رأيهم في التخييلية فالمنقول انهم سوى صاحب الكشاف يرون ان الاستعارة التخييلية هي إثبات لازم المشبه به للمشبه^{٣٥٢}، وذلك كإثبات الجناح للذئب، والأبصار للعبر، والآذان للعقول فيما تقدم من الأمثلة. قال الشيخ في دلائل الإعجاز : «لاخلاف في ان اليد - من قول لييد : بيد الشمال زمامها - استعارة» ثم انك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نُقل عن شيء الى شيء، وذلك انه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد فيمكنك ان تزعم أنه نقل لفظ اليد إليه . وانما المعنى على أنه اراد أن يثبت للشمال في تعريفها الغداة على طبيعتها شبه الإنسان قد أخذ الشيء بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد، فلما اثبت لها مثل فعل الانسان باليد استعار لها اليد»^{٣٥٣}.

فكلامه هاهنا وفي «أسرار البلاغة»^{٣٥٤} صريح في أن نحو «يد الشمال» استعارة لكن لا بمعنى نقل اللفظ عن شيء الى شيء بل بمعنى اثبات اليد للشمال مبالغة في تحقيق ذلك التشبيه المقدّر في النفس . ولا يخفى ان الشيخ وان كان يدعى الاتفاق على وجود الاستعارة في امثال يد الشمال غير انه لا يشير الى التقييد بالتخييلية، ولعل التسمية بالاستعارة التخييلية، جاءت من غيره .

اما التسمية بالاستعارة - مع أن مبناها ليس على نقل اللفظ عن

٣٥٢ - عصام الدين، الفريدة الاولى من العقد الثالث .

٣٥٣ - دلائل الإعجاز، ٣٣٤ .

٣٥٤ - راجع اسرار البلاغة، ٥١-٥٣ .

معنى إلى معنى آخر بل على أخذ الاسم عما يليق به واثباته لغيره - فهى بملاحظة الاشتراك اللفظى، او ان شئت فقل باعتبار المعنى اللغوى للاستعارة لا المصطلح لها .

وبالتخييلية - فلعل أنها جاءت بسبب تفرّع هذه الاستعارة وتلازمها للتشبيه الذى «لا يتعدى التخييل والوهم، والتقدير فى النفس»^{٣٥٥}.
والتخييلية عند صاحب الكشاف هى اثبات لازم المشبه به للمشبه بشرط ان لا يكون للمشبه لازم مثله فى الواقع والخارج، وذلك مثل :
أَفْوَاهِ الْمَنِيَا، يَدِ الشَّمَالِ، جَنَاحِ الذَّلِّ، وما يجرى مجراها . اما إذا وجد للمشبه رَدْفٌ فى الواقع كردف المشبه به ولازمه فالاستعارة تحقيقية، كما «فى يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ» وشجاعٌ يَفْتَرِسُ أَقْرَانَهُ، وَعَالِمٌ يَعْتَرِفُ مِنْهُ النَّاسُ .

فإنك تجد فى الواقع للعهد ردفا ولازما كالإبطال، وللشجاع مثل الفتك والبطش وللعالم مثل الانتفاع والاستفادة، ويمكنك الإشارة الى ذلك الردف واللازم واستعمال لازم المشبه به فيه على طريق الاستعارة الحقيقية^{٣٥٦}.

قال صاحب الكشاف : «شاع استعمال النقص فى ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين»^{٣٥٧} هذا كل ما ذكره الزمخشري ههنا، لكن فسرهم الآخرون بما رأيت، وقال التفتازانى بعد نقله ما ذكره : «ولكننا قد استفدنا منه ان قرينة الاستعارة بالكناية لا يجب ان تكون استعارة تخييلية، بل قد تكون

٣٥٥ - المصدر نفسه، ٥٣ .

٣٥٦ - راجع حاشية الدسوقي ١٥٩/٤ .

٣٥٧ - الكشاف ٢٠٧/١ .

تحقيقية، كاستعارة النقص لإبطال العهد»^{٣٥٨}.

فعلى هذا ان المكنية لا تستلزم التخيلية عند صاحب الكشاف بخلاف العكس، واما عند غيره من السلف فهما متلا زمان، فلا يتحقق احدهما بدون الآخر .

الثاني - ان المكنية عند السكاكي عبارة عن ذكر المشبه و ارادة المشبه به منه على عكس الاستعارة المصّرحة، فمثلا في «مخالب المنيّة نَشِبَتْ بفلان» أنّ ذكر المنيّة و ارادة السبع بها استعارة مكنية بقرينة إضافة شيء من لوازم المشبه به الى المشبه . فقال في المثال المذكور : «ندعى هاهنا اسم المنيّة اسما للسبع مرادفا له بارتكاب تأويل، وهو ان المنيّة تدخل في جنس السباع لاجل المبالغة في التشبيه»^{٣٥٩} فهذا الادعاء الذي يحمله ذكر المشبه المضاف اليه شيء من لوازم المشبه به، هو نتيجة دعوى السبعية للمنيّة واستعارة المشبه به للمشبه على الطريق المعروف في الاستعارة. ولما لم تجر الصورة التي تتم عن تلك الاستعارة على ما هي تقتضيه - اعنى ذكر المشبه به وإرادة المشبه، منه - سميت مكنية، لان تلك الاستعارة لم تحصل من منظوق الصورة بل جاءت من طريق الاستلزام .

هذا، اذا أردنا من المكنية «المكنى بها» اعنى ما يتوسل به للحصول على المراد من الكناية، امّا اذا اردنا منها «المكنى عنها» فالاستعارة المكنية عند السكاكي عبارة عن استعارة المشبه به للمشبه، التي لم يدلّ عليها صراحة بذكر المشبه به وقصد المشبه منه بل رمز إليها بذكر المشبه وادعاء اسمه للمشبه به . وهذا الادعاء كما عرفت منفرع على استعارة المشبه به للمشبه، لأن دعوى دخول جنس آخر تستلزم صحة تلبس كلّ منهما بلباس

٣٥٨ - المطول، ٣٠٦ .

٣٥٩ - مفتاح العلوم، ١٧٩ .

الآخر. فعلى ما فسرت رأى السكاكي في المكنية لاتناقض بين قوله : « ندعى ههنا اسم المنية اسما للسبع ... »^{٣٦٠} وقوله الآخر : « ويسمى المشبه به سواء كان هو المذكور او المتروك مستعارا منه، واسمه مستعارا ، والمشبه، به مستعارا له »^{٣٦١} فلا او افق الدسوقي وصاحب مواهب الفتاح في ادعائهما التناقض والخطب في كلام السكاكي^{٣٦٢} .

والفرق بين المكنية عند السلف والمكنية عند السكاكي، ان السكاكي يرمز إليها بذكر المشبه وادعاء اسمه للمشبه به، واما السلف فهم يرمزون إليها بذكر لازم المشبه به واثباته للمشبه^{٣٦٣} .

والتخيلية عنده ان يكون المشبه المتروك شيئا وهميا لاتتحقق له إلا في مجرّد الوهم، و ذلك مثل : لسان الحال الشبيه بالمتكلم ناطق" بكذا . فانك لما شبّهت الحال بالمتكلم اخذ الوهم في اختراع ما به قوام الكلام في الإنسان للحال، فيجعل له صورة مثل صورة اللسان للإنسان، ثم يطلق على تلك الصورة المخترعة في الوهم اسم اللسان المتحقق . وكذا الحال في مخالاب المنية الشبيهة بالسبع نَشِبَتْ بفلان^{٣٦٤} .

ولا تلازم بين المكنية والتخيلية عند السكاكي، لانه يرى تحقق كل منهما بدون الآخر^{٣٦٥} . اما تحقق التخيلية بدون المكنية فكما رأيت فسي الأمثلة السابقة التي جاء بها في المفتاح، وان كان صاحب التلخيص ادعى

٣٦٠- المصدر نفسه، ١٧٩ .

٣٦١- المصدر نفسه، ١٧٤ .

٣٦٢- شروح التلخيص ٤/ ١٨٤ .

٣٦٣- مفتاح العلوم، ١٧٦ .

٣٦٤- مفتاح العلوم، ١٧٨ .

٣٦٥- المختصر مع شروح التلخيص ٤/ ١٩٦ .

انه بعيد لا يوجد له مثال في الكلام^{٣٦٦}..

أمّا تحقق المكنية مع غير التخيلية فانه قال : «والمكنى عنها - ينقسم - إلى ما قرينتها امر» مقدّر «وهمى» كما «لأنّيب» فى قولك : أنياب المنية، و «كنطقت» فى قولك : نطقت الحال بكذا، او امر محقق كما «لإنبات» فى قولك : «أنبت الربيع البقل»^{٣٦٧}. ولا يغر ذلك ما جاء فى المفتاح مثل قوله : «وقد ظهر أن الاستعارة بالكناية لا تنفك عن الاستعارة التخيلية»^{٣٦٨} فانه بناء على مساق كلام غيره من الأصحاب وليس برأيه .

بقيت ههنا نكتة وهى ان التخيلية وان كانت تتحقق بدون المكنية عند الساكبي، لكن لا تنفك عن تشبيه بين أمرين متحققين حسا او عقلا ، فهذا التشبيه قد يتحول الى الاستعارة المكنية فتحقق معها التخيلية ، كقولك : «لسان الحال نطقت بكذا» وقد يبقى على حاله فتحقق التخيلية بدون المكنية، و ذلك كأن تقول : لسان الحال الشبيه بالإنسان نطقت بكذا .

الثالث - ان المكنية والتخيلية عند صاحب التلخيص امران معنويان من افعال المتكلم، لانه يفسر «المكنية» بالتشبيه المضمّر فى النفس و «التخيلية» باثبات شىء من لوازم المشبه به للمشبه . فعلى هذا التفسير أن لفظى «الاظفار» و «المنية» فى قولك : أظفار المنية... ليسان اخلين فى المجاز اللغوى، بل كلاهما حقيقة لغوية .

والمكنية والتخيلية على تفسيره متلازمان لا يتحقق احدهما بدون

٣٦٦- شرح المفتاح الشريفي، مخطوط بدون رقم الصفحة .

٣٦٧- المفتاح، ١٨٩ .

٣٦٨- المصدر نفسه، ١٧٩ .

الآخر، إذ التخيلية يجب ان تكون قريبة للمكنية والمكنية يجب ان يُدَلَّ عليها بالتخيلية .

و وجه تسمية التشبيه المضرر با «لكناية» أنه لم يُصرِّح به، بل دُلَّ عليه بذكر الخواص واللوازم، وبا «لاستعارة» مجرد تسمية خالية عن المناسبة .

واما الوجه في تسمية ذلك الإثبات بالاستعارة التخيلية، فلأنه قد استعير للمشبه الامر الذي يخص المشبه به ليخيّل ان المشبه من جنس المشبه به^{٣٦٩} .

لقد سبق ان الشيخ قال في موطن الإستعارة المكنية بتشبيه مقدر في النفس، وجعل اثبات شيء من لوازم المشبه به المتروك للمشبه استعارة، غير انه لم يسم ذلك التشبيه استعارة مكنية ولا الاثبات تخيلية . فعلى هذا كان كلام الشيخ المعين الاول لنظرية صاحب التلخيص، والمورد الذي استقى منه مذهبه . فتنبه العلامة التفتازاني لهذا المطلب، فانه لما اشار الى مفاد كلام الشيخ في امثال «اظفار المنية» اضاف قوله : «وهذا قريب مما ذكره المصنف في التخيلية»^{٣٧٠} وليته لم يقصر مفاد كلام الشيخ هنا على الاستعارة بمعنى اثبات شيء لشيء، بل اشار ايضا إلى ذلك التشبيه المقدر في النفس عنده^{٣٧١}، حتى يتأتى له القول بان كلام الشيخ في موطن التخيلية والمكنية قريب من كلام المصنف فيهما .

الرابع - ان الاستعارة بالكناية من فروع التشبيه المقلوب، فكما يُجْعَلُ المشبهُ مشبهاً به مبالغة في شأنه وكماله في وجه الشبه بحيث

٣٦٩- المطول، ٣١٠-٣١١ :

٣٧٠- المصدر نفسه، ٣١٢ .

٣٧١- اسرار البلاغة، ٥٢-٥٣ .

يستحق ان يلحق به المشبه به، كقول محمد بن وهب :
 و بدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح
 فشبه غرّة الصباح بوجه الخليفة، فكذلك يستعار اسم المشبه للمشبه
 به لنفس تلك المبالغة كما في اظفار المنية، فيراد بالمنية ههنا السبع ويجعل
 الكلام حينئذ كناية عن تحقيق الموت بلاربية . فعلى هذا لا تجوز في
 اضافة الاظفار الى المنية، ولا اشكال في جعل المنية استعارة^{٣٧٢}.

المكنية بين « المكنى بها » و « المكنى عنها »

لقد سبقت الإشارة الى انه يمكن ان يراد من المكنية « المكنى بها »
 اعنى ما يتوسل به فى الدلالة على عملية الكناية وما يرمز به عن الشيء
 المسكوت، او يراد بها « المكنى عنها » وهو الشيء المسكوت عنه والأمر
 المرموز اليه . فمثلا فى قوله تعالى : « كانا يأكلان الطعام »^{٣٧٣} المكنى
 بها هو العبارة وما دلت عليه بالمنطوق والمباشرة، واما المكنى عنها
 فهو ما يترتب على اكل الطعام وقد ترك ذكره فى الآية .

فإذا حملنا المكنية على المعنى الأول، كانت الاستعارة المكنية على
 قول السلف الشيء المذكور من لوازم المستعار المسكوت عنه، اعنى
 « الأظفار » المضافة الى المنية فى المثال المعروف، إذ بها يتحقق الرمز
 والإشارة إلى المستعار المحذوف وهو السبع .

و كانت الاستعارة المكنية عند السكاكى المشبه المذكور المستعمل

٣٧٢- عصام الدين، الفريدة الثالثة من العقد الثانى .

٣٧٣- المائدة ٧٨ .

فى معنى المشبه به، لانه بهذا الطريق يرمز الى استعارة المشبه به للمشبه به، فكل من اضافة الاظفار الى المنية واستعمال المنية فى السبع هو ما يتطلبه استعارة المشبه به للمشبه المسكوت عنها .

وكانت الاستعارة المكنية عند صاحب التلخيص ذكر لازم المشبه به او اثباته للمشبه، إذ به يدل على التشبيه المضمّر فى النفس المتروك ذكره . ولا يخفى ان المكنية بهذا المعنى مع صحتها لا يلائمها ظاهرٌ ما نقل عن السلف فى معناها، اعنى : «هو ان لا يصرّح بذكر المستعار بل بذكر رديفه ولازمه الدال عليه»^{٣٧٤}. ولا يؤيدها نصٌّ عبارة صاحب التلخيص حيث قال : «قد يُضمّر التشبيه فى النفس فلا يصرّح بشيء من اركانه سوى المشبه ويدلُّ عليه بان يثبت للمشبه امر مختص بالمشبه به، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية او مكنيا عنها»^{٣٧٥}.

فترى ان بناء ما نُقل عن السلف على المستعار المسكوت عنه لا على ذكر الرديف واللازم، وان صاحب التلخيص ينص على ان التشبيه المضمّر هو الاستعارة بالكناية، ثم انه يقيد المكنى بكلمة «عنها» ليشير الى ان المراد بالكناية هاهنا الامر المسكوت عنه لا ما يرمز به .

أما كلام السكاكى فهو تارة يشير الى أنه يريد من الكناية المكنى بها، وذلك حيث يقول «هى - الاستعارة بالكناية - كما عرفت ان تذكر المشبه وتريد به المشبه به»^{٣٧٦} او يقول فى إرجاع التبعية الى المكنية : لو جعلوا «الحال» فى نطق الحال بكذا استعارة بالكناية عن المتكلم ... كما يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ... لكان اقرب الى الضبط^{٣٧٧}.

٣٧٤- المطول، ٣١١ .

٣٧٥- المصدر نفسه، ٣١٠ .

٣٧٦- المفتاح، ١٧٩ .

٣٧٧- المفتاح، ١٧٤ .

فظاهر كلامه ههنا لا يلائم حمل الكناية على المكنى عنها، لأن استعارة المشبه للمشبه به كما يراه تستفاد من متن العبارة ومنطوقها وأن ليس المستعار مسكوتا عنه، فلا يبقى فرق بين المكنية والمصرحة من هذه الناحية .

وتارة أخرى يشير الى انه يعنى من الكناية الشيء المسكوت عنه والامر الرموز إليه، وذلك حيث يضع مقابل المصّرح بها «المكنى عنها» وحيث يذكر ان المشبه به سواء كان هو المذكور او المتروك مستعار منه، واسمه مستعار، والمشبه به مستعار له^{٣٧٨}.

فحيثما فسّر الكناية بذكر المشبه وإرادة المشبه به منه وجعل «المنية» وظاؤها استعارة بالكناية، اراد من «الكناية» ما يرمز به الى الشيء المسكوت عنه . وحيثما جعل المشبه به هو المستعار منه سواء كان مذكورا او متروكا، او استعمل عبارة «المكنى عنها» اراد من الكناية الأمر المسكوت عنه . ومن لم يدرس كلام السكاكي على ضوء هذين الوجهين اعترض عليه واتهمه بالخبط والتناقض في القول .

هل المكنية من اقسام الاستعارة في المفرد؟

اعلم ان الظاهر من كلام القوم هو ان المقسم في التقسيم الى المصّرحة والمكنية والتحقيقية والتخييلية عبارة عن الاستعارة في المفرد، وايضا ان الامثلة المذكورة لتلك الاقسام لا تخرج من هذه الدائرة . لكن جاء في تفسير الكشاف عند قوله تعالى : «أفمنّ حقّ عليه كلمة العذاب ، أفأنت

تُنْقِذُ مَنْ ° فِي النَّارِ؟»^{٣٧٩} مَا يُبَسِّرُ جِرْيَانَ الْمَكْنِيَةَ فِي الْمَرْكَبَةِ حَيْثُ قَالَ: «وَوَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ جَمْلَتَيْنِ: ١- أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ فَأَنْتَ تُخَلِّصُهُ؟ ٢- أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ؟
وَأَمَّا جِازٌ حَذَفَ فَأَنْتَ تُخَلِّصُهُ لِأَنَّ أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ يَدُلُّ عَلَيْهِ. نُنَزِّلُ اسْتِحْقَاقَهُمُ الْعَذَابَ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَنْزِلَةَ دُخُولِهِمُ النَّارَ، حَتَّى نَزَلَ اجْتِهَادُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَكَدِّشَهُ نَفْسَهُ فِي دَعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ مَنْزِلَةَ انْقِذِهِمْ مِنَ النَّارِ»^{٣٨٠}.

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ تَنْزِيلَ اسْتِحْقَاقِهِمُ الْعَذَابَ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَنْزِلَةَ دُخُولِهِمُ النَّارَ يَجْرِي مَجْرَى الِاسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ فِي ذِكْرِ الْمَشْبَهَةِ وَحَذْفِ الْمَشْبَهَةِ بِهِ، ثُمَّ أَنَّ تَنْزِيلَ اجْتِهَادِ الرَّسُولِ وَكَدِّشَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ مَنْزِلَةَ الْإِنْقَازِ مِنَ النَّارِ يَسْلُكُ مَسْلَكَ قَرِينَةِ الْمَكْنِيَةَ فِي «يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ» فَتَكُونُ قَرِينَةَ الْمَكْنِيَةَ هَهُنَا أَيْضًا اسْتِعَارَةً مَصْرُوحَةً تَحْقِيقِيَّةً.

اجتماع المكنية مع المصراحة

لِاشْبَهَةِ فِي أَنَّ الْمَشْبَهَةَ فِي صُورَةِ الِاسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ لَا يَكُونُ مَذْكُورًا بِلَفْظِ الْمَشْبَهَةِ بِهِ كَمَا فِي الْمَصْرُوحَةِ، وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي وَجُوبِ ذِكْرِهِ بِلَفْظِ الْمَوْضُوعِ لَهُ. وَالْحَقُّ عَدَمُ الْوَجُوبِ لِجَوَازِ أَنْ يَشْبَهَ شَيْءٌ بِأَمْرَيْنِ وَيَسْتَعْمَلُ لَفْظًا أَحَدَهُمَا فِيهِ وَيُثَبِّتُ شَيْءٌ لَهُ مِنْ لَوَازِمِ الْآخَرِ، فَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ تَجْتَمِعُ الْمَكْنِيَةُ وَالْمَصْرُوحَةُ فِي مَجَلٍّ وَاحِدٍ وَلَكِنْ بَاعْتِبَارَيْنِ، كَمَا تَرَى فِي قَوْلِهِ

٣٧٩- الزمر، ١٩.

٣٨٠- الكشاف ٢/٢٩٦.

تعالى : «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف»^{٣٨١}.

فيجوز ان يعتبر فيه انه شُبّه ما غشى الانسان عند الخوف والجوع من الضرر والألم من حيث الاشتمال باللباس فيستعار له اسمه، ومن حيث الكراهة بالطعم المر البشيع فيضمر التشبيه في النفس . فعلى هذا يكون اللباس استعارة مصرحة في الصورة الأولى ومكنية في الصورة الثانية، و يكون الاذاقة تخيلاً^{٣٨٢}.

٦- الأصلية والتبعية

الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار تنقسم الى قسمين : اصلية وتبعية .
الاصلية - ما كان اللفظ المستعار اسم جنس حقيقةً ، كالكوكب في قول النهامي يرثي ابنه :

يا كوكباً ما كان أقصر عمره و كذاك عمر كواكب الأسحار
او تأويلاً، كما في الأعلام المشتهرة بصفة . قال المتنبي يمدح ابن العميد:
مَنْ مَبْلَغُ الأعرابِ أنِّي بعدها شاهدتُ رسطاليسَ والإسكندر^{٣٨٣}.
والمراد باسم الجنس هنا غير ما اطلق عليه النحاة الشامل للمشتقات والجوامد والمقابل لعلم الجنس ، والا يلزم ان يدخل استعارة المشتقات في الأصلية واستعارة علم الجنس في التبعية مع ان الامر بالعكس، بل المراد به ما دل على ذات سالحة لان تصدق على كثيرين من غير اعتبار وصف من الاوصاف دلّ عليه ببناء الكلمة، او ان شئت فقل : ما دل على ماهية كلية من غير...

٣٨١- النحل، ١١٢ .

٣٨٢- عصام الدين، الفريدة الرابعة من العقد الثاني، والمواهب ١/١٨٦ .

٣٨٣- «فرسطاليس» - ارسطو - معروف بالحكمة ، والاسكندر

بالقدرة وسعة الملك .

سواء كانت ماهية المعنى كالضرب، او ماهية العين كالأسد .
اعلم ان اسم الجنس له اطلاقات مختلفة : يُطلق عند النجاة على
مفهوم يلتقى مع النكرة ويتصل بها، فيشمل المشتقات النكرة كما يشمل
الجوامد .

ويطلق عند الوضعيين على ما يقابل المصدر والمشتق، فلا يدخلان
في مصاديق اسم الجنس عندهم .

واما عند البيانين فهو يطلق على معنى كلّي غير معتبر فيه وصف
من الأوصاف كما عرفت . فيخرج منه المشتقات ويدخل فيه المصدر وعلم
الجنس^{٣٨٤} .

والتبعية - ما كان اللفظ المستعار شيئا كالفعل او ما يُشتق منه
او الحرف . قال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله اباك، فانه يُقرى العين
جمالا والأذن بيانا^{٣٨٥} . اي يثرى العين جمالا ويُسمع الأذن بيانا .

وتقول : البطل هو الكابح لنفسه . اي الحاكم والمسلط على نفسه .
قال الله تعالى على لسان فرعون : «ولأصلبّنكم في جذوع النخل»^{٣٨٦} اي
على جذوعه .

و وجه التسمية بالتبعية على ما قالوا أن الاستعارة تعتمد التشبيه
والتشبيه يقتضى كون المشبه موصوفا بوجه الشبه او بكونه مشاركا للمشبه
به فى وجه الشبه، وانما يصلح للموصوفية الحقايق - أى الامور المتقررة
الثابتة - مثل الجسم والبياض، دون معانى الافعال والصفات المشتقة فانها

٣٨٤- راجع عصام الدين، الفريدة الثانية من العقد الاول، وحاشية
صاحب الرسالة الوضعية على نفس الرسالة .

٣٨٥- البديع ابن المعتز، ٢٣-٢٤ .

٣٨٦- طه، ٧١ .

متجددة وغير متقررة لدخول الزمان فى مفهوم الافعال وعروضه للصفات،
و دون الحروف .

ولا يخفى ان هذا الدليل كما قال التفتازانى لايتناول اسم الزمان
والمكان والآلة، لانها صالحة للموصوفية فيجب أن تكون الاستعارة فيها
اصلية وليس الامر كذلك، للقطع باننا اذا قلنا: «هذا مقتل فلان» للموضع
الذى ضرب فيه ضربا شديدا، و «مرقد فلان» لقبره، كان المعنى على
تشبيه الضرب بالقتل والموت بالرقاد وكانت الاستعارة واقعة فى المصدر
لا فى نفس المكان . وأضاف التفتازانى أن الأولى فى تعليل الاستعارة
التبعية فى المشتقات ان يقال : «ان المقصود الأهم فى الصفات واسماء
الزمان والمكان والآلة هو المعنى القائم بالذات لا نفس الذات وهذا ظاهر،
فاذا كان المستعار صفة او اسم مكان مثلا ينبغى ان يعتبر التشبيه فيما
هو المقصود الا هم، اذ لو لم يقصد ذلك لوجب ان يذكر اللفظ الدال على
نفس الذات»^{٣٨٧}.

ولما لم تكن معانى الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف صالحة
للموصوفية قدروا التشبيه والاستعارة فى الاولين للمصدر، وفى الحروف
لمتعلق معناها .

والمراد بمتعلق معنى الحروف عند السكاكى ما يفسر به معناها فى
الظاهر، كأن يقال : «من» معناها ابتداء الغاية، و «إلى» انتهاء الغاية، و
«كى» معناها الغرض . فهذه الاشياء ليست معانى الحروف فى الحقيقة، والآن
كانت الحروف اسما لإفادتها المعانى المستقلة حينئذ^{٣٨٨}. واما عند صاحب
التلخيص فمتعلق معانى الحروف عبارة عما يجرشبها، و ذلك مثل كلمة

٣٨٧- المطول، ٢٩٩ .

٣٨٨- المفتاح، ١٨٠، والمطول، ٢٩٩ .

«جدوع» في قوله تعالى: «ولأصلبنكم في جدوع النخل». .
فيقدّر التشبيه والاستعارة في الامثلة المذكورة هكذا:

الف - شبهت الإراءة مثلاً بالإقراء - اي فعل الضيافة - بجامع الإفادة فيهما، ثم استعير المشبه به للمشبه، فسرى هذا التشبيه والاستعارة من المصدر الى الفعل، او ان شئت فقل: ثم اشتق من المصدر المستعار - اعنى المشبه به - الفعل المضارع وهو «يقرى»، و ذكر العين ههنا قرينة الاستعارة .

ب - وشبه الحكم والتسلط على الشيء بكبحه بجامع القدرة والتفوق فيهما ثم استعير المشبه به للمشبه، فسرى التشبيه والاستعارة من المصدر الى الصفة، او اشتق من المصدر المستعار لفظ «الكابح» فعلى هذا تجرى الاستعارة في «يقرى» و «الكابح» تبعا للمصدر لا لنفس الفعل والصفة .
ج - وشبه الاستعلاء على الشيء بالظرفية فيه بجامع الاقتران بذلك الشيء فيهما، ثم استعير المشبه به للمشبه فسرى ذلك العمل من متعلق معنى الحرف الى نفس الكلمة الدالة على المشبه به اعنى «فى» واستعيرت للمشبه .

هذا عند الجمهور والسكاكي، واما عند صاحب التلخيص فيقال: شبه جدوع النخل المستعلى عليها بما يستقر فيه، ثم سرى ذلك التشبيه الى تشبيه تلبس المستعلى بالجدوع بتلبس الظرف بالمظروف، فاستعيرت الكلمة الموضوعه للمشبه به وهى «فى» للمشبه^{٣٨٩}.

فالاستعارة فى الحرف تابعة للتشبيه عند صاحب التلخيص، واما عند غيره فهى تابعة لاستعارة اخرى اصلية كما فى الفعل والمشتقات .

تحقيق معنى الاستعارة التبعية

اعلم ان ما تقدم من تفسير الاستعارة التبعية وتخريجها هو ما ذكره القوم ههنا، ولي فى هذا المجال ملاحظات اقدمها كما يلى :

ان معانى الافعال والمشتقات والحروف ليست بسيطة بل تتشكل من اجزاء متعددة وعناصر مختلفة تنحل اليها عند التجزئة . فهذه العناصر فى الفعل النسبة والزمان والمعنى المصدرى، وفى المشتقات الذات والوصف . «قال الامام فى المحصول فى باب الاشتقاق : مدلول المشتق مركب، والمشتق منه مفرد»^{٣٩٠}. وفى الحروف المطلق مع القيد، كالاستعلاء على الجدوع مثلا .

فاذا جاءت الاستعارة فيها جرت غالبا فى بعض من تلك الاجزاء لا فى جميعها، او بعبارة اخرى جرت فى المعنى التضمنى لا المطابقى، فاطلاق الاستعارة على الفعل والمشتق والحرف الموضوعة لمجموعة تلك العناصر من باب التوسع، او بالتبع لاستعارة جزء من مدلولها .

فمثلا فى قوله تعالى : «واشتعل الرأس شيئا»^{٣٩١} يراد به ابيض الرأس ... ، فاستعملت كلمة «اشتعل» الدالة على الاشتعال والزمان الماضى والنسبة الى الفاعل فى معنى «ابيض» الموضوعة للحدث المخصوص وزمن المضى والنسبة الى الفاعل ايضا، واستعيرت تلك الكلمة لذلك المعنى . فترى ان فعل اشتعل لم يخرج تماما عما وضع له لان الزمان والنسبة لم يتغيرا فى الفعلين، فالزمان فيهما هو الماضى والفاعل هو الرأس .

٣٩٠- عروس الافراح ٤/١٠٩٠ .

٣٩١- مريم، ٢٠ .

وانما جاء التغيير والتحويل في المعنى المصدرى فقط، فإطلاق الاستعارة على «اشتعل» بناء على استعارة جزء منه وتسمية الشيء باسم جزئه . هذا في استعارة الفعل باعتبار المعنى المصدرى الذى هو جزء من معناه، أما الاستعارة فيه باعتبار الزمان فكقوله تعالى: «وثفخ فى الصور»^{٣٩٢} فان المراد به ينفخ فى الصور، لكن عبر عن المضارع بما يدل على المضى تحقيقا لوقوع الفعل. فانت ترى أن فعل «نفخ» استعمل موضع «ينفخ» واستعير لمعنى المضارع ولم يتغير فى هذا الاستعمال والاستعارة غير الزمان، لان المعنى لمصدرى فى كلا الفعلين هو «النفخ» والسند اليه فيهما هو «الصور» بلاتفاوت، فجاءت هذه الاستعارة فى الفعل ايضا باعتبار جزء من أجزائه وبالتبع لذلك الجزء .

وأما الاستعارة باعتبار النسبة التى هى جزء مفهوم الفعل فمنعها السيد فى حواشى المطول، واستدل بأن تلك النسبة مطلقة غير مقيدة بشيء فلا يوجد خصوصية حتى يعتبر التشبيه بملاحظتها . فعنده أن النسبة فى جميع مصاديق الفعل واحدة لا تتغير ولا تتفاوت فلا يجرى فيها التشبيه، لانه لا يقع بين شيئين متحدتين^{٣٩٣}.

وقيل بجريان الاستعارة فى النسبة وبمنع عدم شهرتها بما يخصها او يجعلها صالحة لطرفى التشبيه، لأن النسبة الى الفاعل الحقيقى المباشر للفعل والقائم به الحدث غير النسبة الى الفاعل المجازى^{٣٩٤}. فنسبة الفعل مثلا فى قوله تعالى: «ياها مان ابن لى صرّ حا»^{٣٩٥} الى ها مان المُدبر للأمر والمُحرّض

٣٩٢ - مريم، ١٠٠ .

٣٩٣ - المطول، ٣٧٥ .

٣٩٤ - راجع الدسوقى ١١٦/٤ .

٣٩٥ - المؤمن، ٣٦٠ .

على العمل، غير نسبه الى من يباشر نفس العمل ويقوم به .
واعترض عبد الحكيم عليه وقال : وما قيل انه يمكن ان يعتبر النسبة
الى المحرّض كالنسبة الى الفاعل فيقال «ضرب زيد» لكونه محرّضا عليه،
وكذا نسبة الفعل الى الآلة والظرف، فليس بشيء . لأنه إن اعتبر تشبيه
المحرّض بالفاعل فهو استعارة بالكناية فلامجاز في النسبة، وان لم يُعتبر
فهو مجاز عقلي نسب الفعل الى غير ما هو له لملاسة بينهما من غير
قصد المبالغة في النسبة فلا استعارة^{٣٩٦} .

أقول وما ذكره عبد الحكيم قابل للمناقشة من وجهين : الاول - أن
اعتبار المكنية في المحرّض لا ينافي ان نسبة الضرب اليه لم تقع موقعها، و
ان «ضرب» جرت فيه الاستعارة بملاحظة تلك النسبة، ألا ترى ان الفعل
هنا قرينة المكنية وهي دائما استعارة تحقيقة او تخيلية .

الثاني - أن انتفاء الاستعارة في النسبة اذا اعتبرت مجازا عقليا ممنوع،
اذ لا تضاد بينهما حتى يمكننا القول بارجاع المجازات العقلية الى الاستعارة
التبعية في النسبة .

والحق أن النسبة في جميع الافعال ليست سواء بحيث لا ترى فيها من
تفاوت يبرّر جريان التشبيه والاستعارة فيها، لأن الفعل - اضافة على ان
نسبه الى الفاعل الحقيقي غير نسبه الى الفاعل المجازي - قد يوضع
للنسبة الانشائية بقوله تعالى : «فاستقيم كما أمرت»^{٣٩٧} فهي مشتهرة
بصفات تصلح لان تشبه بها كالوجوب والإرشاد وغيرهما . وقد يوضع
للنسبة الاخبارية وهي مشتهرة بالمطابقة واللامطابقة وغيرهما، فيستعار
الفعل من أحدهما للأخرى كاستعارة «رحمه الله» للفظ «ارحمه»، و

٣٩٦ - السياكوتي، ٤٩٩ .

٣٩٧ - هود، ١١٣ .

استعارة «ليتبوا» في قوله (ص) «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» للنسبة الاستقبالية الخبرية، لان الحديث على معنى يتبوا مَقْعَدَهُ... ٣٩٨.

فالاستعارة التبعية تجرى في النسبة والزمان من أجزاء مدلول الفعل كما تجرى في المصدر. ذكر العلامة المحقق عضد الملة والدين في الفوائد الغياثية: ان الفعل يدل على النسبة ويستدعي حدثا و زمانا في الاكثر والاستعارة متصورة في كل واحد من الثلاثة.

ففي النسبة: كهزم الامير الجند.

وفي الزمان: كـ «وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ»^{٣٩٩} وفي

الحدث: مثل «فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ يَلِيمٍ»^{٤٠٠}.

بقيت ههنا نكتة وهي ان الاستعارة التبعية وان كان يمكن اجرائها في الزمان والنسبة من مدلول الفعل الا انهم لم يصرحوا بها في غير المصدر كما ادعى عبد الحكيم^{٤٠١}، او لم تشتهر اشتهاها في المصدر.

ولا فرق بين الفعل والمشتقات في أن الاستعارة فيها ايضا تقع غالباً باعتبار جزء من مدلولها، فمثلا قوله تعالى: «مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا»^{٤٠٢} شبه الموت بالرقاد بجامع السكون والإيقاع عن الحركة والعمل ثم استعير

٣٩٨- عصام الدين، ويمكن حمل أمثال «رحمه الله» على الاستعارة

التبعية في المصدر بتأويل، او المجاز المرسل بعلاقة التضاد الشبيه بالمجاورة، راجع المواهب والدسوقى ١/٤٨٤-٤٨٥.

٣٩٩- الاعراف، ٤٤.

٤٠٠- عصام الدين.

٤٠١- السيلكوتى، ١٨٧.

٤٠٢- يس، ٥٥.

اسم المشبه به للمشبه، فسرى ذلك التشبيه والاستعارة من المصدر الى اسم المكان، وان شئت فقل : ثم اشتق من المصدر المستعار كلمة «مرقد» ، فترى ان الاستعارة فيها جرت تبعا لمفهومها التضمني وهو الصفة المجرد من الذات .

وقد يكون التشبيه والاستعارة في المشتقات بحسب الزمان الخارج من مدلولها، وذلك كإطلاق «الضارب» على من وقع منه الضرب في الماضي لا بعلاقة ما كان عليه فان ذلك مجاز مرسل، بل باعتبار تشبيه حالته بعد الضرب بحالته ضاربا^{٤٠٣}.

اما اذا وقعت الاستعارة في المشتقات باعتبار مفهومها المطابقى اعنى الصفة والذات معا - فهي اصلية لا تبعية . وذلك كان نقول حينما ترى طفلا يقرأ القرآن ويحسن الترتيل : «عندنا مغرّد» تريد شخصا قراءته كالتغريد ونفسه في الصغر والخفة كالطير . فاعتبر التشبيه بين الطفل والطير كما اعتبر بين حسن القراءة والتغريد، فجاءت الاستعارة المبنيّة على هذا التشبيه في كل مفهوم المغرّد ولهذا نسميها اصلية لا تبعية .

ويجرب مجرى الفعل والمشتقات في اعتبار الاستعارة بحسب أجزاء المعنى الحروف، فان الموضوع له فيها عند أهل التحقيق عبارة عن المعانى الجزئية . فمثلا ان المعنى الذى وضع له حرف «فى» هو الظرفية الجزئية كظرفية الكوز او الجذوع او غير ذلك، وان المعنى الحقيقى لكلمة «على» الاستعلاات الجزئية مثل الاستعلاء على السطح او على الجذوع وأغصان الأشجار او غيرها . فعلى هذا ان معانى الحروف مركبة من جزئين مطلق مع قيده، والذى يتغير او يقبل التحول هو الجزء الأول اعنى المطلق بدون القيد .

ففى قوله تعالى : «لأصلبَنَّكم فى جذوع النخل» شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة بجامع الاستقرار والتمكن فيهما ثم استعير المشبه به للمشبه، فسرى ذلك التشبيه الى استعلاء الجذوع وظرفيتها فاستعير اللفظ الدال على الظرفية الخاصة اعنى «فى» للاستعلاء الخاص .
فالاستعارة ههنا فى الحقيقة جرت فى جزء من معنى «فى» وهو الظرفية لأن الجزء الآخر وهو الجذوع فى المشبه والمشبه به واحد لم يتغير، فجاءت الاستعارة فى الحرف تبعا لجزء معناه وهو المقيد او المطلق .

رأى السكاكى فى الاستعارة التبعية

يرى السكاكى أن الأولى والأقرب الى الضبط إرجاع الاستعارة التبعية الى المكنية، وذلك بان يجعل ما يسميه القوم قرينة التبعية كالفاعل أعنى «الضمائر والقلوب» فى قول المتنبي يصف الكلام :
إذا ما صافحَ الأسماعَ يوماً (تبسَّمتِ الضمائرُ والقلوبُ)
والمفعول اعنى «لهذميَّات» فى قول القظامى :
(نقريهم لهذميَّاتٍ) نقدش بها ما كان خاطَ عليهم كلُّ زرارٍ
استعارة بالكنية ويعامل معها نفس المعاملة فى : «وإذا المنية أنشبتْ أظفارها» فعلى هذا تكون نسبة التبسم الى الضمائر والقري الى اللهذميَّات قرينة الاستعارة المكنية^{٤٠٤}.

واعترض عليه صاحب التلخيص بأن الفعل والمشتقات والحروف فى هذه الصورة اما مستعملة فى معانيها الأصلية أو لا، فعلى الاول يلزمه القول بانفكاك المكنية من التخيلة على عكس ما رآه من الاستلزام بينهما، اذ

التخييلية عنده مجاز وقسم من أقسام الاستعارة المصراحة فلا معنى لها عند استعمال الكلمات في معانيها الاصلية .
وعلى الثاني يلزمه الكرش على ما فر منه، فلم يكن مذهب اليه مُعنيا عما ذكره غيره^{٤٥}.

لقد عرفت من تحقيقنا انه لا استلزام بين المكنية والتخييلية عند السكاكي، وان قرينة المكنية عنده يمكن ان تكون امرا مقدرا وهيميا كالانياب في قولك أنياب النية...، وكنطقت في نطقت الحال بكذا، او امرا محققا كالانبات في قولك: أنبت الربيع البقل^{٤٦}. لكن لامحيص من الاشكال عليه اللهم الا ان يقال انه لا يجعل قرينة المكنية استعارة حتى يلزمه القول باستعمال الفعل والمشتقات والحرف في غير معناها .

التبعية في المكنية والتمثيلية

اعلم أن ظاهر كلام القوم يشعر بأن تقسيم الاستعارة الى الاصلية والتبعية يرجع الى المصراحة في المفرد، بمعنى انه لا يجري هذا التقسيم في غيرها . لكن يمكن أن يُعتبر ايضا في المكنية والمركبة، فيُمثل للتبعية في المكنية بقولنا : «أراق الضارب دم فلان» ففيه شبه الضرب بالقتل واستعير القتل في النفس للضرب ثم اشتق من الضرب الذي استعير له القتل صفة الضارب بمعنى القاتل، فطوى ذكر المشبه به وهو القتل و رمز اليه بذكر شيء من لوازمه وهو الإراقة على سبيل الاستعارة المكنية^{٤٧}.

٤٥- راجع التلخيص مع شروحه ٢١٧/٤ .

٤٦- المفتاح، ١٨٩ .

٤٧- الدسوقي ١٠٨/٤ .

وفي المركبة او التمثيلية بقوله تعالى : « اولئك على هدى من ربهم »^{٤٠٨} قال صاحب الكشاف : « ومعنى الاستعلاء في قوله : « على هدى » مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتسكينهم به، شُبِّهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه »^{٤٠٩} فمعنى هذا الكلام كما قال التفتازاني ان الاستعارة هنا تمثيلية تبعية، اما التبعية فلجريانها اولا في متعلق معنى الحرف ثم في الحرف بتبعيتها، واما التمثيل فلكون كل من طرفي التشبيه حالة منتزعة من عدة امور^{٤١٠}.

لقد خطا عصام الدين في هذا المجال خطوة اخرى وادعى ان التمثيل على سبيل الاستعارة كله استعارة تبعية فقال : ولا يذهب عليك انه لا يمكن الحكم على مفهوم الجملة كما لا يصح على مفهوم الفعل والحرف، فلا يصح فيه التشبيه الذي هو مبنى الاستعارة بل لا بد من التشبيه فيما يسرى التشبيه منه الى التشبيه في مفهوم ذلك المركب، كما يعتبر التشبيه في مضمون^{٤١١} الجملة او في الهيئة المنتزعة منها، فيكون الاستعارة فيها ايضا تبعية، وقد خلى عن الإيماء اليه كلام القوم^{٤١٢}.

نوع آخر من الاستعارة التبعية

ذكر صاحب عروس الافراح ان الضمائر واسماء الاشارة لها حكم ما

٤٠٨- البقرة، ٥.

٤٠٩- الكشاف ١/٢٤٠.

٤١٠- راجع الدسوقي ٤/١٤٧.

٤١١- والفرق بين المضمون والمفهوم في الجملة، ان المضمون هو

يكنى بها من المرجع والمشار اليه، فاذا جاءت الاستعارة فيهما جرت فى الضمير واسم الاشارة ايضا بالتبع . فمثلا اذا قلت فى وصف كتبك : لنا جلساءٌ لانملّ حديثهم، او لنا جلساء لانملّ حديث هؤلاء كان ضمير «هم» واسم اشارة «هؤلاء» استعارة تبعا لاستعارة المرجع او المشار اليه وهو «جلساء» . ولا يخفى ان التبعية على ما ذكره غير ما مر من تبعية الاستعارة فى كلّ الكلمة لبعض أجزاء مدلوله . ويمكن إجراء الاستعارة بهذا المعنى ايضا فى اسم الاشارة، كما اذا استعملت ما هو موضوع للاشارة الى البعيد فى الاشارة الى القريب . لان التحقيق فى وضع اسماء الاشارة انها موضوعة للاشارات الجزئية اى للمطلق مع المقيد، فى قوله تعالى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه»^{٤١٣} لما استعمل ما وضع للاشارة الى الكتاب البعيد فى الاشارة الى الكتاب القريب لم يتغير غير المقيد لان المشار اليه فى كلتا صورتين هو الكتاب لا غير .

ثم اضاف صاحب العروس بعد قوله بالتبعية فى الضمائر واسماء الاشارة بذلك المعنى : «او يقال انها لا يتجاوز بها فان وضعها ان تعود على ما يراد بها من حقيقة ومجاز، فاذا قلت : رأيت اسدا يرمى فآكرمته، فضمير المفعول حقيقة لعوده على مفسره ، و ذلك وضعه . واذا قلت : يا ايها الاسد الرامى بالنبل، مشيرا الى الانسان فالضمير فى قولك الرامى حقيقة»^{٤١٤}.

→

المصدر المضاف الى الفاعل والمفعول او غيرهما، والمفهوم هو النسبة التامة.
«رسول» .

٤١٢ - عصام الدين، الفريدة السادسة من العقد الاول .

٤١٣ - البقره، ٢ .

٤١٤ - عروس الافراح ١١١/٤ .

بلاغة الاستعارة

الاستعارة اتساع في الكلام جاء بالاختيار والاقتدار زيادةً في إفادة المعنى، فليست عملاً اقتضته الضرورة فيقع كيفما اتفق، فهذا لا يعدل إلى الاستعارة إلا إذا اشتملت على نكت وبلاغة توجب حسن بيانٍ وفضلَ مزيةٍ وقلّةً مؤونة. فانخلت من هذه الاغراض عدت مسيئةً وكانت الحقيقة أولى منها. والاستعارة افضل المجاز و أول ابواب البديع، و ليس من حلى الشعر أعجبَ منها، و اذا وقعت موقعها و نزلت موضعها تعدت من محاسن الكلام^{٤١٥}.

وأغراض الاستعارة كثيرة فنشير إلى طائفة منها مشهورة :

١- شرح المعنى وفضل الإبانة، وانك ترى بها المعاني الخفية جلية، كقوله تعالى: «وانه في أم الكتاب لدينا»^{٤١٦} وحقيقته أصل الكتاب، فاستعير كلمة الأم للأصل لأنها أجمع وأظهر فيما يرد إليه مما ينشأ عنه^{٤١٧}. وقوله ايضاً: «حتّى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»^{٤١٨} والمراد حتى يتبين بياض الصبح من سواد الليل فعبر عنهما بالخيط الأبيض والاسود^{٤١٩}، ولا يخفى ما في هذه الاستعارة من الايضاح وحسن البيان، و ذلك انه يجب ان يكتفى في تبين بياض الصبح من سواد

٤١٥- العمده ١/٢٦٨.

٤١٦- الزخرف، ٤.

٤١٧- النكت، ٨١.

٤١٨- البقره، ١٧٨.

٤١٩- تلخيص البيان، ١٣.

الليل باقلّ ما يعرف به ذلك وانه اشتهر الخيط بين الناس بالدقة والرقّة، فكان أحسن كلمة تُعبر عن المراد ههنا . وجدير بالذكر ان الزمخشري يرى ان عبارة «من الفجر» أخرج الآية من باب الاستعارة^{٤٢٠}.

وقال النبي (ص) لما دخل على عليّ و فاطمة (ع) و رآهما في البيت فردّ الباب : جدّ ع الحلالُ أنف الغيرة^{٤٢١}.

٢- افادة المعنى الكثير بالقليل من اللفظ، كقوله تعالى : «مَنْ قَتَلَ نفساً بغير نفس او فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناسَ جميعاً، ومَنْ أَحْيَاهَا فكأنما أَحْيَا الناسَ جميعاً»^{٤٢٢}.

قال الشريف الرضى : و «أحيا» ههنا استعارة لان احياء النفس بعد موتها لا يفعله الا الله تعالى، وانما المراد من استبقاها وقد استحقت القتل او استنقذها وقد اشرفت على الموت^{٤٢٣} فاستعمل «احياها» مكان احدى الجملتين، وافاد مع قلة حروفه معناهما الكثير .

وكقوله ايضا : «فانها لا تعنى الأبصارُ ولكن تعنى القلوبُ التى فى الصدور»^{٤٢٤} وحقيقته ولكن تذهل القلوب عن التفكير فى الأدلة التى تؤدّى الى العلم مع سلامة الجسم وصحة الرؤية و زوال الموانع الظاهرة ، والاستعارة ههنا أبلغ لإفادتها ذلك المعنى بالقليل من اللفظ، وفيها ايضا اشارة الى ان القلوب بمنزلة العيون لان بالقلب يوصل الى المعلومات كما أن بالعين يوصل الى المرئيات^{٤٢٥}.

٤٢٠- الكشف ١/١١٦ .

٤٢١- الصناعتين، ٢٧٧ .

٤٢٢- المائة، ٤١ .

٤٢٣- تلخيص البيان، ٣٠ .

٤٢٤- الحج، ٤٧ .

٤٢٥- تلخيص البيان، ١٥٠ .

وخير مورد لا فائدة المعنى الكثير بالقليل من اللفظ في الاستعارة الامثال، فانك ترى فيها أو جزاً عبارة يؤدي مقاصد كثيرة ومعاني وفيرة، بحيث لو لم يكن هناك المثل لاستغرقت تلك المقاصد جملا وعبارات طويلة .

والاستعارة تقيد المعنى الكثير بالقليل من اللفظ من وجه آخر، وهو أن كل استعارة ترجع عند التحليل الى التشبيه الكامل الأركان وتفيد معناه، غير انها أوجز وأخصر للاكتفاء فيها بذكر احد طرفي التشبيه فقط .

٣- التصوير والتجسيم، وذلك لانها تبرز المعقولات في صورة المحسوسات فتجعلها ملموسا ومُشاهداً كما تجعل الاوصاف الجثمانية روحانية وتلونها بلون المعقولات والمعنويات . كقوله تعالى : «فنبذوه وراء ظهورهم»^{٤٢٦} يبين حال الذين غفلوا عن ذكر الكتاب المنزل عليهم وتشاغلوا عن فهمه، في صورة من أخذ شيئاً وألقاه خلف ظهره بحيث لا يراه فيذكره ولا يلتفت اليه فينظره^{٤٢٧}.

وكقوله تعالى ايضا : «ولا تجسسوا ولا يغتبوا بعضكم بعضاً، أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه»^{٤٢٨} اذا اعتبر استعارة^{٤٢٩}، لا كناية، او تشبيهاً ضمناً .

٤- التشخيص، وذلك باعطاء الحركة والنطق والحياة للجناد ولما لا يكون أهلاً لتلك المعطيات . كقوله تعالى : «يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد»^{٤٣٠} وقوله «ثم استوى الى السماء وهى

٤٢٦- آل عمران، ١٨٧ .

٤٢٧- تلخيص البيان، ٢٣ .

٤٢٨- الحجرات، ١٢ .

٤٢٩- تلخيص البيان، ٢٢٧ .

٤٣٠- ق، ٣ .

دخان" فقال لها وللأرض اثنتا طائعين»^{٤٣١} والاستعارة في هذه الآيات ترجع الى المكنية^{٤٣٢}.

لقد سمى البلاغيون الاستعارة المكنية «التشخيص» حيث تمثل فيه المعانى والجمادات الى أشخاص تكتسب صفات الكائنات الحية أيّاً كانت، وتقوم مقامها فى صدور أفعالها . وهم يعدون هذا النوع من الاستعارة من أجمل الصور البيانية لما فيه من التشخيص والتجسيد وبث الحياة والحركة فى الجمادات وتصوير المعنويات فى صورة حية مملوسة^{٤٣٣}. و كفاك شاهدا على منزلة المكنية وحظّها الوفير من البلاغة قول الشيخ حيث يقول: «الاستعارة بالكناية أقوى من التصريحية فى اقتضاءها من الفصاحة والمحاسن التى تظهر به والصور التى تحدث للمعاني بسببه آتق واعجب»^{٤٣٤}. هـ المبالغة والتأكيد، وذلك كقوله تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ»^{٤٣٥} والمراد لما علا الماء قاهراً، فاستعمل «طغى» مكان «علا» للمبالغة فى عظم الحال^{٤٣٦}.

وكقوله ايضا: «فاصدَع° بما تؤمر»^{٤٣٧} وحقيقته فاعمل بما تؤمر، لكن الاستعارة ابلغ لما فى الصدع الذى يكون فى الزجاج ونحوه من افادة معنى المبالغة فيما امر به، حتى يؤثر فى النفوس من تأثير الصدع فى الزجاج

٤٣١- السجدة، ١١ .

٤٣٢- راجع نقد النشر، ٦٥-٦٦ .

٤٣٣- علم المعانى، ١٧٠ .

٤٣٤- دلائل الاعجاز، ٣٥٥ .

٤٣٥- الحاقة، ١١ .

٤٣٦- النكت، ٨٧ .

٤٣٧- الحجر، ٩٤ .

وامثاله^{٤٣٨}.

وقال امرؤ القيس :

وقد أعتدى والطيْرُ في وُكُناتها
بمُنْجَرِدِ قَيْدِ الأُوَابِدِ هَيْكَلِ
وحقيقته مانع الأوابد من الذهب والإفلات، والاستعارة أبلغ لان
القيد اعلى مراتب المنع عن الانطلاق والتخلص وأعرفها عند الناس، وانك
تشاهده على تلك الصفة والحالة فلا تشك فيه^{٤٣٩}. والاستعارة تقيد المبالغة
والتاكيد من وجه آخر، وذلك بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به
وتناسي التشبيه بينهما، حتى كان المشبه صار فردا من افراد المشبه به .

٦- تحسين المعرض الذي يبرز المعنى والمطلب فيه، وذلك كقول
النبي (ص) لحادي مطيه : «يا أبخشة، رفقاً بالقوارير» فانت ترى هذه
العبارة الموجزة كيف يتجلى فيها ضعف المرأة وعدم صلاحيتها بدون ان
يجرح عزتها وينال كرامتها، وذلك بسبب شرف اللفظ وعفته^{٤٤٠}.

٧- ابراز البيان ابدأ في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له
بعد الفضل فضلا، فإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت في الاستعارة فوائد،
حتى تراها مكررة في مواضع ولكن لها في كل من تلك المواضع شأن
مفرد ومزية خاصة^{٤٤١}. وذلك كقول ابي الفضل ابن العميد :

قَامَتْ تَظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبِ شَمْسٍ تَظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ
فهذه الاغراض والفوائد يمكن اجتماعها كما يمكن افتراقها، ولكن

٤٣٨- بيان اعجاز القرآن، ٤٤ .

٤٣٩- الصناعتين، ٢٧١ .

٤٤٠- علم البيان، ١٩٧ .

٤٤١- اسرار البلاغة، ٣٩، ليراجع في الاغراض المذكورة «كتاب

الصناعتين» ٢٦٨ .

منها ما لا يجوز خلو الاستعارة ابداً منه ولا يصح الافتراق فيه، كالمبالغة والايجاز المعبرين بالنسبة الى التشبيه وشرح المعنى، ولما كانت هذه الأغراض الثلاثة الآتية الصق بالاستعارة وجوداً وعندما اقتصر بعضهم عليها. قال ابن ابي الاصبع: «ان مطلوبات الاستعارة واغراضها ثلاثة: المبالغة في التشبيه، والظهور، والايجاز»^{٤٤٢}.

الاستعارة في ميزان النقد

لما كانت الاستعارة مبنية على التشبيه كان حسنهما وإصابتها في المرحلة الاولى برعاية جهات حسن التشبيه، مثل اشتراك الطرفين في وجه الشبه ووفاء التشبيه بالأغراض المسوق لها وعدم ابتذال وجه الشبه. فكلما كان الشبه بين الطرفين قويا والتناسب بينهما جلياً، كانت الاستعارة أولى بالقبول وأوقع في النفس. ولهذا قال القاضي الجرجاني (- ٣٦٦ هـ): «وملاكتها تقرب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة» ولا يتبين في احدهما اغراض «عن الآخر»^{٤٤٣} فاذا استوفت الاستعارة هذه الشروط وصفتها بمثل «قريبة مختارة وحسنة مصيبة»، وان خلت منها عبروا عنها بمثل «بعيدة مطروحة وردئية قبيجة»^{٤٤٤}.

فمن الاستعارة المحمودة قول أرتاة بن سهيبة:

٤٤٢- بديع القرآن، ٢٠.

٤٤٣- الوساطة بين المتنبي وخصومه، ٤١.

٤٤٤- سر الفصاحة، ١٤٠، الصناعتين ٣٠٠-٣٠٢، العمدة ١/٢٧٠،

٢٧٢، ٢٧٤، الوساطة، ٣٩.

فقلت لها يا أمَّ بيضاء: إنَّني هُرِّيقُ شَبَابِي واستَشَنُّ أديمي
فالمراد ذهب شبابي، ولكن استعمل مكانه «هُرِّيقُ شَبَابِي» لما
في الشباب من الرُّوق والطراوة المقربة له من الماء، واستعمل أيضا
«استَشَنُّ أديمي» مكان ييس أديمي، لأن الشن هو القربة اليابسة، فكان
أديمته صار شَنًّا لما هريق ماء شبابه، فصحت له هاتان الاستعارتان من كل
وجه ٤٤٥.

ومنها قولُ أبي نصر بن نباته:

حتَّى إذا بهَرَ الأباطحُ والشربا نَظَرْتُ اليكَ بأعينِ النُّوَّارِ
فنظرتُ أعينِ النُّوَّارِ من أشبه الاستعارات وأليقها، لأن النوار يشبه
العيون، وإذا كان مقابلا لمن يجتاز فيه ويمرُّ به كان كأنه ينظر إليه. أما إذا
تأملت في استعارة «عين الدين» و«عين الشرك» في قول أبي التمام:
قرَّرتُ «بقرَّان» عينَ الدين وانتشرتُ

بالأشترين «عينَ الشرك» فاصطكما

فرأيتها من اقبح الاستعارات، لأنك لا تجد وجهاً للشاعر في جعله
لدين والشرك عيوناً. ومن نظر في هذين البيتين يفهم معنى الاستعارة،
لأن النُّوَّارَ والشركَ لعيون لهما على الحقيقة، غير أن الاستعارة حسنت
في أحدهما وقبحت في الآخر، وذلك لأن النوار يشبه العيون، والدين
والشرك ليس فيهما ما يشبهها ولا ما يقاربها ٤٤٦.

ومن الاستعارة المذمومة قول أبي نواس

بُحَّ صوتُ المالِ ممَّا مِنْكَ يشكو ويصيحُ
قال القيرواني: «فأيُّ شيء أبعد استعارة من صوت المال؟ فكيف

حتى بُحَّ من الشكوى والسيح مع ما انَّ له صوتا حين يوزن او يوضع؟ ولم يردده ابونواس فيما اقدّر، لان معناه لا يتركب على لفظه الابعيدا»^{٤٤٧}. ومنها ايضا قول خويلد الهذلي او غيره :

تُخاصم قوما لا تلقى جوابهم وقد اخذت من أنف احيتك اليد
اي تقبض على مقدّم لحيتك كما يفعل النادم او المهموم، وأنف كل
شياء : مقدّمه، وانوف القوم : سادتهم . والأنف في هذا البيت قبيح لم
يقع موقعه^{٤٤٨}، لانه لا وجه لان يجعل الانف لعضو آخر من الانسان او لما
يتعلق به كما للحية مثلا . وكفاك شاهدا هذه النماذج من الامثلة للاستعارة
الحمودة والمذمومة .

واما حسن الاستعارة في المرحلة الثانية، فهو انه يجب ان لا يُلْمَ لفظ
ما اشتمل على الاستعارة بشيء من التشبيه ولا يُشَمَّ منه رائحة التشبيه،
لان الالمام والإشمام يبطلان الغرض من الاستعارة «أعنى دخول المشبه في
جنس المشبه به والحاقه به، لما في التشبيه من الدلالة على كون المشبه به
أقوى في وجه الشبه»^{٤٤٩} ولهذا لم يجعل الزمخشري قوله تعالى: «حتّى
يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»^{٤٥٠} من باب
الاستعارة، لان عبارة «من الفجر تنبىء عن التشبيه»^{٤٥١}.

ويمكن أن يخطر على البال ههنا أن الاستعارة «المجردة» لا تدخل
في الحمودة منها، لضعف الادعاء فيها وانتفاء التاكيد على الاتحاد بين المشبه

٤٤٧- العمدة، ١/ ٢٧٠ .

٤٤٨- الصناعتين، ٣٠١ .

٤٤٩- المطول، ٣٢٥ .

٤٥٠- البقرة، ١٨٧ .

٤٥١- الكشاف ١/ ١١٦ .

والمشبه به، نعم، ان الادعاء او التاكيد على الاتحاد ضعيف في «المحرّدة» بالنسبة الى «المرشحة» التي هي من أحسن انواع الاستعارة، وأما ضعفه مطلقا فممنوع^{٤٥٢}.

فان قلت : اذا كان من حسن الاستعارة رعاية جهات حسن التشبيه التي من جملتها ان يكون وجه الشبه بعيدا غير مبتذل، فقربه وجلأؤه ينافي ذلك . قلنا : الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف، فيجب ان يكون من الجلاء بحيث لا يصير الغازا ومن الغرابة والخفاء بحيث لا يصير مبتذلا^{٤٥٣}. اعلم انه اذا خفي وجه الشبه بين الطرفين لم تحسن الاستعارة فيهما و يتعين التشبيه، و ذلك كقول النبي (ص) «الناسُ كِابِلٌ مائةٍ لا تجِدُ فيها راحِلَةً» فلا يحسن فيه التحويل الى الاستعارة وأنّ نقول : رايتُ اِبلا مائةً ... ، لخفاء وجه الشبه فان المعروف من الابل غاية الصبر او قلة الفهم مع عظم الجثة، لاعزة الكمال مع كثرة افراد الجنس .

وكقوله ايضا : «مثل المؤمن كمثل النخلة» او «كمثل الخامة»^{٤٥٤} فلو قلت فيه رأيت نخلة او خامة، كنت كالمُلغز التارك لما يُفهم .
واذا قوى وجه الشبه بين الطرفين حتى اتحدا كالعلم والنور والشبهة والظلمة، لم يحسن التشبيه و تعينت الاستعارة^{٤٥٥} .

ومن حسن الاستعارة ايضا عند بعضهم ان تكون مستقلة غير مبنية على استعارة اخرى أو على مقدمة او عبارة سائرة عند الناس، فهذا عاب الخفاجي قول امرىء القيس :

٤٥٢- المطول، ٣٢٥ .

٤٥٣- المختصر، ٢٢٨/٤ .

٤٥٤- الفضة من النبات .

٤٥٥- ليراجع التلخيص مع شروحه ٢٢٨/٤-٢٢٩ ونهاية الأرب ٥٢/٧ .

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناءً بيكلكل
 و وضعه في حدّ الوسط وعلل بان هذه الاستعارة مبنية على أخرى ،
 بمعنى انه لما جعل الليل وسطاً وعجزاً استعار له اسم الصلب وجعله متمطياً
 من اجل امتداده، وذكر الكلكل من اجل نهوضه، فكل هذا انما يحسن
 بعضه لاجل بعض^{٤٥٦}.

والمنزلة التي تبلغ الاستعارة عندها غاية الشرف والحسن عند الشيخ
 هي أن يكون مأخذ الاستعارة الصورة العقلية الاعتبارية، وذلك كالاستعارة
 النور للبيان والحجة الكاشفة عن الحق ... في مثل قوله تعالى : «واتبعوا
 النور الذي أنزل معه»^{٤٥٧} فالاشتراك بين النور والحجة لا يرجع الى
 عموم الجنس، مثل ما بين طيران الطائر وجرى الفرس في قوله (ص) :
 «كلما سمع هَيْعَةً طارَ إليها» ولا يرجع ايضاً الى الاشتراك في طبيعة
 معلومة تكون في الحيوان، مثل ما بين الاسد والرجل الشجاع، بل الشبه
 صورة عقلية تحصل عليها من ان القلب اذا وردت عليه الحجة صار في حالة
 شبيهة بحال البصر اذا صادف النور ووجهتْ طلائعُه نحوه^{٤٥٨}.

الفصل الرابع

في الكناية والتعريض

إن طبيعة البيان والتعبير هي الكشف عما يخطر بالبال ويتركز في
 الذهن ويستمد من الإحساس والعاطفة، والإبانة عما يعترى الإنسان

٤٥٦- سر الفصاحة، ١٣٩-١٤٠.

٤٥٧- الاعراف، ١٥٧.

٤٥٨- أسرار البلاغة ٧٣-٧٤.

من الحاجات النفسية والعقلية، والنقل^{٤٥٩} لما يُجرّ به الشخص او يتلقاه فى حياته اليومية . وليس معنى هذا ان اللون الوحيد للتعبير دائماً هو التصريح بالمراد و ابرازه فى المعرض المكشوف، وصوغه فى قالب هو أقرب نسباً له وأمسّ رحماً . فإنّ هناك «ما ينبغى ستره او ما يُحمَد أن يُصانَ عنه السمعُ واللسانُ» ، او ما يحسن الابهام فى التعبير عنه»^{٤٥٩} او ان الإبهام يزيد فى قدره وشرفه بحيث ترى التسترَ والإبهام هالةً من القداسة تعطى المراد أبعاداً مختلفة وتبرزه فى صورة رائعة فتقع فى النفس موقع الحسن والقبول، وذلك لانه «كان من المركوز فى الطباع والراسخ فى غرائز العقول انه متى اريد الدلالة على معنى فتترك ان يصرّح به ويذكر باللفظ هو له فى اللغة، وعمد الى معنى آخر فاشير به اليه وجعل دليلاً عليه، كان للكلام بذلك حسن» ومزية لا يكونان اذا لم يصنع ذلك وذكّر بلفظه صريحاً»^{٤٦٠}.

فهذه الموارد تستدعى لونا آخر من التعبير غير التصريح، حتى يتأتى للانسان اذا استخدمه ان يمرّ باللغو مرّاً كراماً، ويجدّ فى المعارض لمندوحة عن الكذب ويرمى الغرض بلا رمية، ويرى الأزهارَ من غير أن يذبلها بالمس واللمس، ولا شك فى أن الكناية والتعريض يُعدّان من صميم هذا اللون، فيحملان كثيراً من النكت واللطائف اللائقة بهذه المجالات، وينتجان ما لم ينتج فى التصريح بالمراد .

٤٥٩- الاصول الفنية للدب، ١٨٢ .

٤٦٠- دلائل الاعجاز، ٣٤١ .

آفاق الكناية

الكناية في اللغة :

هي ان تتكلم بشيء وتريد غيره، ويقال كنيت عن الأمر وكنوت عنه، اذا كوريت عنه غيره . قال ابو عبيده : «كنيت» و «كنوت» لغتان فيها، انشد ابو زياد الكلابي :

واتى لأكنو عن «قدور»^{٤٦١} بغيرها

وأعرب أحياناً بها، فأصارعُ

وانشد الآخر^{٤٦٢} :

وقد أرسلت في السرّ أن قد فضحتني،

وقد بحت باسمي في النسيب وماتكني^{٤٦٣}

الكناية في الاصطلاح :

لقد عبرت الكناية في الاصطلاح كغيرها بالأجواء المختلفة، وجاز بالسهول والأودية المتنوعة، فنقلت حمولتها حيناً وحيناً خفت، وضافت دائرة ما عني بها مرّة واخرى اتسعت، وتري انها في بعض هذه الأطوار تتناول أقساماً تحتاج الى نوع من التكهن عند ارجاعها الى اصل واحد .

٤٦١- «قدور» اسم امرأة .

٤٦٢- والبيت لعمر بن ابي ربيعة، و رواية الديوان : «ولم تكن»، ص

٤٦٣- لسان العرب، مادة «كنى» .

واليك بعضا من هذه الاطوار :

الف - استعمال الفراء (ف ٢٠٧ هـ) في مواضع من كتابه - معانى القرآن - لغة الكناية ويعنى منها ترك التصريح بالمعنى، إما لانه شىء كان الاولى التعبير عنه بما لا يكون صريحا، مثل قوله تعالى: «ولكن لا تواعدوهن سرًّا»^{٤٦٤} وقوله ايضا: «اوجاء احد منكم من الغائط»^{٤٦٥} فكلمة السر^١ والغائط كناية عما لا يكون ذكره صريحا مطبوعا .

او لأن فى ترك التصريح بالمراد غرضاً لايتأتى فى التصريح به، وذلك مثل التعبير بالضمير الغائب عن الأشياء، كقوله تعالى: «وان جنحوا للسلم فاجنح لها»^{٤٦٦}. قال الفراء: «ان شئت جعلت «لها» كناية عن السلم، لانها مؤنثة»^{٤٦٧}.

ب - جاءت كلمة الكناية فى «مجاز القرآن» لابي عبيدة معمر بن المثنى التميمى (ف ٢١٠ هـ) وأراد منها نفس ما اراده الفراء، فقال فى قوله تعالى: «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه»^{٤٦٨}: «فيه» كناية للشهر الحرام . وفى قوله: «اوجاء احد منكم ...»: كناية عن حاجة ذى البطن^{٤٦٩}.

ج - لقد اورد ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) الكناية فى مبحث المجاز واسلوب الكلام، وأراد منها ترك التصريح بالمراد لأغراض كقصص التعظيم ، او

٤٦٤ - البقرة، ٢٣٥ .

٤٦٥ - النساء، ٤٢ .

٤٦٦ - الانفال، ٦٢ .

٤٦٧ - معانى القرآن، ٢٤٣، ١٥٣، ٣١٦ .

٤٦٨ - البقرة، ٢١٧ .

٤٦٩ - مجاز القرآن، ٧٣، ١٢٨ .

الإيجاز، أو التعبير بما يكون أطف وأحسن . فعدّ من أنواع الكناية ما تُكنّى به عن اسم الرجل تعظيماً له في المخاطبة بالكنية، كابى طالب، و ابى ذرّ و ابى هريرة .

وما تترك التصريح فيه بالمراد زيادةً في الدلالة وقصدًا للإيجاز ، كقوله تعالى : «يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلاً»^{٤٧٠} فكان «فلان» كناية عن اشخاص لو ذُكرتْ أسماءُهم لطل الكلام ولم يدخل فيه من تأخّر بعد نزول القرآن من هذا الصنف .

وما تُعبّر به ويكون أحسن وأطف من الكشف والتصريح، كقوله تعالى : «إنّ هذا اخي له تسع وتسعون نعجةً ولى نعجةً واحدةً»^{٤٧١} فورى عن النساء بذكر النعاج . والكناية عند ابن قتيبة تتناول التعريض والتورية ايضاً^{٤٧٢} .

د - تعرّض المبرّد (٢٨٥ هـ) في كتابه «الكامل» للكناية وقسمها الى ضروب مختلفة و ذكر لها امثلة متعددة، فهو وان لم يفسر الكناية لكنه يظهر من تلك الامثلة والأقسام أنّ الكناية عنده عبارة عن ذكر الشئ بغير لفظه الصريح قصداً الى التعمية وإخفاء الشئ، او تحرزاً عن استعمال عبارةٍ وضعيةٍ، او ارادةً للتفخيم والتعظيم بترك التصريح باسم الشئ .

وأحسن انواع الكناية عنده الرغبة عن اللفظ الخسيس المُفحش الى ما يدل على معناه من غيره، قال الله - جلّ وعزّ - فى المسيح بن مريم و امه : «كانا يأكلان الطّعام»^{٤٧٣} .

٤٧٠- الفرقان، ٢٨ .

٤٧١- ص، ٢٣ .

٤٧٢- ليرجع تاويل مشكل القرآن، ١٩٩-٢١٢ .

٤٧٣- المائدة، ٧٨ . ليرجع الكامل، ٦٧٤/٢-٦٧٧ .

هـ - لقد ذكر ابن المعتز (٢٩٦ هـ) في جملة محاسن الكلام الكناية والتعريض ولم يفسرهما على عادته في الاكتفاء بالمثال، ولكن يظهر من كلامه والأمثلة التي أوردهما أنهما مترادفان وحاصلان بترك التصريح باللفظ الدال على المعنى المراد والأتیان بعبارة أخرى تؤدي المراد من بعيد أو قريب .

فمن الأمثلة التي ذكره في هذا المقام انه قال : « كان عروة بن الزبير اذا اسرع اليه انسان بسوء لم يجبه، ويقول: انى لأتركك رَفَعَا لِنَفْسِي عَنْكَ . فجرى بينه وبين علي بن عبد الله بن عباس كلام " فأسرع اليه عروة بسوءٍ ، فقال: انى اتركك لما تترك الناس له: فاشتد ذلك على عروة » ٤٧٤ .
و - وقال العسكري (٣٩٥ هـ) : « وهو أن يُكنى عن الشيء ويُعرّض به ولا يصرح، على حسب ما عملوا باللحن والتورية من الشيء » ٤٧٥ .
والظاهر من كلامه انه لا يفرّق بين الكناية والتعريض .

ز - لقد تصفحت كتاب تلخيص البيان للشريف الرضى (ف ٤٠٦ هـ) وتتبع لغة الكناية واستعمالها والمراد منها عنده، فوجدت ان الكلمة وردت في مواضع متعددة واريد بها الاستعارة، وبعبارة اخرى أن الكناية في هذا الكتاب جاءت مرادفة للاستعارة . فمثلا قال في تفسير قوله تعالى: «إن هذا اخي له تسع وتسعون نعجةً ولى نعجةً واحدةً» ... : « ان هذا الكلام داخل في حيز الاستعارة، لان النعاج ههنا كناية عن النساء » ٤٧٦ .

ح - وجعل صاحب سر الفصاحة (ف ٤٦٦ هـ) الكناية من باب الإرداف

٤٧٤ - البديع، ١١٥ .

٤٧٥ - الصناعتين، ٣٦٨ .

٤٧٦ - تلخيص البيان، ٢٠٤ .

والتتبع الذي هو ترك التصريح باللفظ الخاص بالمعنى المراد، وارانته بلفظ تابع وردف له فيه من المبالغة والشرف والحسن^{٤٧٧}.

ط - اما الشيخ عبدالقاهر (٤٧٤ هـ) فهو ذكرها في دلائل الاعجاز و عدّها قسماً هاماً من اللفظ الذي يُطلقُ ويُرادُ به غير ظاهره. والكنية عنده «أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع في اللغة، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومىء به اليه ويجعله دليلاً عليه» وذكر في امثلتها قولهم: «هو طويل النجاد» وقال: «أفلا ترى ان القامة اذا طالت طال النجاد»^{٤٧٨}.

ي - وجاء ابن الرشيقي (ف ٤٥٦ هـ) وتعرض للكنية، فتارة يعدّها من المجاز^{٤٧٩}، وتارة من انواع الاشارة التي فسرّها بقوله: «وهي في كل نوع من الكلام لمحّة» دالّة، واختصار وتلويح يُعرّف مجبلاً ومعناه بعيد من ظاهر لفظه»^{٤٨٠}.

س - وفرّق اسامة بن منقذ (ف ٥٢٨ ؟) بين الكنية والاشارة، فعنده ان الاشارة ما هو الى كل شىء حسن، كقوله عز وجل «فيهن قاصرات الطرف»^{٤٨١} اشارة الى عفافهن، والكنية ما هو عن كل شىء قبيح، كقوله سبحانه: «كانا يأكلان الطعام» كناية عن قضاء الحاجة. فعدّ امثال جبان الكلب، وطويل النجاد من الاشارة^{٤٨٢}.

٤٧٧- سر الفصاحة، ٢٧٠-٢٧٢.

٤٧٨- دلائل الاعجاز، ٥٢-٥٥.

٤٧٩- العمدة ٢٦٨/١.

٤٨٠- المصدر نفسه ٣٠٢/١، ٣٠٥.

٤٨١- الرحمن، ٥٦.

٤٨٢- البديع، ٩٩.

ع- وقال الزمخشري : (ف ٥٣٨ هـ) الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، كقولك : طويل النجاد والحماثل ، لطول القامة ، وكثير الرماد ، للمضياف»^{٤٨٣}.

ف- و ذكر ابن ابي الاصبغ (ف ٦٥٤ هـ) الكناية في كتابه وفسرها من ناحية الغرض والفائدة المترتبة عليها ، فالكناية عنده التعبير باللفظ الحسن عن المعنى القبيح والسخيف لقصد نزاهة الكلام عن العيب ، وقد تأتي للتعبير عن الصعب بالسهل ، او البسط بالايجاز ، او تأتي للتعمية والالغاز ، او للستر والصيانة^{٤٨٤}.

فترى الكناية عندهم وفي هذه الأطوار معروفة ومعهودة ، و استعملت في كلامهم وتكررت وعبرت من المعاني المختلفة وتلوت بها ، لكنها لم تصل الى المرحلة التي وصلها عند الآخرين . كابن الاثير (ف ٦٣٧) والسكاكي (ف ٦٢٦) فإن الكناية عندهما ادقّ حدوداً وأبين آفاقاً .

الكناية وأقسامها عند ابن الاثير :

الكناية عنده « كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز ، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز »^{٤٨٥} . و ذلك كقوله تعالى : « أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا »^{٤٨٦} فاتّه كنى عن

٤٨٣- الكشاف ١/ ١٤٣ .

٤٨٤- بديع القرآن ، ٥٣ .

٤٨٥- المثل السائر ٢/ ١٩٤ .

٤٨٦- الحجرات ، ١٢ .

الغيبية بأكل الانسان لحم انسان آخر، لان الغيبة ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم كما ان الاكل في الحقيقة تمزيق المأكول، فالوصف الجامع بين المعنى الحقيقي والمجازي هو التمزيق غير انه حسي في الاكل ومعنوي في الغيبة .

وتنقسم الكناية عند ابن الاثير من حيث العلاقة بين المعنى الكنائى والحقيقى الى أربعة أقسام :

الاول - التمثيل وهو التشبيه على سبيل الكناية، وذلك كأن تريد الاشارة الى معنى فتضع الفاظا تدل على معنى آخر، وتكون تلك الالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذى قصدت الاشارة اليه . كقولنا : فلان " نقى الثوب، اى منزّه . او كما رأيت فى «أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ...»
الثانى - الرّدْف، وهو ان تريد معنى وتترك الالفاظ الموضوعه له وتأتى بما هو كالدليل والمرادف لذلك المعنى المقصود . مثل فلان " طويل النجاد، تريد به طول القامة . فطول النجاد دليل على طول القامة فى الاكثر، وكأنه يرادفه . ومنه قوله تعالى : «ليس كمثله شىء»، وهو السميع البصير»^{٤٨٧} و قولك : مثلك لا يبخل، لان النفى عن مثل الشىء نفى عن ذلك الشىء .

الثالث - المجاورة، وهى أن تريد معنى وتترك لفظه الدال عليه بالوضع ذاكرا عبارة تدل على معنى مجاور لما تريده، فتكتفى بذكرها و دلالتها الكنائية . و ذلك كقول عنتر بن شداد العيسى :

وشككت بالارشمح الأصم ثيابيه ليس الكريم على القنا بمحجّر
كنى عن نفس الشخص بالثياب، لانه وصف المشكوك بالكرم ولا

توصف الثياب به، فثبت انه اراد ما تشتمل عليه الثياب .
 الرابع - ما ليس بالتمثيل والردف والمجاورة، كقوله تعالى :
 «أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرٌ مُبِينٌ»^{٤٨٨} فكنى
 عن النساء . بالاشتغال والعلاقة بالتزين وعدم الإبانة في الحجة عند المخاصمة.
 وكقول ابي نواس :

تقولُ التي من بيتها خَفٌ محملى :

عزيزٌ علينا أن تراك تَسِيرُ

فكنى عن ذكر امرأته بقوله : «التي من بيتها خفٌ محملى» ولا
 يخفى حسن هذه الكناية .

فهذه الاقسام هي ما ذكره ابن الاثير في كتابه «الجامع الكبير»^{٤٩٨} و
 لكن علق عليها ملاحظات في كتابه الآخر «المثل السائر»^{٤٩٠} ومن اراد
 الاطلاع عليها فليرجع اليه .

الكناية واقسامها عند السكاكي :

اما السكاكي فهو فسر الكناية بـ «ترك التصريح بذكر الشيء الى ما
 يلزمه، لينتقل من المذكور الى المتروك»^{٤٩١} وتمتاز الكناية عنده من المجاز
 بوجهين : احدهما ان مبني الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم و
 مبني المجاز على العكس . الثاني ان الكناية لاتنافى ارادة الحقيقة بلفظها،

٤٨٨- الزخرف، ١٨ .

٤٨٩- الجامع الكبير، ١٥٧، ١٦٠-١٦١-١٦٥ .

٤٩٠- المثل السائر ٢/١٩٩-٢٠٠ .

٤٩١- المفتاح، ١٨٩ .

فلا يمتنع ان يراد من «تسوم الضحى» انها تنام في الضحى مع ارادة كونها مخدومة مرفهة . ولكن المجاز ينافى ذلك، فلا يصح ان يراد في «رعينا الغيث» المطر، لان المجاز مصحوب بقريظة مانعة عن ارادة المعنى الحقيقي. والكناية عنده تنقسم من جهات مختلفة الى اقسام متعددة، فمن حيث نوع المراد بها تنقسم الى ثلاثة اقسام :

الاول - المطلوب بها الموصوف وهو ما يقوم بنفسه، كما رأيت في قوله عز وجل : «أومن يَنْشَأْ فِي الْحِلْيَةِ ...» وقول ابي نواس : «تقول التي من بيتها خف محملي» فالمكنى عنه فيهما هو الموصوف لا غير .

والمكنى به عن الموصوف يمكن ان يكون معنى واحداً يختص بالمراد، فيدل عليه بأبسط وجه وأقربه الى السهولة مثل «مجامع الأضغان» كناية عن القلب في قول الشاعر :

الضاربين بكل أبيضٍ مِخْدَمٍ والطاعنين (مجامع الأضغان)
او مجموعة معانى تحتاج في اختصاصها بالموصوف المكنى عنه الى تكلف ضم اللوازم بعضها الى بعض، فتكلف مجموعاً وصفاً يعدش في الدلالة على المراد بعيدا بالنسبة الى ما كان المكنى به معنى واحداً، و ذلك كقولك : «بطل الإسلام وحبيب النبي ومقجع هند والشهيد بأحد» كناية عن حمزة سيد الشهداء .

الثاني - المطلوب بها الصفة، ويراد بها ما يجري مجرى الجود والكرم والشجاعة كقول اسماعيل بن يسار في رثاء عروة بن الزبير :

منع التغزى أننى لفراقه
(لبس العدو على جلد الأربد) ٤٩٢

فانه كنى عن مجاهرة غيره له بالعداوة بـ «لبس العدو...». .
 وكقول أعرابي لما سئل عن اشتعال شيبه: «هذا غبار الوَقائع» .
 وقد يتوسط بين المكنى والمكنى عنه في هذا القسم وسائط، فينتقل
 المخاطب الى المراد من لازم بعيد، وذلك كقول الخنساء في أخيها صخر:
 طويل النجادِ رفيع العِمادِ (كثير الترماد) اذا ماشتا
 فكنت عن كرم أخيها بكثرة الترماد، لكن فهم المراد يحتاج الى
 توسط لوازم أخرى فان كثرة الترماد تستلزم كثرة حرق الحطب، ثم كثرة
 الطبخ، ثم كثرة الضيوف . اما قولها : «طويل النجاد» كناية عن طول
 القامة، فهو لا يحتاج الى التوسط، لأن طول حمالة السيف تستلزم طول
 الجسم بلا واسطة، فينتقل المخاطب الى المراد من لازم قريب .

الثالث - المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، او بعبارة اخرى
 اثبات امر لأمر آخر ونفيه عنه . وذلك كقول الشنفرى :

يبيتُ بِنِجاةٍ عن اللّومِ بيتُها ، اذا ما بيوتُ بالمِلامةِ حَكَتِ
 فانه لما أراد ان يصف زوجته بالعفاف والبراءة عن الملامة نسب تلك
 الصفات الى بيتها على سبيل الكناية، ولا يخفى حسنها لما فيها من المبالغة
 والتأكيد، فالمراد بالعبارة الكنائية هاهنا اثبات العفاف والبراءة لصاحبة
 التدار . ثم إنه لم يقل : «يظلُّ بنِجاةٍ...» قصداً الى زمان يكثر فيه
 التهمة واللامة^{٤٩٣}.

ومن حيث كثرة الوسائط وقلتها، وخفاء المراد ووضوحه، وذكر
 الموصوف وحذفه تتفاوت الكناية الى تلويح، و رمز، وايماء وإشارة،
 وتعريض .

التلويح - كناية انتقل المخاطب فيها من لازم بعيد الى المراد، او
بعبارة اخرى ما توسطت ° فيه لوازم بين المُكْنَى به والمُكْنَى عنه،
كما عرفت في «كثير الرماد» .

وكقول نصيب :

لعبدِ العزيرِ على قومِهِ و غيرهم ، مِئَنَ "ظَاهِرِهِ °
فبَابِكَ أَسْهَلُ أَبْوَابِهِمْ ، و دارِكُ مَأْهُولَةٍ "عَامِرِهِ °
و كلبِكُ آنَسُ بِالزَّائِرِ نَ مِئَنَ الْأُمِّ بِالابْنَةِ الزَّائِرِهِ °

فانه كنى عن وفور احسان عبدالعزير الى الخاص والعام بأنس كلبه
بالزائرين، فأنتَ تتقل من ° أنس الكلب بالزائرين الى أنهم عنده معارف،
ثم الى اتصال مشاهدته اياهم، ثم الى لزومهم باب عبدالعزير، ثم الى
المراد ٤٩٤.

ومنه قول أعرابية في وصف زوجها : «له إبلٌ قليلاتُ المسارِحِ
كثيراتُ المباركِ، إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَنَّ أَنَّهُنَّ
هُوَ الْكُ» ٤٩٥.

و وجه التسمية بالتلويح، هو ان التلويح بمعنى الاشارة الى غيرك من
بعيد، فتناسب الكناية التي ينتقل فيها المخاطب الى المراد من بعيد ان
تسمى به .

الرمز - كناية اشرت فيها الى المراد بلازم قريب مع نوع من
الاستتار، او ان شئتَ فقل: كناية ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء،
و ذلك كقولك : «عريض القفا» كناية عن الأبله . وقولك ايضا : «نعتُه

٤٩٤- المصدر نفسه، ١٩١-١٩٤ .

٤٩٥- المثل السائر ٢/٢٠١ .

لا ينصرفُ» تريد أنه احمق .

وقال الشاعر :

صاحبنا أحواله عاليه° لكننا غرّفته خاليه٤٩٦
فكنى عن قلة الدماغ والعقل بخلاء الغرفة، ولا يخفى ما فى هذه
الكنايات من الخفاء . وسبب إطلاق «الرمز» على هذا القسم، أن الرمز
بمعنى الإشارة من قريب على سبيل الخفية، قال الله تعالى فى قصة زكريّا:
«ألا تكلم الناس ثلاثة أيامٍ إلا رمزا»٤٩٧.

الإيماء والإشارة - كناية" اشترت فيها الى المراد بلازم قريب بلاخفاء،
و ذلك كقول البحترى :

أوما رأيت المجد ألقى رحله فى آل طلحة ثم لم يتحول
فانه كنى عن مجد آل طلحة بان المجد ألقى رحله فيهم، ولا يخفى
وضوح هذه الكناية :

ومنه قول الآخر :

سألت الندى والجود مالى أراكما تبدلتما ذلًا بعزٍّ مؤبدٍ؟
وما بال ركن المجد أمسى مؤدما؟ فقالا: أصبنا ابن يحيى محمد٤٩٨
فقلت: فهلا متما عند موته، فقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا: أقمنا كى نعرى بفقدِه مسافة يومٍ ثم تلوهُ فى غدٍ

التعريض - كناية مسوقة لاجل موصوف غير مذكور، كقولك فى
عرض من يؤذى المسلمين : «المسلم من سلم المسلمون من يده و

٤٩٦- الكنايات، للشعالبي، ٣٨ .

٤٩٧- آل عمران، ٤١ .

٤٩٨- الموجود فى المفتاح ١٩٤ فقال .

لسانه» تريد به نفى الاسلام عن ذلك الشخص المودى. فأنت ترى ان الموصوف الذى اريد نفى الاسلام منه لم يذكر فى العبارة، بل يُعرَفُ من السياق والقرائن^{٤٩٩}.

وهذا التعريض يأتى تارة على السبيل الخاص بالكناية، بمعنى ان ما يدل عليه يتجاذبه جانباً حقيقة ومجاز ويجوز حمله عليهما، وذلك كقولك مهّداً: «يوم المظلوم عليك أشدّ من يومك عليه» وانت تريد مع المخاطب انساناً آخر معتمداً على قرائن الاحوال .

وتارة يأتى على سبيل المجاز، بمعنى أنه يوجد هناك قرائن تشعر بان ما يدل على التعريض لا يلائم ارادة المعنى الحقيقى، كما اذا كان المخاطب بالمثل المذكور كان رجلاً مظلوماً، او انساناً عادلاً متقياً لم يكن مظنةً للظلم . فاذا قلت له: «يوم المظلوم عليك ...» وارتدت غيره، جرى هذا التعريض على سبيل المجاز^{٥٠٠}.

فالتعريض عند السكاكى قسم من الكنايه او صورة منها سيقت لأجل موصوف غير مذكور، وليس شيئاً آخر غير الكناية . والتحقق انه غير الكناية، ويوجد بينهما فروق كما سيأتى .

التعريض والمراد منه

التعريض فى اللغة :

يقال : عرض لى فلان تعريضاً، اذا رحرح بالشىء ولم يبيّن . و

٤٩٩- المفتاح، ١٩٣-١٩٤ .

٥٠٠- المصدر نفسه، ١٩٤ .

اعراض الكلام ومعارضه ومعارضيه : كلام يُشَبِّه بعضه بعضاً في المعاني، كالرجل تسأله : «هل رأيت فلانا؟» فيكره ان يكذب وقدر آه، فيقول : «إن فلاناً ليثري» .

والتعريض خلاف التصريح، والمعارض التورية بالشيء عن الشيء .
قال النبي (ص) : إن في المعارض لمن دوححة عن الكذب^{٥٠١} .

التعريض في الاصطلاح :

لقد عبر التعريض في الاصطلاح ايضاً من الأجواء المختلفة كالكناية ، فترى الشافعي (١٥٠-٢٠٤ هـ) في باب التعريض بالخطبة من كتاب الام^٣ يقول : «والتعريض كثير وهو خلاف التصريح، وهو تعريض الرجل للمرأة بما يدلها به على إرادة خطبتها بغير تصريح، وتجيبه بمثل ذلك»^{٥٠٢} فمعنى هذا الكلام هو أن التعريض ترك التصريح، والتعبير بما يدل على المراد من بعيد أعم من أن تكون الدلالة بواسطة اللفظ والوضع مباشرة، او جاءت من السياق والقرائن، لعل الشافعي أقدم من تعرّض الى التعريض وتفسيره على ما وجدته .

وجعله ابن قتيبة من باب الكناية وعنى منه ما يبلغ به الشخص إرادته بوجه لطف وأحسن من الكشف والتصريح، فمن الأمثلة التي اوردها للتعريض ما قاله اعرابي لما خرج مع أصحابه لجمع المؤنة والقوت، و فرغوا من العمل و رجعوا، ذهب رجل منهم في بعض الليل الى عكهم^{٥٠٣} الاعرابي فأخدمه برّاً وجعله في عكمه، فلما قاموا للرّحيل رأى الاعرابي

٥٠١- اللسان مادة، عرض .

٥٠٢- الأم ٨/١٧٠ .

٥٠٣- العكّم : العيدل مادام المتاع فيه .

أن عكمه خفيف وعككم صاحبه ثقيل، فأشد :
 عَكْمٌ تَغَشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ الْقَوْمِ
 لَمْ أَرِ عَكْمًا سَارِقًا قَبْلَ الْيَوْمِ
 فعرّض بخيانة صاحبه بوجه هو الطف من التصريح^{٥٤}.

ولقد سبق أن الظاهر من كلام ابن المعتز والعسكري هو ان التعريض
 والكناية مترادفان، وان كلاهما يأتي في موضع الآخر ولا يوجد بينهما
 فرق^{٥٥}.

وجاء التعريض في «عيار الشعر» لابن طباطبا (ف ٣٢٢ هـ) ويراد منه
 ترك التصريح والاختصار الذي ينوب عن الإطالة، و ذلك كقول عمرو بن
 معدى كرب :

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت، ولكن الرماح أجرت
 أي لو ان قومي بذلوا جهدهم في القتال وصدقوا في الدفاع عن
 أنفسهم، وطعنوا اعداءهم برماحهم، واعجبني بطولتهم وشجاعتهم،
 وانطقتني رماحهم بمدحهم وذكر حسن بلائهم، أطلقت لسانی فی ثنائهم
 ونطقت بمدحهم. لكن رماحهم شقت لسانی فما جرى بمدحهم، و
 أسكتتني فما أتيت بثنائهم.

وكقول ليبيد :

تمنى ابتأى أن يعيش أبوهما،
 وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر^{٥٦}؟

٥٤- تاويل مشكل القرآن، ٢٠٤.

٥٥- البديع، ١١٥ والصناعتين، ٣٦٨.

٥٦- عيار الشعر، ٣٠.

اراد انه يسوت يوما كغيره، ولا يكون بينه والآخرين فرق امام السوت ،
ألا ترى انه فرد من افراد قبيلة ربيعة او مضر ؟ وانت تعلم انه لم يكتب
لهم البقاء، فكذلك لم يكتب له ان يعيش دائما .

و ذكر ابن رشيقي القيرواني التعريض في باب الإشارة وعده نوعا
منها، فهو لم يأت بتفسير له ولم يشر الى الفرق بينه وبين سائر انواعها
الكثيرة، وكل ما جاء به في هذا المجال انه أورد للتعريض امثلة متعددة،
منها قول كعب بن زهير لرسول الله (ص) :

فِي فِتْيَةٍ مِّنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ

بِطَنِ مَكَّةَ لَمَّا اسْلَمُوا: زُولُوا

فعرّض بعمر بن الخطاب وقيل بابي بكر رضى الله عنهما، وقيل
برسول الله (ص) تعريض مدح^{٥٧}.

والى هذا نرى أن معنى التعريض فى الاصطلاح يدور حول مفهوم
عام مبهم اعنى الاختصار، او ترك التصريح، او ترادفه للكناية، او ما
شابهها . لكن التعريض لا يقف عند هذا الحد، فيصل الى الاخرين وينال
حظاً جديداً من التحقيق والتدقيق .

لقد فرّق الزمخشري بين الكناية والتعريض و أشار الى نكت دقيقة
فى التعريض، فقال : « والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم
تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج اليه : جئتكَ لأسلم عليكَ ولأُنظِرَ
الى وجهك الكريم . ولذلك قالوا : وحسبك بالتسليم منى تقاضيا . وكأنه
امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض»^{٥٨}. والظاهر ان الزمخشري اراد

٥٧- العمدة ١/٣٠٣ .

٥٨- الكشف ١/١٤٣ .

في كلامه هذا، ان دلالة التعريض على الغرض والمراد لا تتأتى من ناحية متن اللفظ بل من سياق العبارة وفحوى الكلام، وأن التعريض ترك التصريح بما يدل على الغرض وذكره ^{٥٠٩} بكلامٍ آخر يشير اليه من طريق السياق والفحوى ^{٥٠٩}.

والتعريض عند ابن الاثير ايضا حاز مفهوما دقيقا، ففسره باللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازى. ثم قال: «فإنك اذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إنى لمحتاج» وليس في يدي شيء»، وأنا عريان والبرد قد آذاني، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب. وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لاحقيقة ولا مجازا، وانما دل عليه من طريق المفهوم» ^{٥١٠}.

والتحقيق في بيان معنى التعريض وتحديدده وبيان الفرق بينه وبين الكناية وغيرها أن يقال: ان التعريض هو اللفظ المستعمل فيما وضع له مع الاشارة الى ما لم يوضع له من السياق، والموضوع ^{٥١١} له والمعرض ^{٥١٢} به مقصودان فيه، غير أن الاول من اللفظ والثاني من فحوى الكلام، وان الكناية هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له اصالةً والموضوع له تبعاً، اما المجاز فهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له فقط ويقابله الحقيقة و هي اللفظ المستعمل في ما وضع له فقط. وقد تقيّد هذه الحقيقة بالمجردة احترازا عن الكناية، اذ قد تسمى حقيقة غير مفردة حيث يراد فيها المعنى الحقيقي ايضا.

والمراد ^{٥١٣} بالموضوع له في التعريض اعم ^{٥١٤} من أن يكون حقيقة او مجازا او كناية، اذ يجوز ان يكون اللفظ مستعملا في معناه الحقيقي، او

٥٠٩- ليراجع حاشية السيد على المطول، ٤١٢-٤١٣.

٥١٠- المثل السائر ٢/١٩٨.

المجازي، او المكنى عنه وقد دلَّ به اى بالاستعمل فيه من تلك المعانى على مقصود آخر بطريق إمالة الكلام الى عَرَضٍ، فالتعريض يجامع كلا من الحقيقة والمجاز والكناية^{٥١١}.

فالاول - كما اذا قلت فى عَرَضٍ من يتكلم بالسوء ويمقتُّه الناس: «لستُ أتكلُّمُ بالسوء فيمقتنى الناس»، تريد ان ذلك الشخص المتكلم بالسوء ممقوت عند الناس. فالكلام حقيقة فى إفادة نفي ما يريد المتكلم عن نفسه، لكن لما سبق عندتكلم فلان بالسوء أفاد معنى التعريض ايضا، غير أن فهم هذا المعنى جاء من ناحية السياق لا الوضع.

والثانى - كأن تقول حينما ترى بطلا شجاعا حرًّا انقاد للئيم: «إنَّ الاُسودَ لا تاكلُ منْ فريسة الضَّبْعِ» فالكلام مجاز، وحقيقته أن الشجعان والأبطال لا تخضع امام اللئام ولا تعيش على ايديهم، فتعرض بشخص كان يخضع للئيم ويركع له طمعا فى المال او الجاه.

والثالث - كما اذا قلت: «المُسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده» وتريد به التعريض بنفى الاسلام عن مؤذٍ معين، فالمعنى الاصلى هاهنا انحصار الإسلام فيمن سلم المسلمون من يده ولسانه، والمعنى الكنائى نفى الإسلام عن مطلق المؤذى. فاذا استعمل اللفظ فى المعنى الاخير ولم يكن هناك شخص معين يؤذى الناس حتى تُعَرَّضَ به كان الكلام كناية فقط، والاّ جاز ان يعرض بهذا الشخص المعين انه غير مسلم فيصير الكلام تعريضا ايضا^{٥١٢}.

٥١١ - ليراجع حاشية السيد على المطول، ٤١٣ - ٤١٤.

٥١٢ - ليراجع حاشية الدسوقي ٢٦٨/٤.

تلخيص الفرق بين التعريض والكناية

ويستفاد مما سبق أن الفرق بين التعريض والكناية يُلخَص فيما يلي:
 الاول - أن التعريض أخفى من الكناية، لان دلالتها لفظية وضعية^{٥١٣}،
 ودلالة التعريض من جهة المفهوم والسياق لا الوضع الحقيقي ولا المجازي.
 الثاني - أن الكناية تأتي في المفرد والمركب، واما التعريض فانه
 يختص باللفظ المركب فلا يقع في المفرد، وذلك لان الدلالة فيه تتأتى
 ناحية السياق والمفهوم التي تحتاج الى إثبات حكم او نفيه، وهذا شيء
 لا يستقل به اللفظ المفرد .

الثالث - أن اللفظ ظاهر في المعنى المجازي في الكناية، واما في
 التعريض فهو ظاهر في بيان المعنى الحقيقي .
 الرابع - ان المعنى الكنائى مقصود أصالة والمعنى الحقيقي مقصود
 تبعاً، واما في التعريض فهما مقصودان على السواء .

بلاغة الكناية والتعريض

عرفنا أن الكناية والتعريض لون من ألوان التعبير يُعرَض فيه
 الحقائق عَرَضاً غيرَ مباشرٍ، لانه كما ان بعض مقامات الكلام يقتضى
 التصريح بالعرض والتعبير عن المراد مباشرة، فان هناك ايضا ما يستدعى
 الاشارة الى المطلوب من بعيد، فتكون في النفس أَوْقَعٌ وأحلى وعند

٥١٣ - المراد بالوضع المعنى العام .

بيان الغرض أنسب وأولى . قال الشيخ في «أسرار البلاغة» : «ومن المراكز في الطبع أن الشيء اذا نيل بعد طلب له او الاشتياق اليه، ومعاناة الحنين نحوّه، كان نيله أحلى وبالميزة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ و أطف، وكانت به أضنّ وأشغف»^{٥١٤}.

فالتعبير بطريق غير مباشر يعطى المسألة عمقا وجلالا، ويلبسها طراوةً وجمالا، ويوسّع في أجوائها وآفاقها، ويبعث الانسان على التفكير وإعمال الذهن في شأنها، ويزيد في حسنها وقبولها . قال شارلتن: «والفصاحة في عرف النقاد ان تدور بالحديث حول الموضوع ولا تنس قلبه وصميمه» . وقال آخر : «قل الحقيقة كلّها، ولكن قلها بطريقة غير مباشرة...» ولهذا كانت الكناية عند العرب أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، والمجاز أبلغ من الحقيقة^{٥١٥}.

فالأسلوب الكنائي يتضمن بلاغة وبراعة في الكلام، و نكتا وفوائد في البيان لا تتحقق تلك اللطائف بالتعبير المباشر . فمنها :

١- انه أطبق البلغاء على أن الكناية أبلغ من التصريح، وعلّوا ذلك بانّ الأسلوب الكنائي كدعوى الشيء مع البيّنة والبرهان . و ذلك لأنك اذا كنيت مثلا بـ «حمّالة الحطب» عن الساعي، و به «طويل النجاد» عن طويل القامة، فقد اثبت المطلوب باثبات شاهده و دليله وهو علم على وجوده، و ذلك لامحالة ابلغ من اثبات المراد بنفسه، فيكون سبيل هذا اللون من البيان سبيل الدعوى مع الشاهد^{٥١٦}.

وايضا أنه يختار في الاسلوب الكنائي أمس المعاني وألصق الصفات

٥١٤- اسرار البلاغة، ١٥٨ .

٥١٥- الرمزية، ٥١ .

٥١٦- دلائل الاعجاز، ٣٤٣ .

وأنسب التعبيرات للغرض او المراد، حتى لو عبّر عنه بلفظه الصريح لما حصل للقارئ والسامع ما حصل له عند الأسلوب الكنائى من التأثير فى النفس وإبراز المسألة فى صورة مقبولة ومطبوعة .

٢- أنه يُظهِر المعانى فى صورة المحسوسات، فيجعلها ملموسة ومشهودة، ويصورها واضحة وبيّنة، والله يحكى الشخص بواسطة ذلك الأسلوب انفعال اعجابه وما انطبع فى نفسه، والاعجاب باعتباره انفعالا تعجز اللغة العادية عن تصويره لأنها وضعت° بازاء الافكار لتعبّر عن هذا العقل الهادىء المحدود . أما الانفعال فهو قوّة تحتاج الى لغة خاصة، فيجتال الأديب للحصول عليها بالاستعانة من الخيال و صور التعبير من التشبيه والاستعارة والكناية وحسن التعليل، لتكون ملائمة لما تؤديه من روعة وسخط وحبّ وما اليها^{٥١٧}.

٣- أنه يقع فى التعبير الكنائى من المبالغة فى الوصف ما لا يكون فى نفس اللفظ المخصوص بذلك المعنى، وذلك كقول عمر بن ابي ربيعة :

بعيدة مهوى القُرطِ اَمّا لِنوفلٍ ابوها، واما عبد شمسٍ وهاشمٍ
أراد الشاعر أن يصف امرأة بانها طويلة العنق، فعدل عن اللفظ الصريح وجاء بالكناية وقال : «بعيدة مهوى القُرط» فدلّ ببعد مهوى القُرط على طول الجيد مع المبالغة، وذلك لان بعد مهوى القُرط يدل على طول اكثر من الطول الذى يدل عليه طويلة العنق، لان كلّ بعيدة مهوى القُرط طويلة العنق وليس كلّ طويلة العنق بعيدة مهوى القُرط، اذا كان الطول فى عنقها يسير^{٥١٨}.

٥١٧- علم البيان، ٢٦٠ .

٥١٨- سر الفصاحة، ٢٧٠-٢٧١ .

٤- أن الاسلوب الكنائى - وكذا التعريضى - أفضل وسيلة لبيان المراد والرمى الى الغرض والنيل من الخصم والتشفى لغتلة الصدر، و مع هذا كله لا يجد الخصم فيه على الشخص سيلاً ولا يأخذ عليه دليلاً ، فكان الاسلوب الكنائى رميةً من غير رامٍ . قال المتنبي معرّضاً بسيف الدولة ومادحاً كافوراً :

رَحَلْتُ فكم بالكِ بأجفانِ شادينِ
على ، وكم بالكِ بأجفانِ ضيغمِ
وما ربةُ القُرطِ المليحِ مكانه
بأجزعٍ من ربِّ الحسامِ المصمِّمِ
فلو كان مابى من حبيبٍ مُقنَّعِ
عذرتُ ، ولكن من حبيبٍ مُعتمِّمِ
رمى واتقى رميى، ومن دونِ ما اتقى
هوى كاسرٍ كفى وقوسى وأسهمى
إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءتْ ظنونه
وصدقَ ما يعتاده من توهشمِ

كنى الشاعر عن سيف الدولة فى هذه الأبيات با «لباكى باجفانِ الضيغمِ» و «ربِّ الحسامِ المصمِّمِ» و «الحبيبِ المُعتمِّمِ» وأشار الى انه يقوم بما هو من شيمة النساء اعنى الغدر، ثم لومه على مباحته بالعدوان، ثم رماه بالجبن لانه يرمى ويتقى الرمى خلف غيره .

والمتنبى لا يعامله بالمثل لانه لا يزال يحمل بين جوانحه هوى قديما يكسر كفه وقوسه وأسهمه اذا حاول النضال، ثم وصفه بانه يسى الظن بأصدقائه لانه سىء الفعل وكثير التوهم .

فترى ان المتنبي كيف نال من سيف الدولة، وأفرغ ما فى قلبه،

بدون ان يذكر اسمه ويجعل له على الشاعر حجة^{٥١٩}.

٥- انه يعتبر كردّ فعل لطريقة البرناسية (Ecole Parnassienne) التي لاتعنى بالخوالج النفسية، وتقتصر عنايتها على نقل الطبيعة نقلاموضوعيا لايتدخل الفنان بشعوره الشخصي فيه، ولايحفل باظهار السمات الجمالية به . فالاسلوب الكنائى لون من الطريقة الرمزية (Ecole Symboliste) التي دعت امام البرناسية الى التعبير بالايماء والايحاء والتكنية والهمس، لتترك للقارى نصيبا ايجابيا فى تكميل الصورة وتوسيع الفكرة وتقوية العاطفة بما يضيفه الى المعانى من توليد فكره وتجديد شعوره . قال الشاعر المرميه (mallarme) : «إن البرناسيين يتناولون الشيء كله ويظهرونه كله، فيفقدون بذلك سحر الخفاء ويسلبون الدهن نشوة الطرب التي ينشئها فيه اعتقاده بأنه يخلق . إن الشاعر اذا سمى الشيء باسمه فقد افقد القصيدة ثلاثة أرباع المتعة . وما هذه المتعة الا اثر السعادة التي يشعر بها القارىء وهو يضرب رويدا رويدا فى أودية الحدس، وذلك هو الحلم...»^{٥٢٠}.

٦- ان الأسلوب الكنائى ينزع الى اللغة الطبيعية بتشيل الأشياء بخصائصها^{٥٢١}، كما ترى فى هذه الامثلة : «كَأَنَّ أَحْمِصَهَا بِالشوكِ مُتَّعِلٌ» كناية عن الدلال والغنج، وقول الشاعر :

والضَّارِبِينَ بِكُلِّ أبيضٍ مِخْدَمٍ
والطَّاعِينَ مَجَامِعِ الأَضْغَانِ

كنى «بمجامع الأضغان» عن القلب، فهو ربّما لا يتقارفا .

٥١٩- جواهر البلاغة، ٣٥٥ .

٥٢٠- دفاع عن البلاغة، ١٤٦ .

٥٢١- الصور البيانية، ٤٥٤ .

٧- أنه يتضمن التحرز عن التصريح بما لا يحسن ذكره صراحة، كما ترى في قول اعرابية حينما لدغتها عقرب وصرخت صرخة فسألها ابوها عن السبب: «لدغنتى عقرب» قال لها: «أين؟» قالت: «الموضع الذي لا يَضَع فيه الراقي أنفه» .

٨- أنه وسيلة لترك اللفظ المتطير من كرهه إلى ما هو أجمل منه، كقولهم: «لحق باللطيف الخبير» يُكنّون به عن الموت، فتركوا التصريح به كرها له وتطيرا منه .

ومن هذا الباب انهم يُكنّون عن اللدغ بـ «السليم» وعن الاعمى بـ «البصير» وعن المهلكة بـ «السفاضة» وعن ملك الموت بـ «بى يحيى» . وقد ظرف الصاحب في وصف أخوين مليح وقبيح حيث قال:

يحيى حكى المَحْيَا ، ولكن له أخ حكى وجه أبى يحيى^{٥٢٢}
٩- انه وسيلة لترك التصريح بصناعة قد اشتهرت بين الناس بالخسة، مثل الحياكة، فتركوا التصريح بها وكنوا عنها بذكر منافعها، فيقال: «هو يُزيّن الأحياء ويجهّز الموتى» .

١٠- أنه يقصد به الدم بعبارة ظاهرة في المدح، كقول العرب: «أرانيه الله أغرّ مُحَجَّلًا» اى مقيدا، فظاهر العبارة مدح وباطنه ذم .

١١- أنه وسيلة للأدباء والبلغاء كي يعبروا عما يجرى بينهم، بحيث يخفى ذلك على غيرهم .

١٢- أنه وسيلة للتوسع والتفنن في اللغات والعبارات، كما ترى في الكناية عن الملوك «بقوم موسى» ، وعن اشتهر أمره «بقائد الجمّل» ، وعن الشيخ «بقائد العنز»^{٥٢٣} .

٥٢٢- الكناية والتعريض للشعالي، ٥٣ .

٥٢٣- الكنايات للجرجاني، ٣-٤ .

فلا تغرنك هذه اللطائف بأن الكناية مقبولة في كل موضع، لانه كما لا يحسن التصريح بالمراد في كل مكان كذلك لا يحسن الكناية عنه مطلقاً، لان مواضع الهزل والمجون وايراد النوادر يليق بها التصريح ولا تكون الكناية فيها مرضية، فان لكل مقام مقالاً، ولكل غرض فنا وأسلوباً^{٥٢٤}.
 اما بلاغة التعريض فمنها - أنه يُنَوِّه به جانب الموصوف ويُفخِّمُ شأنه، و ذلك كقوله تعالى : «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ»^{٥٢٥} قال الكشاف: «والظاهر أنه أراد محمداً (ص) لانه هو المفضل عليهم، حيث أوتى ما لم يؤتته احد» من الآيات ... وفي هذا الابهام من تفخيم امره وإعلاء قدره ما لا يخفى، لما فيه من الشهادة على انه العليم الذي لا يشبته والتميز الذي لا يلتبس . ويقال للرجل : «من فعل هذا؟» فيقول: «احدكم او بعضكم» يريد به الذي تُعورِف واشتهر بنحو من الافعال، فيكون افخم من التصريح به»^{٥٢٦}.

ومنها - أنه وسيلة للتلفظ والاحتراز عن المخاشنة، و ذلك كقوله تعالى : «وَمَالِيَ لَأَعبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي»^{٥٢٧} اي ومالكم لاتعبدون، بدليل انه عقبه بقوله : «واليه تُرْجَعُونَ» ومن هذا الباب ايضا قوله: «أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً»^{٥٢٨}.

و وجه حسنه أن المتكلم يستطيع باستخدام هذا الاسلوب أن

٥٢٤ - سر الفصاحة، ١٩٢ .

٥٢٥ - البقرة، ٢٥٣ .

٥٢٦ - الكشاف ١/ ١٥١ .

٥٢٧ - يس، ٢٢ .

٥٢٨ - يس، ٢٣ .

يُسمعَ من يقصد خطابه به الحقَّ على وجه لا يغضبه لانه لا ينسبه الى الباطل، ويُعين على قبوله لانه لا يُريد للمخاطب الا ما يريد لنفسه .

ومنها - أنه يتوسل به لاستدراج الخصم الى الإذعان والتسليم، كقوله تعالى : «لئن أشركت ليحبطن عملك»^{٥٢٩} خوطب النبي (ص) واريد غيره، لاستحالة الشرك عليه . ووجه حسنه أن الخصم يدعن بان الشرك اذا افسد عمل النبي افسد اعمالهم قطعاً .

ومنها - أنه يتوسل به لافادة الذم والخط من شأن الخصم بدون ان يذكر اسمه، و ذلك كقوله تعالى : «انما يتذكر اولوا الألباب»^{٥٣٠} فان فيه تعريضاً بان الكفار في حكم البهائم فلا يتذكرون بالآيات والسواعظ.

ومنها - انه يأتي للإهانة والتوبيخ، نحو قوله عزوجل : «و اذا السوءودة سئلت، باي ذنب قتلت»^{٥٣١} فإن سئالها لإهانة قاتلها وتوبيخه^{٥٣٢}.

٥٢٩- الزمر، ٦٥ .

٥٣٠- الرعد، ٢١ .

٥٣١- التكوين، ٨ .

٥٣٢- الاتقان ٢/٥٠ .

الباب الثالث في الاسلوب

تمهيد :

اعلم أن البلاغيين القدامى لم يدرسوا مسائل هذا العلم الا في الجملة واجزائها والصوَر البيانية وألوان من المحسنات البديعية، كأنّهم ظنوا أن الفصاحة والبلاغة لا تعتبر الا في هذه الاشياء، وأن الفضل في الكلام لا يرجع الا إليها . فتدور الاعتبارات البلاغية والقواعد الجمالية دائما عندهم حول هذه الدائرة الضيقة، وتكرر الملاحظات الفنية والبراعة الكلامية لديهم في هذا النطاق الصغير، كأن هؤلاء زعموا أن حسن البيان وقبحه لا يتصوران الا في هذه الامور، او أن بلاغة البيان وبراعته تتحققان ببلاغة الجملة وأجزائها من غير اعتبار شيء آخر . نعم ان منهم من أشار في مجال تفاضل الكلام الى غيرهما من النظم والسياق، لكنهم يقصدون في الغالب ما يرجع الى الجملة لا ما يتعلق بوحدة العمل الأدبي، او أنهم لم يدرسوا النظم والسياق خارج الجملة كموضوع لمسائل علم البلاغة، فهذا هو الشيخ يشير عند بيان إعجاز القرآن الى غير الجملة بقوله : « اعجزتّهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه بل وجدوا اتساقا بهر العقول واعجز الجمهور، ونظاما والتثاماً، واتقاناً وإحكاماً »^١.

والتحقيق ان فى موطن البلاغة أشياء اخرى غير الجملة واجزائها كالقوالب الفنية والألوان التعبيرية الكلية من الحماسة والوصف والقصة وغيرها، فلها كالجمله مقتضيات ومتطلبات اذا راعيتها زدت الكلام شرفا وقدرًا واذا أهملتها تركت° فى البيان عيبًا ونقصًا . فليست القواعد البلاغية والجمالية وقفا على الجملة وأجزائها فى النثر او الابيات المفردة فى الشعر فإنّ هناك ما يخص الأجناس والقوالب الفنية، اى وحدة العمل الادبى . « بل ان ارسطو ليذهب الى أن الحكم على اجزاء الجنس لا يكتمل الا° بالنظر الى طبيعة الجنس الأدبى والموقف بعامة»^٢.

إن بلاغة الجملة فى حد ذاتها لا تكفى فى كمال عمل ادبى وارتفاع شأنه، فانك كثيرا ما ترى كلاما فى داخل نطاقه فصيحًا وبلغيا لكن اذا جعلته لبنة° من عمل أدبى فقد بلاغته وفصاحته . روى الأصمعى أنه قال : كان ابو عمر بن العلاء وخلف الأحمر يأتیان بشارا فيسلمان عليه بغاية الإعظام، ثم يقولان : يا أبا معاذ أحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما، ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له، ويقيمان عنده الى وقت الزوال ثم ينصرفان عنه . وبينما أتياه يوما سألاه ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى سلم بن قتيبة؟ قال هى التى بلغتكم . قالوا بلغنا انك اكرت فيها من الغريب . قال نعم، لاننى سمعت ان سلم بن قتيبة ادعى المعرفة بالغريب، فأجبت أن أورد عليه ما لا يعرفه .

ثم استنشدها فأنشدهما :

بكر^٣ صاحبى° قبل الهجير . إن ذلك النجاح° فى التبكير .

ولما فرغ من انشاء القصيدة قال له خلف : لو قلت يا ابا معاذ مكان

«ان ذلك النجاح...» «بكرًا، فالنجاحُ فى التبكيرِ» كان احسنَ . فقال
بشار : لما بنيت القصيدة أعرابية وحشيةً قلتُ : «إِن ذاك النِّجَاحُ ...»
كما تقول الاعراب البدويون، ولو قلت : «بكرًا، فالنجاح ...» كان هذا
من كلام المولدين، ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل فى معنى القصيدة . فقام
خلف وقبّل بين عَيْنَيْهِ^٣.

فهذه الرواية من عباقرة الفن وفرسان الأدب، ترىنا أنه يجب فى
الوصول الى ذروة بلاغة الكلام وقمة براعته النظر الى طبيعة العمل الأدبي
واعتبار ما يناسبه، كما يجب النظر الى نفس الجملة وأجزائها وما يلائمها،
لان كمال بلاغة الكلام وتمام آلة البيان وحسن قبول الفن، انما تحصل
بالمطابقة لجميع الاعتبارات المناسبة لها فى صورها المختلفة و أقسامها
المتنوعة، كالجملة واجزائها، والقوالب الفنية الكلية من الحماسة والوصف
والرثاء والخطابة والمقامة وغيرها. فالاعتبار على دراسة الاعتبارات الثلاثة
بالجملة فى حد ذاتها وما يتعلق بها، إهمالاً لطبيعة العمل الأدبي والقوالب
الكلية والفنون التعبيرية التى لها اثرٌ كبيرٌ فى الإفصاح عن الغرض،
والبلوغ الى قرارة النفوس، والجذب للعقول والافئدة، والنهض بالهمم
والنشاط . فعلى هذا كان جديرا بالمسائل البلاغية ان تُحطّم دائرة
الجملة الضيقة، وتتناول الطرق التعبيرية الكلية مثل أساليب الكلام وانواعها
الداخلة تحتها . إن سوق مباحث البلاغة الى هذه الناحية يُعدّ عملاً جديداً
يستحق التقدير، لعل خيرَ من قام بهذه الدراسة الجديدة الاستاذان العالمان:
احمد الشائب واحمد حسن الزيات فى كتابيهما القيمين «الاسلوب» و
«دفاع عن البلاغة». كان من المناسب أن ادرس هذه الناحية ههنا بالتفصيل،

لكن لما رأيت أن الموضوع متسع بحيث يقتضى تخصيص كتاب به اكتفيت بالاشارة والاختصار فيه، أملاً أن° تتاح لى فرصة" أخرى فأعود اليه، و ما ذلك على الله بعزير .

الأسلوب وسبب اختلاف ألوانه

الاسلوب فى اللغة الوجه والمذهب والطريق، وفى الاصطلاح يطلق ويراد به معانى متعددة، منها أنه كما قال عبد القاهر : الضرب من النظم والطريقة فيه٤.

ومنها — أنه الفن الادبى الذى يتخذه الاديب وسيلة للإقناع والتأثير.

ومنها — أنه طريقة التفكير والتصوير والتعبير٥.

ومنها — أنه طريقة الكاتب او الشاعر الخاصة فى اختيار الالفاظ و

تاليف الكلام٦.

ومنها — أنه هيئة تحصل عن التاليفات المعنوية وهو غير النظم، لان

النظم هو الهيئة الحاصلة عن التاليفات اللفظية٧.

ويستنتج من هذه المعانى أن الاسلوب هو الطريقة التى يأخذها

الفنان والأديب لبيان افكارهما وما يجول فى نفسهما، من المعارف

والعواطف والاتفعالات والابتداعات .

وهذه الطريقة تختلف باختلاف الفن الذى يعالجه الفنان والاديب ،

٤- دلائل الاعجاز، ٣٦١ .

٥- الاسلوب، ٤١، ٤٦ .

٦- دفاع عن البلاغة، ٧٠ .

٧- منهاج البلغاء، ٣٦٤ .

والموضوع الذي يُعبّرُ عنه والشخص الذي يتكلمُان بلسانه او يخلقانه، فمن البدهى أن طريقة الحماسة واسلوبها غير طريقة الاعتذار مثلاً، وكذا ان طريقة الرواية غير طريق الرسالة وان الشعر غير النثر، وان النثر العلمى غير النثر الأدبى، وأن لسان البائسين غير لسان المترفين، وأن خطاب الأبطال والشجعان غير خطاب الجبناء والخائفين . ثم إن طريقة عرض الافكار والافعال تختلف اضافة على ذلك باختلاف الكاتب والفنان حتى فى الموضوع الواحد، لان تسميات الافراد وعواطفهم وانفعالاتهم وتخيلاتهم واستنتاجاتهم مختلفة، ولهذا قالوا : إن الاسلوب هو الرجل نفسه .

فلكل كاتب مذهبه فى طريقة التعبير عن افكاره و عما يعرض على قلبه، او فى اسلوبه وشكل بيانه وصوغه . فالشيب فى رأى المعرّى أزهار أيام الشباب يزدان روض الحياة بها :

والشيبُ أزهارُ الشبابِ فما له

يُخفى ، وحسن التروض فى الأزهارِ ؟

وفى رأى الفرزدق نجوم ليالى الشباب حيث يقول :

تفاريقُ شيبٍ فى الشبابِ لوامعٍ وما حُسْنُ ليلٍ ليس فيه نجومٌ

ولكنه فى رأى ابن الرومى نبات خيىث يقص تهذيب النبات الصالحة :

وقد قلتُ للمعدّالِ عند تتبعى

بالقَصِّ شيباً كلَّ يومٍ يحدثُ :

كثُرُ الخيىثُ من النباتِ فهُدِّبَتْ

منه الأطايبُ ، وهى بعد ستخَبِثُ

وعند الشريف الرضى سيف صارم" فى يدا الايام على رأس من حل

به :

غالطونى عن المشيبِ وقالوا : لا تترعُ إنّه جلاءُ حُسام

قلت: ما آمن من على الرأس منه صارم الحد في الأيتام^٨
 فالأسلوب يحمل معه طابع الكاتب ويتلون بميوله وطبيعته ويصبح ملكا خاصا له، وهو كسر آة تنعكس عليها نفسية الكاتب والفنان كما تنعكس عليها القضايا والحوادث. قال بوفون - BUFFON -: «ان الافكار والحوادث والسكتشات شركة بين الناس، ولكن الاسلوب من الرجل. ومعنى ذلك ان الافكار تكون قبل ان يفرغها الفنان في قلبه الخاص من املاك العامة، فاذا عرف كيف يصوغها على الصورة اللازمة للملائمة تصح ملكا له^٩.

فكلما كانت نسيات الأفراد وطبايعهم متباينة، وبيئاتهم متفاوتة، وثقافتهم متنوعة، ونزعات الفردية قومية، والحرية والاعتناد بالنفس وإبراز الشخصية بينهم شائعة، كانت طرق التعبير واساليب البيان وقوالب عرض الافكار مختلفة، ومن التشابه والتكرار والتقليد بعيدة. فلذلك نرى أنه لما كانت النزعة الفردية في الأمة العربية في الجاهلية ضعيفة، والصفات القومية شديدة الظهور والعموم بحيث ان الشاعر او الاديب يتكلم بلسان قومه ويرى بأعينهم ويحكم بحكمهم، ولا يوجد بين صفات الفرد وصفات الجماعة فروق كثيرة، كانت أساليب الشعر والخطابة في ذلك العصر متشابهة فلا تستبين فروقها الا للناقد البصير. ومن اختلف اسلوبه من الشعراء الجاهليين كامية بن ابي الصلت وعدي بن زيد وغيرهما كان ذلك من جرأء تغلب صفات الفردية عليهم. ولما جاء الاسلام اخذت هذه الفروق تتضح وتتباين حتى بلغت غايتها من ذلك في العصر العباسي، فلذلك نرى ان الاساليب ازدادت في الاختلاف والتنوع، وان الفنون الادبية ازدهرت في

٨- الاسلوب، ٤٥.

٩- دفاع عن البلاغة، ٨٢.

ذلك العصر^{١٠}.

ويمكن ان يُلخَّص اختلاف الأساليب في هذين الاصلين :

الاول - الموضوع، وهو الفن الذي يختاره الكاتب ليعبر به عما في نفسه، علما او ادبا، نظما او نثرا، مقالة او قصة او رسالة او خطابة ... فان لكل فن منها اسلوبا يخصصه وطريقة تلائمه، ويؤيد ذلك القول المأثور: لكل مقام مقال^{١١}.

الثاني - الاديب، فان شخصيات الادباء تتفاوت من حيث أدواقهم، ومواهبهم العقلية، ودرجات انفعالهم، وطبائعهم الخشنة او الرقيقة، و طريقة تفكيرهم وتصويرهم، ولكل من هذه الحالات والصفات اثر خاص في اختيار الكلمات وتنسيق العبارات وايراد التشبيهات والاستعارات^{١١}.

عناصر الاسلوب :

لقد عرفت مما تقدم أن الاسلوب هو الطريق الخاص الذي يتخذه الكاتب للتعبير عما في نفسه، فهو يطير دائما على جناحي اللفظ والمعنى، ويستمر على عملية خلق هذين الاصلين الرئيسيين : خلق الالفاظ بواسطة المعاني، وخلق المعاني بواسطة الالفاظ . فالاسلوب ليس هو اللفظ وحده كما انه ليس المعنى وحده، بل هو مركب فني من عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ونفسه وذوقه، وهذه العناصر هي الأفكار والعبارات في عرض المسائل العلمية، والافكار والصور والعواطف والالفاظ في القضايا الادبية .

والمراد بالصورة ما يستمد من الخيال كالتشبيه والاستعارة والكناية،

١٠ - المصدر نفسه، ٧١ .

١١ - الاسلوب، ٥٥-٥٤ .

وبالعاطفة ما يَحْرُكُ نفس الانسان ويوقظها لتميل الى معنى او تنفر منه .
 فمثلا أن هذه العناصر فى كلام امير البلاغة على بن ابي طالب (ع) :
 «أَلَا إِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شَمْسٌ حَمِيلٌ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخَلِيعَتٌ ،
 لُجْمُهَا ، فَتَقَحَّحَمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ . وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلِّ حَمِيلٍ
 عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأَعْطُوا أَرْمَتَهَا ، فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ » كما يلى :

١- الفكرة هى ان عاقبة الخطيئات الهلاك والنار، وعاقبة التقوى
 النجاح والجنة .

٢- انك تجد ههنا ان الفكرة قد تجسست فى صورتين : صورة فرس
 شمس لا يكون لجامه فى يد راكبه ولا ينقاد له، فيذهب بصاحبه على غير
 هواه حتى يلقيه فى النار . وصورة ناقة ذلول منقادة لصاحبها وتجرى كيفما
 يريد راكبها حتى تدخله الجنة .

٣- ان عنصر العاطفة ههنا هو عاطفة النفور من الالم الذى يشعر به
 الخاطيء المستطار وقد جمحت به خطايا الشرع عن أوعار الأرض حتى
 القته فى سواء الجحيم . وعاطفة الميل الى لذة المتقى الوادع وقد سارت
 به تقواه سيراً لينا حتى أبلغته جنة النعيم .

٤- ان عنصر الالفاظ هو هذه الكلمات المناسبة والسلائمة لتلك
 الافكار : اعنى الخيل الشمس، وخلع اللجام، والتقجم، والمطايا الذلل
 وغيرها ١٢ .

واما تلك العناصر فى قول المتنبى :

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ

اِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طَرَقَ الْمُظَالِمِ

و أن تَرِدَ الماء الذي شطره دم
فتسقى اذا لم يسق من لم يزاحم
و من عرف الأيام معرفتى بها
و بالناس ، روى رمنحه غير راحم
فلا هو مرحوم إذا اظفروا به ،
ولا فى الردى الجارى عليهم بأثم^{١٣}

فهي عبارة عن :

الاول - فكرة ان الجهل حتم ان لم ينفع الحلم ، وان الجهاد الاحمر واجب اذا لم تتحقق الآمال والرغبات الا^{١٣} به ، وان الحق للقوة وان الناس لا يؤمنون الا^{١٣} بالرهبة .

الثانى - عاطفة السخط والغضب الذى سيطر على نفس الشاعر ، فأنطقه بهذه الأبيات التى أنكر فيها الانصاف والترحم ، وحرص الناس على المساواة والخشونة^{١٤} .

الثالث - صورة الساء المزوج بالدم وتروية النفس منه ، وصورة الفاتك الذى يبطش بالناس ولا يرحمهم ، لانه يعلم اذا اظفروا به لا يراعون فيه الا^{١٣} ولاذمة^{١٤} .

الرابع - العبارات المختارة الملائمة لفكرة الشاعر وهى مقابلة الحلم بالجهل ، الساء الذى شطره دم ، تروية الترحم ، غير راحم ، فلا هو مرحوم و غيرها .

١٣ - و رواية الديوان : « فليس بمرحوم » .

١٤ - الاسلوب ، ١٢ .

أقسام الأسلوب

اعلم ان فى الحياة جوانب مختلفة وقضايا متنوعة وعوامل متفاوتة لا يمر بها الانسان كلَّها سواء ولا ينظر اليها بعين واحدة، بل ان منها ما نستجيب له بعقولنا فقط بدون أن يتدخل فيه الشعور والاحساس، كما نرى فى الجوانب التى يمارسها العلماء والرياضيون، مثل تركيب الهواء وتشريح الزهرة ومسائل الأعداد. ومنها ما يمر بنا ويهزّ مشاعرنا وعواطفنا ويخرجنا الى عالم آخر، كما يثرى فى المسائل الوجدانية، فمن الطّبعى أن يختلف التعبير عن هذين الاتجاهين : الاتجاه الذى يتكئ على العقل، والاتجاه الذى يهز المشاعر والعواطف، فكانت نتيجة هذا ان ينقسم الاسلوب فى المرحلة الاولى الى قسمين رئيسيين : الاسلوب العلمى والاسلوب الادبى .

فالاسلوب العلمى - ما كان الكاتب فيه وقف امام جانب من الحياة وعالجه بمنطق العقل، وحصل على فكرة ورتبها ثم صاغها فى قوالب مناسبة وعبارات واضحة . فالكاتب فى الاسلوب العلمى يتكلم بعقله ليخاطب سائر العقول، وهو اذ يتكلم لا يكون الا فردا من الجنس البشرى يوجه الكلام الى عنصر مشترك بينه وبين سائر الناس، فهو لا يدخل جانبه الشخصى فى كلامه، ذلك الجانب الذى يتميز به الافراد بعضهم من بعض، فالعقول فى الناس كلَّهم تنظر الى الأمور من جهة واحدة. ولهذا نرى ان التعبير العلمى يقوله هذا هو نفس التعبير الذى يقوله ذلك ولا سبيل الى الخلاف بينهما ولو كان من أقصى الأرض الى أقصاها^{١٥}.

الأسلوب العلمي بناؤه على المعارف العقلية والعناية باستقصاء الأفكار، والغرض منه اداء الحقائق وقصد التعليم وخدمة المعرفة وإثارة العقول . و يمتاز هذا اللون من الاسلوب بالدقة والتحديد والسهولة والوضوح فى العبارة، وبملائمته للخلو عن التكرار والايجاز والتطويل، وحشد المحسنات البديعية، والولوع بالمجاز الاّ ما جاء عفواً، وبالاحتراز عن كل ما يوجب الإبهامَ والغموض كالالفاظ المشتركة^{١٦}.

ومن نماذج الاسلوب العلمي ما قيل فى وصف الأهرام :

«كان القصدُ من بناءِ الأهرامِ ايجادُ مكانٍ حصينٍ خفىٍ يوضع فيه تابوتُ المَلِكِ بعد مماته، ولذلك شَيّدوا الهرمَ الأكبرَ وجعلوا فيه أسراباً خفيةً زلقةً صعبةً الولوج لضيقتها، وانخفاض سقفاها واملاسيها حتى لا يتسنى لأحدٍ الوصولُ الى المخدع الذى به التابوتُ، ومن أجل ذلك ايضا سدّ مدخل الهرم بحجر هائل متحرك، لا يعرف سرّ تحريكه الاّ الكهنة والحراس، ووضعت أمثال هذا الحجر على مسافات متتابعة فى الأسراب المذكورة، وبهذه الطريقة بقى المدخل و منافذ تلك الاسراب مجهولة أجيالا، مجهولة من الزمان . ويُعدّ الهرمُ الأكبر من عجائب الدنيا، قرر المهندسون والمؤرخون أن بناءه يشمل ٣٠٠/٠٠٠ / ٢ حجر متوسط، وزن الحجر منها طنان ونصف طن، وكان يشتغل فى بناء الهرم مائة الف رجل يستبدل بهم غيرهم كلّ ثلاثة اشهر، وقد استغرق بناءه عشرين عاما»^{١٧}.

فترى خصائص وميزات الاسلوب العلمى متجلية فى هذه القطعة المنشورة .

١٦- الاسلوب، ٥٩ .

١٧- تاريخ مصر الى الفتح العثمانى، ١٧-١٦ بالنقل عن الاسلوب ،

وأما الاسلوب الادبى - فهو ما كان الكاتب فيه عالج قضية هزّت مشاعره وأثارت عواطفه فتأثّر بها واستجاب لها بكل كيانه، وهذه القضية هاهنا ليست موضوعية بل تعدّ مسألة ذاتية تلونت بنفسية الكاتب واصطبغت بصنغته، فهو يعبر بهذا الاسلوب عن مكنون نفسه ويتّضح عن حقيقة حسه .

يدور هذا الوجه من طرق التعبير على اساس العاطفة والاهتمام بالشعور والوجدان، فيخاطب الاحساس والشعور قبل أن يخاطب العقل، ولا يستخدم المنطق الاّ فى نطاق ضيق، ولا يبسط الحقائق الموضوعية الاّ فى القليل النادر، ويعنى بالتعميم والتفخيم ويقف عند مواطن الجمال والتأثير والجزالة والقوة، وذلك لان الغاية منه هى إثارة الانفعال فى نفوس القراء والسامعين والاستيلاء على قلوبهم حتى يشايعوه فيما احسه وتأثّر به^{١٨}.

ويمتاز الاسلوب الادبى بالجمال والرّوعة والتأثير، فهذه الصفات ترجع فى الغالب «الى خيال رائع وتصوير دقيق، وتكلمش لوجوه الشبه البعيدة بين الاشياء، والباس المعنوى ثوب المحسوس، واظهار المحسوس فى صورة المعنوى»^{١٩} والى المحسنات البديعية، وحظه الموسيقى . فيكثر فيه الصور البيانية كالتشبيه وأنواع المجاز والكنائية، والمحسنات البديعية كالجناس والطباق وحسن التعليل والسجع وغيرها .

ومن نماذج الاسلوب الادبى ما جاء فى وصف «الاهرام» كما احسها الكاتب وتخيلها واهترت بها مشاعره :

«ولما وقفت بنا الركب فى ساحة الاهرام، وقفنا هناك موقف

١٨- راجع الاسلوب، ٥٩، وفنون الادب، ٥٨ .

١٩- البلاغة الواضحة، ١٣ .

الإجلال والاعظام، قبالة ذلك العكس الذي يطاول الروابي والأعلام،
والهضبة التي تعلو الهضاب والآكام والبنية التي تشرف على رضوى و
شمام، وتبلى ببقائها جدة الليالي والأيام، وتطوى تحت ظلها اقواماً
بعد اقوام، وتفى بدوامها أعمار السنين والأعوام، خلقت ثياب الدهر
وهي لا تزال في ثوبها القشيب، شابت القرون وأخطأ قرنها وخط المشيب،
ما برحت ثابتة تناطح مواقع النجوم، وتسخر بثواقب الشهب والرجوم»^{٢٠}.
ثم ان الأسلوب الادبي يتنوع الى انواع: شعرا وثرأ، ثم حماسة
ونسيبا ومدحا ورتاء واعتذارا وغيرها في الشعر، او مقالة وقصة وخطابة و
رسالة وغيرها في النشر. ويرجع سبب ذلك الى اختلاف الموضوع وان
الانسان لا يبقى دائما في حالة وجدانية واحدة ازاء جوانب الحياة، بل
تنتابته حالات متعددة من الحزن والفرح والحب والبغض والغضب،
فيتلون الأسلوب بتلك الالوان ويتأثر بها، فما أرق أسلوب الانسان حينما
كان رقيقا واعنفه حينما كان عنيفا، فإن كل اناء يترشح بما فيه. ولهذا
نرى ان الغضب ينتج عنه الهجاء، والحزن ينتج عنه الرثاء، والحب ينتج عنه
النسيب، والاتفة ينتج عنه الفخر، الطرب ينتج عنه الخمريات واللهو و وصف
مجالس الطرب والغناء^{٢١}.

وهذه الالوان من الاسلوب كما تختلف من حيث الانفعالات النفسية
تختلف من حيث الصور والكلمات والعبارات، فمثلا ان الصور في الحماسة
تتخذ عناصرها من الدماء الجارية، والسيوف اللامعة، والرماح المتشاجرة.
وان الكلمات فيها قوية الجرس، ايجابية المعنى، وانها هي الرماح والطعن
والضرب والقتل والاسر والانتصار وما شابهها. وان العبارات تحكى

٢٠- حديث عيسى بن هشام، ٤٠٥، بالنقل عن الاسلوب، ٥٨.

٢١- الاسلوب، ٧٩، في الاسلوب الادبي، ٧٣.

موسيقى النفس الغالبة المنتصرة والعالية الايجابية^{٢٢}.

اما فى الرثاء، فانت ترى ان الصور تتخذ موادها واجزاءها من الوادى الآخر كالقبور، والبيوت المظلمة، والعيون الباكية، والامل المقتول، و تربص الاعداء وما شابهها . وان الكلمات هى ما تدل على معان سلبية مؤلمة، كالفجيعة والكارثة والجزع والبكاء والخراب والظلمة والبؤس والفقر وغيرها . وان العبارات توحى بموسيقى الشجى والحزن والالم^{٢٣}.

و كذلك ترى ألوان الاسلوب فى النثر تختلف من نواح متعددة، فمثلا ان الخطابة تمتاز بان الافعال فيها أشد وأقوى، وان الكلمات فيها تتكرر لتثبيت الافكار وتمكين السامعين من الفهم واحيانا لتقريب الأسماع، وان العبارات فيها تختلف خبرا ونهيا واستفهاما وتعجبا، وانه يتخللها القصص والوصف الموزان يستعين بهما الخطيب فى الإقناع والتأثير^{٢٤}. و تمتاز ايضا بانه تستخدم فيها صور " يفتن بها النواظر، والفاظ " يهز بها المشاعر ويكثر فيها محسنات تنحكم فى الافئدة .

وترى ايضا ان اسلوب الشعر يتفاوت مع النثر فى ان الشعر يغلب عليه صفة التأثير ولكن الغالب على النثر هو صفة الإفادة، ولهذا كانت الكناية والاستعارة اكثر دورانا فى الشعر وكان التشبيه اكثر وقوعا فى النثر، لان التشبيه اقرب الى تصوير الواقع وأنسب بقصد الايضاح . وعلى هذا كان الاولى بالتشبيه التمثيلى ان يرد فى الشعر لكثرة عنصر الخيال فيه^{٢٥}.

ويختلف اسلوب الشعر من النثر بان الكلمات فى الشعر يجب ان تكون

٢٢- الاسلوب، ٨٠ .

٢٣- المصدر نفسه، ٨٦ .

٢٤- الاسلوب، ١١٨ .

٢٥- الرمزية، ٥٦ .

مختارة غير مبتدلة تدل بجرسها وبمعناها على ما تصوّر من أصوات و ألوان ونزعات نفسية، فلهذا كان استعمال كلمة «مُشَخَّر» مثلا في الشعر قيحا دون النشر .

وايضا ان اساس الشعر على الاختصار والايجاز، فمن حقه الاكتفاء بالعناصر الرئيسية كالسند والمسند اليه دون التزام بالمترقات والروابط^{٢٦}. ومما يمتاز به اسلوب الشعر ايضا ان من حق الشعر ان يرفع نفوسنا عن تجربة الحياة العادية المألوفة الى مستوى أسمى وأرفع، وان من شأنه ان يخذعنا عن انفسنا فننسى لحظة كل ما أحاط بنا من جوانب الحياة الملموسة، ويحلّق بنا على جناحه في عالم أروع واعلى . فان سها الشاعر وحشد الحكمة في شعره، كان بمثابة من يخرج الينا من وراء الستار ونحن ننظر في دهشة وإعجاب الى بعض المناظر العجيبة على المسرح فيدلنا على الحيلة التي احدثت كل هذا التعجب فينا . فنكرّر هاهنا قول الشاعر مالريمه (mallarme) زعيم الرمزية : «ان الشاعر اذا سمى الشيء باسمه فقد افقد القصيدة ثلاثة ارباع المتعة، وما هذه المتعة الا اثر السعادة التي يشعر بها القارئ وهو يضرب رويدا رويدا في أودية الحدس، وذلك هو الحلم»^{٢٧}.

ولما كان غرضي في هذا الباب ان اتناول دراسة الاسلوب بالإشارة والإختصار، أضع القلم ههنا واحمد الله على ما انعم على من التوفيق في تأليف هذه الرسالة، ومنّ علىّ بالإكمال والاتمام، وافتدّم ثنائى الجميل لروح والدى الماجد الذى رافقنى في جميع مراحل حياتى العلمية بالتعليم والارشاد، جزاه الله عنى خير جزاء واعطاه فى الآخرة خير عطاء .

محمد فاضلى

٢٦- الاسلوب، ٦٣، ٧١ .

٢٧- دفاع عن البلاغة، ١٤٦ .

فهرس الآيات

الآيات	الصفحة	الآيات	الصفحة
		(١١)	
آمننا بالله واشهد بانا مسلمون	٩٩٠	أصلاتك تأمرك؟	١١٤
أَتَتَّخِذُ مِنِّ دُونِهِ آلِهَةً	٣٦٢	إِعملوا ما شئتم	١٢١
أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ؟	١١٣	أفأصفاكم ربكم بالبنين	١٠٩ و ١١٦
أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ	٩٠	أفإن ميت فهم الخالدون	٩٣
أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِن بَيْنِنَا	١١٣	أفمن حق عليه كلمة العذاب	
أَنتَ لَأَنتَ يَوسُفُ	٩٣		٣١٢، ١١٤
أَيَسِّرَآ مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ	٩٣	أفمن كان مؤمناً كمن كان	
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا	١١٣	فاسقاً لا يستتون	١١٦
أَتَخْشَوْنَهُمُ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ		أففى قلوبهم مراض	١١٤
	١١٢	إقرأ وربك الأكرم الذى علم	
أَتَعْبُدُونَ مَا تَنَحَّيْتُونَ	١٠٩	بالقلم،	٧٢
أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ		أكذبتتم بأياتى ولم تحيطوا	
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ...	١٨٦	بها علما	١١٠
أُخْسِنُوا فِيهَا لَاتكلمون	١٢٧	ألا تحببون أن يغفر الله لكم	١١٣
أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ	١٢٢	ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم	
أَرَأَيْتَ إِنْ هِيَ أَيْمَانُكُمْ			١١٣
أَرَأَيْتَ إِنْ هِيَ أَيْمَانُكُمْ		ألا تكلم الناس ثلاثة أيام	
إِلَّا رَمَزًا	٧٥		٣٤٩

الآيات	الصفحة	الآيات	الصفحة
الر كتاب انزلناه اليك لتخرج ...	٣٠١	إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ	١٦٠
إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضَلُّوا	١٢٢	عِبَادِكَ	٢٥٨
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ هُوَ يُقْبَلُ التَّوْبَةَ	٣٣	إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا	٢٣٢
عَنْ عِبَادِهِ	١٧٠	إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا	١٦٥
أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً	١١٠	إِنَّمَا تَنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ	١٤٧
فَتَهَاجَرُوا فِيهَا	١١٢	خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ	١٦٥
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ	١١١	إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ	٢١١
مَاءً	١١١	مِنَ السَّمَاءِ	٢٥٧
أَلَمْ يَعِدْكُمْ يَا ابْنِ آدَمَ ٦٩٠	١١١	إِنَّمَا يَكُونُ فِي بَطْنِهِمْ نَارًا	٣٦٣
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ ...	١١٠	إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ	١١٠
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ	١١٢	إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ	٣٠١
أَلْمَ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟	١١٢	الرَّجْسَ	١٧٢
أَلَمْ نَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ	١١٤	إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ	٧٦
الْأَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مِثْوَى	١١٢	إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ	١١٢
لِلْمُتَكَبِّرِينَ	١١٢	إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ الْ	١٦٠
أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِصْرَ	٣٣٠	الَّذِينَ آمَنُوا	٢٦
إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي-	٨٠	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى	١٤٨
الْجَارِيَةِ	١٦٣	إِنْ نَظُنُّ الْإِطْنَا	١٦٣
إِنَّا إِلَيْكُمْ مَرْسَلُونَ	١٢٢	إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ	٣٠، ٣٤٠، ٣٤١
أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ	١٢٣	نَعِجَةٌ	١١٦
أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ	١٢٣	إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ	
أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ			

الآيات	الصفحة	الآيات	الصفحة
إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا	٢٥٨	دخان	٢٢٩، ٣٣٠
أَنْبِي لَكَ هَذَا ؟	١٠٦	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ فَهِيَ	
أَنْبِي لَهُمُ الذِّكْرَى	١١٤	كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً	٢٢٥
أَنْبِي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟	١٠٦		
أَوْ لَا تَصْبِرُوا	١٢٦		
أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ	٣٣٩	جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ	٧٨
أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ	١٩٣	جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ	٧٦
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ	٣٢٥		
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ	٢٩٥		
أَوْ مِنْ يُنَشِّئُ فِي الْحَلِيهِ	٣٤٥	الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ	١١٢
أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا	١١٣	حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ	
أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ الْهَتْمُكُمْ	١١٣	الْأَبْيَضِ	٣٣٤، ٣٢٧
أَيُّحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ		حُورٍ مَقْصُورَاتٍ فِي الْخِيَامِ	١٤٦
لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا	٣٤٤، ٣٤٣		
أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا	١٠٢		
أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ	١٠٧	ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا	٢٧٨
		ذَلِكَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ	٣٢٦
		ذُوقْ أَنْكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ	١٢١
تَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ			
	١٩١		
تِلْكَ الرِّسَالُ فَضَلَّنا بَعْضُهُمْ عَلَى		رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُكَ لَكَ مَا فِي بَطْنِي	
بَعْضٍ	٣٦٢	مُحَرَّرًا	٢٦
		رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى	٧٨
		رَبِّ إِنِّي وَهِنَ الْعَظْمِ مِنِّي	
			٢٥٩، ٧٨

الآيات	الصفحة	الآيات	الصفحة
رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ	١٢١	فَإِذَا قَهَاهُ اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ	٣١٤
رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ	١٠٢	فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ	٣١
ثُمَّ هَدَى	١٢٦	فَاسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتِ	٣٢٠
رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا	٨٠	فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا	١٢١
رَبَّنَا يَعْلَمُ أَنَا إِلَيْكُمْ لِمُرْسَلُونَ	٧٣	فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ	٣٣٠
الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ		فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ	١٢٢
		فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَ	
		نَصَرُوهُ	٤٠
سِوَاءَ عَلَيْهِمُ أُنذَرْتُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ	١١٢	فَإَنْظُرْ مَاذَا تَرَى	١٢٣
		فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ	٣٢٨
		فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ	٣٩
		فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	
			٢٩٤، ٣٢١
لَا يَرْجِعُونَ	٢٨١	فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ	٤١
		فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ حَقًّا	١٢١
		فَلْيَدْعُ نَادِيَةً	٢٥٧
		فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ	٢٦٤
		فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ	١٢٠
			٢٥٧
		فَمَنْ رَبَّكُمَا يَا مُوسَى	١٠١
فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ	١٢١	فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَلَّ اللَّهُ؟	١٠٩
فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا	٢٩	فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ	٣٢٩
فَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ		فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ	٩٤
بِاللَّهِ	٢٥٧	فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ	١١٢

الآيات	الصفحة	الآيات	الصفحة
فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا	١٣٧، ١١٣	كَانَتْهُ هُوَ كَانْنَا يَا كِلَانَ الطَّعَامِ	١٩٣
فَهَلْ يَهْلِكُ الْاَلْقَوْمِ الْفَاسِقُونَ	١٠٩، ٩٤	كُنَّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ	٢٧٦
فِيهِنَّ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ	٣٤٢	كُنَّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ	٢٧٦
(ق)			
قَالَ اَنْبِيَّ اشْهَدَ اللهُ	١٤٢	كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ	١٢١
قَالَ قَائِلٍ مِنْهُمْ : كَمْ لَبِثْتُمْ؟	١٠٤	كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ	١٢١
قَتَلَ الْاِنْسَانَ مَا اكْفَرَهُ	٧٦	كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا	٧٦
قُلْ اَمْرٌ رَبِّي بِالْقِسْطِ	١٤١	كُنْ فَيَكُونُ	١٢٢
قُلْ اِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ	١٦٤	كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ	١٢١
قُلْ اِنَّمَا يُوحِي الِىَّ اِنَّمَا الْهَكْمُ	١٦٤	كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَاَنْتُمْ تَتْلُو عَلَيكُمْ	١١٠
اَلِهَ وَاَحَدٌ	١٦٦		
قُلْ تَمَتَّعُوا فَاِنْ مَصِيْرَكُمْ اِلَى النَّارِ	١٢٢		
(ل)			
قُلْ عَسَى اَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ	١٢٦	لَا تَسْأَلُوْا عَنْ اَشْيَاءٍ اِنْ تَبَدَّلَتْ لَكُمْ	١٢٦
بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجَلُونَ	١١٦	لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَوْلَى وَاَنْتُمْ تَعْبُدُوْنَ	٢٧٨
قُلْ فَاتَوْا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلَوْهَا	١٢٢	لَا تَعْتَدُوا رَوْا الْيَوْمِ	١٢٧
قُلْ هَلْ مِنْ شُهَدَاءٍ كَمِ الَّذِيْنَ	١٢٣	لَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ اِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ	١٢٧-١٢٦
(ك)			
كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ فَرَّتْ	٢٠٦	لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	٧٨
مِنْ قِسْرَةٍ	٢٠٦	لِئِنْ اَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ	٣٦٣

الصفحة	الآيات	الصفحة	الآيات
١١٣	من ذا الذي يشفع عنده	٤١	ليستخلفنهم في الارض
٩٩	من انصاري الى الله		لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
٣٢١	من بعثنا من مرقدنا	٣٤٤ ، ٢٧١	السميع البصير
٣٢٨	مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ	١٢٠	لينفق ذو سَعَةٍ من سعته
	(ن)		(م)
	ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ		ما جعل الله لرجلٍ من قلبين
٧٢		٢٦	في جوفه
	(و)		ما كان محمدًا با احدٍ ولكن
		١٧٤	رسول الله
٣٠٠ ، ٢٥٨	وآتوا اليتامى اموالهم	٢٦	ما كذب الفؤاد ما رأى
٣٣٦	وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا		ما لهذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً
٢٦٥	وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا	١١٢	ولا كبيرةً
	وَأَخْفِضْ لهما جناح الذلِّ	٢٦٠ ، ١١٠	مالي لا أرى الهدهد؟
٢٩٩	مِنَ الرَّحْمَةِ		ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله
	وأخى هارون هو أفصح	١٤٩	زلفى
٦	منى	١١٣	متى نصر الله؟
٢٧٤	وإدخلاه في رحمتنا		مثل الذين اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ
	وإذا اخذنا ميثاقكم، لا تسفكون	٢٠٤	اولياء
١٤٠ ، ١٤١	دماءكم		مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم
٣٦٣	وإذا المودة سئلت	١٨٥	يحملوها
	وإذا قرأت القرآن جعلنا		مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم
٢٦٣	بينك	١٩٣ ، ٢١٢	كر ماد
	وإذا قيل لهم لا تفسدوا	٢٠٣	مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً
١٧٢	في الارض	٢٦٦	مكر الليل والنهار

الآيات	الصفحة	الآيات	الصفحة
وإذا نتقنا الجبلَ فوقهم كانه ظُلَّةً	١٨٥	وجاءَ رَجُلٌ من اقصى المدينة يسعى	٧٥
وارسل عليهم طيراً ابابيل واستشهدوا شهيدين من رجالكم	٢٣٥	وجاءَ رَبُّكَ وجزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ	٢٧١
مثلها	١٢٢	٢٥٧، ٧٥	
وأسأل القرية واشتعل الرأس شيباً	٢٧٥، ٢٧١	وجعلنا الليل لباسا وصلَّ عليهم	٢١٢ ٨٢
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا	٣١٨	وكانا يأكلان الطعام وكلوا واشربوا حتى يتبينَّ	٥٠ ١٩٣
والذين كفروا اعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ	١٨٤، ١٨٥، ٢٢٦	لكم الخيط وكم من قرية اهلكتها	١٩٧ ١١٢
والطير صافات والم اعهد اليكم	٢٣٥ ٩٠	ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم	١٢٦ ٢٢٩
واما الذين ابضتْ وجوههم ففى رحمة الله	٢٥٨	بعضا ولا تحسبنَّ الذين قتلوا فى سبيل الله	٢٢٩ ١٢٧، ٧٦
وان جنحوا للسلم فاجنح لها وانزلنَّ مكملها وانتم لها	٣٣٩	ولا تمشَّ فى الأرض مراحاً ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون	١٢٦ ١٢٦
كارهون وان خفتم شقاق بينهما	١٠٩ ٢٦٦	ولا صلِّبكم فى جذوع النخل ولكن لاتواعدوهن سراً	١٢٦ ٣١٥ ٣٣٩
وانه فى ام الكتاب لدينا وانسى لاذنك ياموسى مسحورا	٣٢٧ ١٣٠	ولو ان لنا كرتة فنكون من—	١٣٣

الآيات	الصفحة	الآيات	الصفحة
المؤمنين	١٣٨		
وله الجوار المنشآت في البحر		(هـ)	
كالاعلام	١٨٦	هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت	
وما ابرئى نفسى ان النفس لامارة		انى	٣٠
بالسوء	٨٢	هل اتى على الانسان حين	
وما ارسلنا من رسول الا بلسان		من الدهر	٩٥
قومه	٢٥٨	هل ادلكم على تجارة تنجيكم	
وما انا بطارد المؤمنين ان انا			١١٢
الات نذير	١٦٤	هل جزاء الاحسان الا الاحسان	
وما تلك يمينك يا موسى	١١٤		٩٥
وماذا عليهم لو آمنوا	١١٢	هل يستوى الذين يعلمون والذين	
وما لى لا اعبد الذى فطرنى		لا يعلمون	٢٦١ و ٢٥٩
	٣٦٢	هل يستوى الاعمى والبصير ؟	
وما محمد الا رسول قد خلت			٩٤
من قبله الرسل	١٦٠	هن لباس لكم وانتم لباس	
ونادى اصحاب الجنة اصحاب		لهن	١٩٥
النار	٣٢١	هو الذى جعل الشمس ضياء	
ونفخ فى الصور	٣١٩		٧٣
ويا قوم مالى ادعوكم	١٣٤		
ويضيق صدرى	٦	(ى)	
وينصر الله نصرأ عزيزأ	٧٦	يا ابت ليم تعبد ما لا يسمع ولا	
وينزل لكم من السماء زرقا		يبصر	١٣٤
	٢٥٧	يا ابت هذا تاويل رؤياى	١٣٤
وهى تمر مكر السحاب	١٩٧	يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين	

الآيات	الصفحة	الآيات	الصفحة
يدى الله	١٣٣	يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً	
يا ايها الانسان ما غرَّكَ بِرَبِّكَ		عظيماً	١٣٦
الكريم ؟	١١٣	يا موسى اقبل	١٣٠
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله		يا ويلنا ليتنى لم اتخذ فلانا	
	١٣٤	خليلاً	٣٤٠
يا ايها الناس اعبدوا ربكم		يا يحيى خذ الكتاب	١١٩
	١٣٣ و ١٣٠	يا هامان ابن لى صرحاً	٣١٩
يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا		يجعلون اصابعهم فى آذانهم	٢٥٦
له	١٣٣	يُذَبِّحُ ابناءهم	٢٦٣
يا ايها الرسول بلِّغ ما انزل		يسألونك عن الشهر الحرام قتال	
اليك	١٣٠	فيه	٣٣٩
يا ايها النبى لم تحرّم ما احلّ الله		ينزل لكم من السماء رزقاً	٢٥٧
	١٣٤	ينقضون عهد الله	٣٠٢
يا عباد لا خوف عليكم اليوم		يوسف اعرض عن هذا	١٢٨
	١٣٤	يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هل	
يا قوم هذه ناقه الله لكم ..		امتأت	٣٢٩
فذرّوها	١٣٣	يوم يكون الناس كالفراش المبثوث	
يا لَيْتَ لَنَا مثل ما اوتى قارون			١٧٩
	١٣٥	يوماً يجعل الولدان شيباً	٢٦٥

فهرس الاحاديث

الصفحة	الحديث
٢٩٨	١ - أسرعن لحوقابى أطولكن يدا
	٢ - اشتكى النبى «ص» فجأوه جبريل و رقاه، فقال :
٣٠	بسم الله اريقك من كل داء يؤذيك
٩	٣ - الا ان هذا الدين متين فأوغل برفق
٢٥٥ و ٢٥٠	٤ - الآن حمى الوطيس
٦	٥ - انا أفصح العرب بيد أنى من قریش
٣٥١	٦ - إن فى المعارىض لمندوحة عن الكذب
٣٢٨	٧ - جدع الحلال أنف الغيرة
٢٢٤	٨ - الحياء من الإيمان كالرأس من الجسد
٧٤	٩ - خير الناس أنفعهم للناس
٢٠٤	١٠ - عمّا لكم كأعمالكم وكما تكونون يؤلى عليكم
٧٩	١١ - القناعة مال لا ينفد
١٣	١٢ - كان خلق رسول الله سجيّة ولم يكن تلهوقا
٢٩٣	١٣ - كلکم راع وكلکم مسؤول عن رعيته
٢٣٦	١٤ - كلما سمع هبة طار إليها
	١٥ - لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتى لا يعيب مسلماً بعب
٢٤٢	هو فيه
٧٤	١٦ - لا يقضين أحدكم وهو غضبان

الصفحة	الحديث
٢٠٤	١٧- المرأة كالضلع العوجاء إن قومتها كسرتها وإن داريتها استمتعت بها
٢٢٦	١٨- مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه
٣٣٥	١٩- مثل المؤمن كمثل النخلة
٣٤٩	٢٠- المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه
٣٢١	٢١- من كذب علىّ فليتبوا مقعده من النار
٣٣٥، ٢٨٢، ٢٠٥	٢٢- الناس كإبل مئة لا تكاد تجدّ فيها راحلة
١١٠	٢٣- وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الاّ حصائد السننهم
٣٣١	٢٤- يا أبخشة، رفقاً بالقواريد

فهرس الأشعار

الصفحة	الشاعر	القفية	صدر البيت
(i)			
٢٣٦	خفاف بن نُدبة	الكتانِ	أبقى لها
٦٥	ابوالعتاهية	أذيا لها	أتته الخلفة
٢٢٥	عنتر بن شداد العيسى	الجبانِ	أحبك
٢٩٧	المتنبى	مُفرَّبُ	أحين
٢٢٠	مجنون ليلي	بحسنه	أخذت
٤٠	ابونواس	جدال	اختصم
٢١٢	ابونواس	صديق	إذا امتحن
٣٥٩	المتنبى	توهَّم	إذا ساء
٢٢١		الى الهول	إذا سألت
	جرير، اومعود الحكماء	غضابا	إذا سقط
٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٤٧			
٢٧	المتنبى	شهد	إذا شئت
٣٩	المتنبى	بالصرم	أذاق
١٧٠	المتنبى	الحمام	إذا كان
١٠٩	محمود الوراق	على العدو	إذا كنتم
١٤٤	عبدالله بن جعفر الطالبي	توصه	إذا كنت
١٦٩	الخنساء	الجميلا	إذا قبَّح
٦٠	بشار بن برد	دما	إذا ما غضبنا

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٣٢٣	المتنبى	والقلوبُ	إذا ما صافحَ
٢٤	مجنون ليلى	سواها	إذا نظرتُ
٣٠٠	تأبَّطُ شرّاً	الضّواحيكِ	إذا هزّه
٢٢٤	مجنون ليلى	سبيلِ	أريد لأنسى
٢٨٣	عمران بن الحطان السدوسى	الصّافر	أسدٌ علىّ
١٣٩	عباس بن الاحنف	أطير	أسيرُ بَ القطا
١٣٠		سكّانُ	أسكّانَ
٢٦٩		مرّ العشىّ	أشبابَ
٧٢		ولم تتكلم	أشارتُ
١٥	الشريف الرضى	العوادِ	أعزّزُ علىّ
١٩٠	ابن الفارض	كالحيججِ	اعوامُ
١٣	أبو تمام	مِن دمِ	أفصّر
٢٧	المتنبى	جدّ	أقلّشُ فعالى
٢٥٧		النّشرِ	أكلتُ
٢٨٨	البحترى	عانِ	ألامُ
١٥٣	أبو العتاهية	إلاّ غرورُ	ألا الى الله
٢٣٧	كثير	تلينُ	ألا انما
٢٢٤	عروة بن الورد	وتمولّوا	ألا انّ
١٢١	امرؤ القيس	بأمثل	ألا ايها الليل
٣٦	الخطيئة	نجدُ	ألا طرفتنا
٧٨		وقد دعاكا	ألهى
٢١٩	المتنبى	مثلى	أميط
١٩٠	المعريّ	المكانِ	انت كالشمس
٢٤١	ابن المعتز	مِن عنبرِ	انظر اليه

الصفحة	الشاعر	الغافية	صدرالبيت
٤١، ١٦	المتنبى	سويداواتها	إن الكرام
٢٧	الاعرج	ولا وكل	انا ابوبرزة
١٨٦	ابن مقلة	الإخوان	انا نار
١٦٥	الفرزدق	مثلى	انا الذائد
١٧٢	قيس بن الرقيات	الظلماء	انما مصعب
٣٤٩	البحترى	لم يتحول	او ما رأيت
١٣٠	ابوالعتاهية	خَطَرٌ	أيا مَنْ
١٣١		بكيناك	أيا منازل
١٣٢		رواجع	أيا منزلى
١٣٢		بالشهوات	أيها القلب
٣٩	النايفة الذبياني	بقرمد	أو دمية
٣٤٩	البحترى	لم يتحوّل	أو ما رأيت

((ب))

٢٧	ابن هرمة	بالباب	بِالله
٣٣٣	ابو تمام	يصيح	بِحَّ صوت المال
١٩٨	المتنبى	غزالا	بدت قمرأ
٩٠	عمر بن ابي ربيعة	بينان	بدالى
٣٥٨	عمر بن ابي ربيعة	وهاشم	بعيدة
٣٦٥	بشار	التكبير	بكرأ
١٨٧	زهير بن ابي سلمى	للفم	بكرن
٢٣٦	الاخطل	زفر	بنى اميسة
٢٢٩	عنترة بن شداد	شهد	بهاليل

((ت))

٢٠٦	ابوالعتاهية	على اليبس	ترجو النجاة
-----	-------------	-----------	-------------

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٣٣٤	خويلد الهذلي	أحيتك اليد	تُحَاصِمُ
٢٦٥	الخنساء	وإدبارُ	تَرَ تَعُ
١٤	المتنبي	في الكُتُبِ	تَعُشَّرَتْ
٣٦٨	الفرزدق	نَجُومُ	تَفَارِيقُ
٣٤٥	ابونواس	تَسِيرُ	تَقُولُ التِي
١١	زهير بن أبي سلمى	بِحَقْلَدِ	تَقَى
٢٩	المتنبي	الْفَرَامُ	تَلَدَّ
٣٥٢	ليد	أَوْ مُضْرُ	تَمَنَّى
٣٠	المتنبي	ذَلكَ لِي	تَسْمَى

((ث))

١٨	أبي تمام	في الغارِ	ثَانِيَةٌ
----	----------	-----------	-----------

((ج))

٨٢	حجّل بن نَضْلَةَ القيسي	رِ مَاحُ	جَاءَ
١٢	أبو تمام	الأجَلُ	جَلَّيْتُ

((ح))

٣٣٣	أبونصر بن نباته	النَّوَارِ	حَتَّى إِذَا
١٨٧		قَطُّ	حَتَّى إِذَا

((خ))

١٥٥	المعري	الأجسادِ	خَفَّفَ
-----	--------	----------	---------

((د))

٢٧٢ ، ٢٦٣	الحطيئة	الكاسي	دَعِ المَكَارِمَ
-----------	---------	--------	------------------

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
((ر))			
٦٠	بشار بن برد	في الزيت	رَبَابَةٌ
٣٥٩	المتنبي	ضَيِّغَمَ	رحلتُ
٦١	أبو تمام	بُرْدٌ	رقيق حواشي
٣٥٩	المتنبي	أسهمي	رمي

((س))

١٥٢	المعري	مُنْتَابَا	سار الشبابُ
٣٤٩	البحري	مُؤَبَّدِ	سألتُ الندى
٢٦٤	طرفة بن العبد	لم تُزَوِّدْ	سَتَّبِدِي
٢٠٩	أبو فراس	البدْرِ	سيذكرني

((ص))

٣٤٩		خالِيهِ	صاحبنا
٢٢٣	أبو تمام	فلم يخبِ	صدفتَ

((ض))

٣٤٦		الأضْفَانِ	الضاربينَ
-----	--	------------	-----------

((ط))

٩٠	الكميت	يلعبُ	طربتُ
٣٤٧	الخنساء	فا شتَا	طويل النجاد

((ع))

٢٩	المتنبي	القمران	عدوِّكَ
----	---------	---------	---------

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٧٩		فتمكنا	عرفت
٣٥٢		اليوم	عُكْمٌ
٢٢٩	ابن الانبارى	المعجزاتِ	علو فى الحياة
٧٢		اذا كانا	العين تُبدى

((غ))

٣٦٨	الشريف الرضى	حُسامِ	غالطونى
٢١٦	ابن المعتز	مَلَقَى الْجِلَالِ	غدا والصبحُ
١١	زهير بن ابى سلمى	امَّ معبدِ	غشيتُ
٢٩٦	كثير	رقابِ المالِ	غمرُ الرداءِ

((ف))

٢٣٦		قلماً	فأصبحتُ
٢٠٩	ابو الفتح البستى	ذاتُ أنوارِ	فالحُرُّ
٢٣٣	مسلم بن وليد	المحلُّ	فإن أغشَ
٢٢٨ ، ٢٠٩ ، ٢٠٧	المتنبى	دم الغزالِ	فان تَفُقْ
١٨٥	ابونواس	الفِمدِ	فان تكُ
٢٤٠	أيمن	ولوذا	فإننا قد وجدنا
١٨٥	النابغة الذبياني	واسِعُ	فانك كالليل
٢٢٨	المتنبى	ذهب الورد	فان يكُ
١٦	ابونصر بن نباته	الدوائِبُ	فإياكم
٢٣٤	حسين بن مطير الاسدى	مرتعا	فتى عاش
١٢	ابو تمام	الخطيلُ	فحوالكُ
٢٥٩	عنتره	بمُحَرَّمِ	فَشَكَّكَتُ
٢٠٩	ابن ابى عيينه	يضيرُ	فدع الوعيدَ

الصفحة	الشاعر	الغافية	صدرالبيت
١٦١	قابوس بن وشمكير	والقمر*	ففى السماء
٢٥٢	مجنون ليلى	ان لاتلاقيا	فقد يجمع
٣٣٦	امرؤ القيس	بكلِّكَلِ	فَقَلَّتْ له
٣٣٣	أرطاة بن سهية	أديمى	فقلت لها
٢٠٩	البارودى	وكور*	فلا عجب
٢٩٨ ، ٢٧٦	المتنبى	الأَسَدُ*	فلم أرَ
١٣	النجاشى	ذا فضلِ	فلمست*
٣٥٢	عمرو بن معدى الكرب	أجرتِ	فلو أنَّ
٣٥٩	المتنبى	معمم	فلو كان
١١	المتنبى	أمير العرب*	فهمت*
١٥٩	المعريّ	عبد كالكفن**	فهل انتَ
٧٥	جرير	نواصله	فهيها
١٥٨	عنتره	النوائحِ	فيا ربّ
١٣١		مُترعا	فيا قبرَ
٢٣١	البحترى	بعنبرِ	فى رأسِ
٢١٨	البحترى	من تشنِها	فى طلعة
٣٥٣	كعب بن زهير	زولوا	فى فتية

((ق))

٢٨٩	ابو الفضل بن العميد	نفسى	قامت°
٣٣١ ، ٢٨٩	ابن العميد	من الشمس	قامت°
٢٢٨	ابن الرومى	شيبان*	قالوا
١٦٣		إلاّ أنا	قد علّمت°
٢٢٠	البحترى	مثلاً	قد طلبنا
٣٣٣	ابو تمام	فاصطَلَمَا	قرت° بقران°
١٦٠	قابوس بن وشمكير	خَطَرَ*	قل للذى

الصفحة	الشاعر	الغافية	صدر البيت
٢٥٩	حارث بن وعله	سَهْمَى	قَوِّمَى

((ك))

٢١٦ ، ٢٠٤	ابو طالب الرقى	أزْرَقَ	كَانَ أَجْرَامَ
٢٣٥	بشار بن برد	بمنقار	كَانَ إِيرِيقَنَا
٢٣٦	ذوالرمة	الفراريح	كَانَ أَصْوَاتَ
٢٣٤	امرؤ القيس	جنديل	كَانَ الثْرِيَا
٢٣٩	النايفة الجعدى	مُسْتَقَاهَا	كَانَ حِجَاجَ
٢٩٨	المعرى	فى اذنى	كَانَ دَعَاءَ
٢٢٦	امرؤ القيس	مُرَجَّلِ	كَانَ دِمَاءَ
٢٣٩	الكميت	غِفَارَا	كَانَ الْغَطَامِطَ
٢١٥	امرؤ القيس	البالى	كَانَ قُلُوبَ
٢٠٣	القاضى التنوخى	الرّفعة	كَانَّمَا
٢٣٩ ، ٦١	ابونواس	مَخْنُوقِ	كَانَّمَا عَيْنَهُ
١٩٨	بشار بن برد	كواكبهُ	كَانَ مِثَارَ
٢٤٠	عبدالرحمن بن الحكم	يكفُ	كانت بنو غالب
٢٢٦	امرؤ القيس	حنظَلِ	كانى غداة
٢٣٨	ساعده بن جؤية	الفوارق	كسأها
١٨٥	المتنبى	فى المحاقِ	كل ذمير
٢١٧		وتجلّتِ	كما أبرقتْ
١٧٩		النّظَرِ	كمّ مِينْ

((ل))

٢٠٦	من الألم	لاتحسبوا
-----	----------	----------

الصفحة	الشاعر	الغافية	صدر البيت
٢٣٨	ابو تمام	بكائى	لا تَسْقِنى
٢٨٩	.	القَمَر	لا تَعْجَبوا
٢٣٢، ٢٢٥	عنتره	مِنْ دَواء	لئن أَكَّ
٢٣٠	عروة بن الورد	مَجْزَر	لِحالِ اللَّهِ
٣٤٨	نصيب	ظاهِرَه	لعبد العزيز
١١	ابو تمام	كهل	لقد طلعت
١٥	ابو تمام	عقيمٌ	لله كَفٌّ
٢٩٥		ومشهدا	لنا جلساءٌ
١٦٧	فَدَوَى طوقان	النقمُ	لَنْ يَقْعُدَ
٢٩	المتنبى	الدَّورانِ	لو الفلكَ
١٥٨	المتنبى	اوقاتِها	ليس التعجب
١٦٠	موسى شهوات	فانى	ليس فيما
٢٣٩	ابن عبد ربه	زَيْر	ليث تطيرُ

((م))

٢٣٠	عنتره بن شداد	مَنْزِلِ	ماء الحياة
٢٩٧	المعرى	على الجَسَدِ	ما الخيرُ
٣١	المتنبى	ومالى	ما جَدْر
١٣	ابو تمام	وتَلَهَوْتُ	ما مَقْرَبٌ
١١	المتنبى	النَّسْبِ	مبارك
١٤	البحترى	متأمِّلُ	متحيرين
١٥	ابو تمام	نديم	متفجِّرٌ
٢٢٧	الصنوبرى	العَنْبَرِ	مِحنَ الفتى
٣٩	المتنبى	من السقم	مَلامى

الصفحة	الشاعر	الغافية	صدر البيت
٢٣٨		وبارح	ملاحاجبيك
٣١	الفرزدق	القمل	من عزه
٣٧١	المتنبي	المظالم	من الحلم
٣١٤	المتنبي	الاسكندرا	من مبلغ
٣٤٦	اسماعيل بن يسار	الأربد	منع التفزى
١٥	قعب بن أم صاحب	ضنونا	مهلا

((ن))

٢٧٧	المهلهل	المجلس	نبتت
٢٤٠	المتنبي	الدرهم	نشرتهم
٢٧	الاعرج	الأجل	نحن بنوالموت
١٩٢	امرؤالقيس	لقفال	نظرت
٣٢٣	القطامي	زراد	نقريهم

((و))

٢٣٠	المتنبي	تلطم	واذا أشار
١٥٨	عنتره بن شداد	العنقود	واذا غبار الخيل
١٤	المتنبي	اللدة عنا	واذا الفتى
٢٩٥	البحترى	المتواتر	وأرى المنايا
٢٨١		بالبرد	وأسبلت
٢٢٤	عنتره بن شداد	ورداهها	وأنا المنية
٢٢٤	عنتره بن شداد	الآجال	وأنا المنية
١٤	المتنبي	الزنا	وانه المشير
١٤	ابن هرمة	بمنتزاح	وانت على
١٥٠	المعري	والحمائل	وان كان

الصفحة	الشاعر	الغايه	صدر البيت
٢٥	مجنون ليلى	القَطْرُ	وانى لتعرونى
٩٥	امرؤ القيس	مُعَوَّلِ	وان شغائى
٣٢٨	ابوزياد الكلابى	فأصارعُ	وانى لأكنو
٣١٠، ٢١٨	محمد بن وهيب	يَمتدحُ	وبدا الصبح
١٢	ابوالشيص	المقراض	وجناح
٢٨٥	ابونواس	انصرفا	والحبُّ
٢٤٠	المرار	دجُونُها	وَخالِ
٢٣٤	عنتره	المترنم	وخلا
٢٣٤	المعري	مع الكدرِ	والخيلُ
٣٤٤	عنتره بن شداد	بمحرَّمِ	وشككتُ
٣٦٨	المعري	فى الأزهار	والشيبُ
٢١١	ابى النجم او ابن المعتز	فوق الجبَلِ	والشمسُ
٣٦٠		الأضغانِ	والضارين
٢٧٩		عينها	وظفقت
٢٨٣	المعري	لصاف	والطير
٢٢٠	مجنون ليلى	دقيقُ	وعيناك
٣٠٣	ليبد	زمامُها	وغداة
٧		قبر	وقبر
٣٢٨	عمر بن ابي ربيعة	وما تكنى	وقد ارسلتُ
٣٦٨	ابن الرومى	يحدث	وقد قلتُ
٣٣١، ٢٥٠	امرؤ القيس	هيكَلِ	وقد اغتدى
٦٣	ابوالعتاهية	حيًا	وكانت
٢٣٧	ابوبكر بن ظهار	ليثُ	وكانَّ
٢١٦، ٢٠٤	ابوطالب الرقى	أزرق	وكانَّ
٢٢٠	بديع الزمان همدانى	الذَّهبا	وكاد

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٧	ليبدن ربيعة	الأنامل	وكل أناسٍ
١٦٠	عنتره	والسعد	ولاعاشٍ
٢٠٥	بشار بن برد	لِلْفَوَادِمِ	ولا تجعل
٢٣١، ١٩٠، ٢٥	عنتره	من دمي	ولقد ذكرتك
١٨	أبو تمام	مازار	ولقد شفى
٢٢٠	المتنبي	في البهائم	ولولا احتقار
٢٩٩، ٢٢٩	الشنفرى	جبال	ولى دونكم
١٢٩	ابن مالك	هيا	وللمنادى
١٤٦	ليبد	الودائع	وما المال
٢٢٥	المتنبي	بلا رجل	وما الموت
٢٢٧، ٢٠٦	المتنبي	الرغام	وما أنا
٣٥٩	المتنبي	المصمم	وما ربة
١٧	الفرزدق	يقاربته	وما مثله
٢٣٥، ٣٨	المتنبي	اللقالق	وملمولة
٢٩٣	المتنبي	الزلالا	ومن يك
٢٨	عمر بن ربيعة	كالدمى	ومن مالى
٢٦٧	المتنبي	والجدا	ويحى
٢٩٨	أبو تمام	في السماء	ويصعد

(هـ)

٢٥٩	جعفر بن علبة الحارثى	موق	هواى
-----	----------------------	-----	------

(ى)

٢١٩	الصاحب بن عباد	مشتاقه	يا ايها القاضى
٢١٢	أبو تمام	تصور	يا صاحبى

الصفحة	الشاعر	الغافية	صدر البيت
١٣١		الجَرَاح	يا عينُ
٣١٤	التهامي	الأسحارِ	يا كوكبا
١٣١		واصفري	يا لكِ مِـنْ
٣٤٧	الشنفري	حَلَّتِ	يَبَيْتُ
٣٦١	الصاحب بن عبَّاد	يحيى	يحيى
٢٣٧	العرجي	العقاربُ	يدِبُّ هَواها
١٣	البحثري	وايِّمِ	يَشَقُّ
٣٤	تأبط شرا	المهالك	يظلُّ

فهرس الأعلام

٣٣١، ٣١٤	(١)
ابن الفارض ١٦٠	الإمدى ٢٧٧، ٥٦
ابن قتيبه، أبو محمد عبدالله بن مسلم	ابراهيم بن المدبر ٢٨٨
٢٤٦، ٢٤٨، ٢٧٧، ٣٣٩، ٣٤٠	ابراهيم بن هشام ١٧
٣٥١	ابن ابى الأصبع ٣٤٣
ابن مالك ١٠٣	ابن الأثير ٦٩، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠
ابن المعتز ٢١١، ٢١٥، ٢٤١، ٢٧٩	٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤٢، ٥٨
٢٨٠، ٣٤١، ٣٥٢	١٧٩، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٩، ٢١٢
ابن المقفّع ٥٣، ٦١، ٦٣	٢٣٤، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٧
ابن مقلة ١٨٦	٢٨٨، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٤
ابن هرمة ١٤، ٢٧	ابن الأنبارى ٢٢٩
ابوأيوب، احمد بن عمران ١٦	ابن بقرية ٢٢٩
ابوبكر بن دريد ٢٧٧	ابن جلى ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٧٤
ابوبكر بن ظهار ٢٣٧	ابن الحاجب ٢٤٤، ٢٤٧
ابوحيان ٥٥	ابن خلكان ١٦
ابو زياد الكلابى ٣٣٨	ابن رشد ٦٢
ابوسليمان ٥٥	ابن الرومى ٢٢٨، ٣٦٨
ابوعبيدة، معمر بن المثنى ٢٤٦	ابن طباطبا ٣٥٢
٢٤٨، ٣٣٩	ابن عبد ربّه ٢٣٩
ابوالعنايه ٦٣، ٦٥، ١٣٠	ابن العميد، ابو الفضل ١٤٢، ٢٨٩

أبي الفتح البستي ٢٠٩	٢٠٦، ١٥٣
أبي النجم ٢١١	أبو العلاء بن سليمان ٣٦
أبي نصر بن نباته، عبدالعزيز ١٦،	أبو عمرو بن العلاء ٣٦٥
٣٣٣	أبو فراس الحمداني ٢٠٩
أبي هريرة ٣٤٠	أبونواس ٤٠، ٦١، ٨٠، ١٨٥
أحمد بدوي ٥٧	٢١٢، ٢٣٩، ٢٨٥، ٣٣٣، ٣٤٥
أحمد بن مأمون ٨١	٣٤٦
أحمد بن المدبر ٢٨٨	أبو هلال العسكري ٨، ٩، ١٠، ٤٢
أحمد حسن الزيات ٣٦٦	٥٦، ١٨٢، ٢٠٢، ٢٧٧، ٣٤١
أحمد شائب ٦٦، ٣٦٦	٣٥٢
أحمد مطلوب ٥٧	أبي اسحق، إبراهيم بن هلال الصابي
الاختل ٢٣٦	١٥
أرسطو ٣٢، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٤٥،	أبي اسحق، الإسفرائني ٢٥١
٣٦٥، ٣١٤، ٢٥٠	أبي بكر ٣٥٣
أرطاة بن سبيبة ٣٣٢	أبي تمام ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٨
أسماعيل بن منذر ٢٧٨	٦١، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٩٨
أسماعيل بن منقذ ٣٤٢	٣٣٣
الاسد آبادي، جمال الدين ١٥٣	أبي ذر ٣٤٠
الاسكندر ٣١٤	أبي الشيص ١٢
اسماعيل بن يسار ٣٤٦	أبي طالب ١٥٦، ٣٤٠
الاشعث بن القيس ٨١	أبي طالب الرقي ٢٠٤، ٢١٦
الأصمعي ١١، ٢٢١، ٣٦٥	أبي عباد، البحري ١٣، ١٤، ٢١٨
الأعرج ٢٦	٢٢٠، ٢٣٠، ٢٨٧، ٢٩٥، ٣٤٩
أعور بن كروس ١٤	أبي العباس، ثعلب ٨١
افشين ١٨	أبي علقمة النحوي ١٢
أفلاطون ٢٨	أبي عينية ٢٠٩

- امرو القيس ٦١، ٩٥، ١٢١، ١٩٢، تشارلتن ٢٣، ٥٢
 ٢١٥، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٥٠، ٣٣١، التفتازاني، سعد الدين ١٠٨، ١٥٧
 ٣٣٥، ٢٠١، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٤٢، ٢٦٠
 أمين الخولى ٦٠
 ٣٠٥، ٣١٥، ٣٠٩، ٣٠٥
 أمية بن ابى الصلت ٣٦٩
 التميمى، عمر بن سيّار بن مكرم
 أيمى ٢٤٠
 التنوخي، حسين بن اسحق
 التهامى، ابوالحسن ٣١٤

((ب))

- الباقلانى ١٨٤
 بابك (خرمدين) ١٨
 الجاحظ ٧، ١٠، ١٢، ٣٢، ٣٨
 البارودى ٢٠٩، ٢٣٠
 ٤٤، ٤٨، ٥١، ٥٤، ٧٢، ٢٧٩
 بدر بن عمار ١٤
 جبريل ١٠١
 بديع الزمان الهمدانى ٢٢٠
 الجراح ١٣١
 البرقوقى ٣٩
 جرير ٧٥، ٢٤٧
 بزرجمهر ٥٥
 جعفر بن علبه الحارثى ٢٥٩
 جعفر بن كلاب ٢٧٧
 بشار بن برد ٢٥، ٦٠، ٦٥، ١٩٨
 الجندى، على ١٩٥، ٢٢٥، ٢٣٠
 ٢٠٥، ٢٣٥، ٢٣٧، ٣٦٥، ٣٦٦
 جورج ديهاميل ٢٣، ٦٤
 بشر بن المعتمد ٦١

((ج))

- بلقيس ١٩٣
 البنانى ١٢٣
 حارث بن وعله
 بندتو كروتشية ٤٩
 الحجّاج ٢٠٠، ٢٧٣
 بوفون ٣٦٩
 حجل بن نضلة القيسى ٨٢
 حسان بن ثابت ١٥٦
 حسن بن سهل ٢٢٤

((ت))

- تأبط شرآ ٣٤، ٢٠٠، ٣٠٢

- حسين بن اسحاق ٣٩
حسن بن علي (ع) ٥٣
حسن كامل الصيرفي ١٤
الحسين البصري ٢٤٤
حسين بن علي (ع) ٩
الحسين بن مطير ٢٣٤
الحطينة العبسي ٣٦، ٢٦٢، ٢٧١
الحكيم السيزواري، الحاج الملا
هادي ٩٦
حميد الطوسي ١٣
حمزة، سيد الشهداء ٣٤٦
- (ذ)
- ذو الرمة ٢٣٦
- (ر)
- رفائيل ٤٩
الرمثاني ١٨٢، ٢٧٦، ٢٧٩
- (ز)
- انزجاج ١٩٤
زفر بن الحارث ٢٣٦
زكريا (ع) ٧٨، ٢٥٩
الزمخشري ١١٠، ١١٥، ١٧٩،
٢٣٥، ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٢٨، ٣٣٤،
٣٥٣، ٣٤٣
زهير بن ابي سلمي ١١، ١٨٧
- (خ)
- خالد بن صفوان ٣١٥
الخطيب التبريزي ١٥، ٢٧
الخفاجي، ابن سنان ٣٥، ٣٨، ٤٢،
٣٣٥
خفاف بن ندبة ٢٣٦
خلف الأحمر ٣٦٥، ٣٦٦
الخليل، خليل بن احمد ٢، ٥٣
الخنساء ٢٦٥، ٢٦٦، ٣٤٧
خويلد الهذلي ٣٣٤
- (س)
- ساعدة بن جوية ٢٣٨
السكاكي ١٧، ٤٣، ٥٨، ٥٩، ١٠٠،
١٠١، ١٠٢، ١٨٣، ٢٠٠، ٢٠١
٢٢٨، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٦٨،
٢٦٩، ٢٧١، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦
- (د)
- دانته ٤٩
داود بن علي ٢٩١

- ٣١٦، ٣١٢، ٣١١، ٣٠٨، ٣٠٧
 ٣٥٠، ٣٤٥، ٣٤٣، ٣٢٤، ٣١٧
- «ص»
 الصاحب بن عبّاد، اسماعيل ٣٦٥
 ٣٦١، ٢١٨ سليمان ١٩٣
 الصنوبرى ٢٢٧ سنيك (Senekue) ٦٤
 الصولى عباس ١٩٦ سورين (Seurin) ٦٤
 السيالكوتى، عبد الحكيم ١٠٨
- «ط»
 طرفة بن العيد ٢٦٤ السيد الشريف الجرجانى ٩٨
 ٣٢٠، ٢٦٠، ١٢٢، ١١٠
 ٣١٩، ٢٦٠، ٢٠١، ١٠٨
- «ع»
 عباس بن الأحنف ١٣٩ سيف الدولة ١١، ٢٤، ٣٠، ٣٨
 عبد القاهر الجرجانى «الشيخ» ٣٥٩
 الامام «٣، ٥، ١٧، ٣٥، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٧، ٦٨، ٦٨، ١٠٩، ١٠٨، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١»
 ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٧، ١٨٢
 ٢٤٣، ٢١٦، ٢١٥، ٢٠٨، ٢٠٣
 ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٥٣، ٢٤٦، ٢٤٤
 ٣٠٣، ٢٨٥، ٢٨٠، ٢٧٨، ٢٧١
 ٣٤٢، ٣٣٦، ٣٣٠، ٣٠٩، ٣٠٤
 ٣٦٧، ٣٦٤، ٣٥٧
 عبد الرحمن بن الحكم ٢٤٠
 عبد الله بن جعفر الطالبى ١٤٤
 عبد الله بن عمر بن عثمان ١٦٠
- «ش»
 شارلتن ٣٥٧
 الشافعى، محمد بن ادريس ٣٥١
 شيب العقيلى ٢٩
 الشريف، ابى الحسن، محمد بن
 احمد ٢٨٩
 الشريف الرضى ١٥، ٢٧٣، ٣٢٨
 ٣٦٨، ٣٤١
 الشنفرى ٤٥، ٢٩٩، ٣٤٧
 شوقى ضيف ٢٢٩

٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٩،

٣٤٤

((ف))

فاطمة (ع) ٣٢٨

فدوى، طوقان ١٦٨

الفرزدق ١٧، ٣١، ٣٦٨

القرآء ٣٣٩

فرعون ٣٩، ١٣٠، ٢٦٣، ٣١٥،

((ق))

قابوس بن وشمكير ١٦٠

القاضي أبي الحسن الجرجاني

٢١٨، ٢٧٨، ٢٨٥، ٣٣٢

القاضي التنوخي ٢٥٣

قدامة بن جعفر ١٩٢

القزويني، الخطيب ٢٠، ٦١، ١١٤،

١٥٧، ١٨٣، ٢٦٦، ٢٦٨

القطامي، عمير بن شبيب ٣٢٣

قعب بن أمّ صاحب ١٥

قيس بن الرقيات ١٨٤

القيرواني «ابن رشيق» ١٨٣، ٢٤٦،

٢٤٨، ٢٧٣، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٥٣

((ك))

كافور ٢٩

عبد الحميد، حسين ١٧٧

عبد العزيز بن مروان ٢٩٦

عبد المطلب ٦٩٨، ١٠٠، ١٥٦،

عبد الوهاب بن ميسان ٤٠

العتابي ٥٤

العدوي، شيخ الدسوقي ١٣٨

عدى بن زيد ٣٦٩

الرجي ٢٣٧

عروة بن الورد ٢٢٤، ٢٢٩

عروة بن الزبير ٣٤١، ٣٤٦

عصام الدين ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٢٥

العقّاد، عباس محمود ١٨٩، ٢٤٩،

٢٧٣

علي (ع) ٩، ٥٣، ٨٣، ١٨٥، ٢٩٩،

٢٠٠، ٣٠١، ٣٢٨، ٣٧١

علي بن عبد الله بن عباس ٣٤١

عمران ٧٨

عمران بن الحطان السدوسي ٢٣٨

عمر بن الخطاب (ر) ٣٥٣

عمر بن أبي ربيعة ٢٨، ٢٩، ٩٠،

٣٣٨، ٣٥٨

عمر بن سيّار ٢٧

عمر بن العاص ٢٦٤

عمر بن معدى كرب ٣٥٢

عنتر بن شدّاد العبسي ٢٤، ١٥٨،

١٦٠، ١٩٥، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩،

٣٧١	كانت ١٧٨
مجنون ليلي ٢٥، ٢٢٠، ٢٣٤	كثير ١٤٢، ٢١٧، ٢٣٧، ٢٩٦
٣١٤، ٢٥٢	كعب بن زهير ٣٥٣
محمد (ص) ٦، ٩، ١٣، ٣٠، ٧٤	كعب الاشقري ٢٠٠
١٥٤، ١١٠، ١٠٣، ٩٩، ٧٩	الكميت ٢٣٩، ٩٠
١٦٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٢٤، ٢٢٦	الكندي، يعقوب بن اسحق ٨١
٢٥٠، ٢٥٥، ٢٨٢، ٢٩٣، ٢٩٨	
٣٢١، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٥٠	((ل))
٣٦٣، ٣٦٢، ٣٥١	لابرويير ٦٤
محمد بن الهيثم ١٥	لاس ل آبر كرمبي ٥٦
محمد بن وهب ٢١٨، ٣٠٩	لاهارب (Laharpe) ٦٣
محمد بن وهيب ٢٢٦	ليبدن ربعة ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٥٢
محمود درويش ١٨٠	ليلي ٢٥
محمود الوراق ١٠٦	
المخزومي = ابراهيم بن هشام بن اسماعيل	((م))
المرار ٢٤٠	المازني ١٨٩
المرزوقي ٢٣٣	مازيار ١٨
مروان بن محمد ٢٩٣	مالرمية ٣٦٠، ٣٧٨
المسلم بن الوليد ٢٣٣	مأمون ٨١، ٢١٨
مسيح بن مريم (ع) ٥٠، ٨٠، ٩٩	المبرد ٣٤٠
٣٤٠	المتنبي (ابو الطيب) ١١، ١٤، ١٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٨، ٣٩، ٤١
المعتصم بالله ١٢	١٥٨، ١٨٥، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٧
المعري، ابو العلاء ٣٥، ١٥٠	٢٠٩، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨
١٥٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٩٠، ٢٣٤	٢٣٠، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٦٧، ٢٧٦
٢٨٣، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٦٨	٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٢٣، ٣٥٩

٢٤٧، ٢٤٤، ٢٤٣، ١٨٤، ٥٩

معين بن زائدة ١٣١، ٢٣٤

معوذ الحكماء ، معاوية بن مالك ٢٧٧

(و)

المغيث بن العجلي ٢٩

الوراق، محمود ١٢١

المنفلوطي ١٨٦

الوليد بن زيد ٢٩٣

موسى (ع) ٦، ١٠١، ١٢٢، ١٣٠

موسى شهوات ١٦٠

(هـ)

المهدى ٦٥

هارون (ع) ٦

المهلهل ٢٧٧

هاني بن قبيصة الشيباني ١٤٥

هرم بن سنان ١١

(ن)

هشام بن عبد الملك ١٧

الناطقة الذبياني ٣٩، ١٨٥، ٢٨٢

النبي = محمد (ص)

(ي)

الناطقة الجعدى ٢٣٩

يزيد بن وليد ١٦٩

النجاشي ١٣

يحيى (ع) ١١٩

النعمان المنذر ١٦

يحيى بن حمزة العلوي ٢٤٨

نصيب ٣٤٨

يحيى ٣٦١

النويري، احمد بن عبد الوهاب ١٩

مصادر الكتاب

- ١- ابراهيم على ابوالخشب، الأدب والبلاغة، الطبعة الثانية، مصر، ١٣٧٨-١٩٥٩.
- ٢- ابوالحسن حازم القرطاجنى، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه، تونس.
- ٣- ابوالحسن على بن عيسى الرمانى (٣٨٦-٢٩٦)، النكت فى اعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دارالمعارف.
- ٤- ابوالعباس المبرد، الكامل فى اللغة والأدب والنحو والصرف، تحقيق الدكتور زكى مبارك، الطبعة الأولى، مصر.
- ٥- ابوالعلا المعرى، سقط الزند، بيروت.
- ٦- ابوالفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير (٦٢٧ هـ)، المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، طبع مصر، ١٣٥٨-١٩٣٩.
- ٧- ابوالفتح عثمان بن جنى، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، دارالهدى، للطباعة والنشر، بيروت.
- ٨- ابوالفرج الاصفهانى، الاغانى، باشراف العلامة الشيخ عبدالله العليلى وموسى سليمان واحمد ابوسعده، دارالثقافة، بيروت.
- ٩- ابوالقاسم الحسن بشر الأمدى (٣٧٠ هـ) الموازنة بين شعر ابى تمام والبحترى، تحقيق السيد احمد صقر، دارالمعارف، ١٣٨٠-١٩٦١.
- ١٠- ابوالقاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهانى، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، ١٩٦١.

- ١١- ابوبشر عمرو والملقب بسبيويه، الكتاب، الطبعة الاولى، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق، مصر ١٣١٦ .
- ١٢- ابوحيان التوحيدى، المقاييسات، تصحيح حسن الندوبى، مصر، ١٩٢٩-١٣٤٧ .
- ١٣- ابوسليمان محمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى (٣٨٨-٣١٩ هـ) ، بيان اعجاز القرآن، المطبوع تحت عنوان «ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن» تحقيق محمد خلف الله والدكتور زغلول سلام، دارالمعارف، مصر .
- ١٤- ابوعبيدة معمر بن المثنى (٢١٠ هـ)، مجاز القرآن، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزگين، مصر .
- ١٥- ابوعلی الحسن بن شقيق القيروانى الأزدي (٤٥٤-٣٩٠) ، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، بيروت .
- ١٦- ابوعلی بن سينا مع شرح نصير الدين طوسى، الاشارات، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دارالمعارف بمصر .
- ١٧- ابوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مصر ١٣٨٠-١٩٦٠ .
- ١٨- ابوعثمان عمرو بن بحر بن الجاحظ، الحيوان، مطبعة الحميدية مصر، ١٣٢٣ هـ .
- ١٩- ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه (٢٧٤-٢١٣)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد احمد صقر، دار احياء الكتب العربية .
- ٢٠- ابو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي (٤٣٠)، الكناية والتعريض، طبع مصر .
- ٢١- ابونواس، الديوان، بيروت، ١٣٨٢-١٩٦٢ .
- ٢٢- ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، الصناعتين، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد ابراهيم ابو الفضل، الطبعة الاولى، دار احياء الكتب العربية ١٣٧١-١٩٥٢ .

- ٢٣- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (٦٢٦ هـ)، مفتاح العلوم، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٦-١٩٣٧.
- ٢٤- ابن أبي الأصبع المصري (٥٥٦-٥٨٥)، بديع القرآن، تحقيق حضني محمد شرف، الطبعة الأولى، مصر ١٣٧٧-١٩٥٧.
- ٢٥- ابن السبكي، جمع الجوامع، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٨ هـ.
- ٢٦- ابن حجة الحمري، أبو بكر محمد بن علي (٧٦٧)، خزانة الأدب، مطبعة بولاق، مصر ١٢٧٣ هـ.
- ٢٧- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبدالرحمن بدوي، مكتبته النهضة المصرية، ١٩٦٠.
- ٢٨- ابن سينا، الشفاء، نشر وزارة المعارف العمومية، المطبعة الاميرية ١٣٧١.
- ٢٩- احمد الشائب، الاسلوب، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦ م.
- ٣٠- احمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، الطبعة الثانية، القاهرة.
- ٣١- ارسطو، فن الشعر، ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي، مصر ١٩٥٣.
- ٣٢- أرنولد بينت، الذوق الأدبي كيف فيكون، ترجمة الدكتور علي محمد الجندي، مصر.
- ٣٣- اسل أبركرمي، قواعد النقد الأدبي، ترجمة الدكتور محمد عوض مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ٣٤- الامام ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي، (٢٤٠-١٥٠)، الام تصحيح محمد زهري النجار، مكتبة كليات الأزهرية.
- ٣٥- الامام جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، طبع الشيخ عثمان عبدالرزاق، مصر ١٣٠٦.
- ٣٦- الامام عبدالقاهر الجرجاني، اسرار البلاغة، تحقيق احمد مصطفى

- المرافى بك مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٧-١٩٤٨ .
- ٣٧- الامام عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، الطبعة الثالثة ١٣٦٦ .
- ٣٨- الامام فخرالدين محمد بن عمر الرازى (٦٠٦)، نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز، مطبعة الآداب، قاهره ١٣١٧ هـ .
- ٣٩- الامام محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨ هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، الطبعة الاولى، مطبعة مصطفى محمد، مصر ١٣٥٤ هـ .
- ٤٠- الامير ابو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (٤٦٦ هـ) سر الفصاحة، تصحيح عبدالمتعال الصعدي، طبع مصر .
- ٤١- امين الخولى، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية المجلد الرابع، الجزء الثانى، ديسمبر ١٩٣٦، مقالة «البلاغة وعلم النفس» .
- ٤٢- تشارلتن، فنون الأدب، تقريب وشرح الدكتور نجيب محمود، الطبعة الثانية .
- ٤٣- التفتازانى (مختصر المطول) ، بهاء الدين السبكي (عروس الأفرانج ابن يعقوب المغربى (موهب الفتح) به نام شروح التلخيص، افست ايران .
- ٤٤- جورج ديهاحيل، دفاع عن الأدب، ترجمه الدكتور محمد مندور، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر .
- ٤٥- الحاج الملاهادى السبزواري، شرح المنظومة، مكتبة بوذرجمهرى
- ٤٦- حسن كامل الصيرفى، ديوان البحتري، دار المعارف مصر، ١٩٦٤ .
- ٤٧- خالد بن عبدالله الازهرى، شرح التصريح على التوضيح، دار الفكر.
- ٤٨- الخطيب التبريزى، شرح ديوان ابى تمام، تحقيق محمد عبده عزام . طبع دار المعارف، مصر . ١٩٧٠ .
- ٤٩- الخطيب التبريزى، شرح ديوان الحماسه، ابوزكريا يحيى بن على، مطبعة بولاق، ١٢٩٦ هـ .
- ٥٠- الخطيب القزوينى، الإيضاح، المطبوع بهامش شروح التلخيص .

- ٥١- خلف الله محمد، نظرية عبدالقاهر فى اسرار البلاغة، مجلة كلية الآداب بجامعة الفاروق الاول، ١٩٤٤ .
- ٥٢- الدكتور ابراهيم سلامة، بلاغة ارسطو بين العرب واليونان، الطبعة الثانية، مصر، ١٣٧١-١٩٥٢ .
- ٥٣- الدكتور احمد احمد بدوى، اسس النقد الادبى عند العرب، الطبعة الثالثة، مصر، ١٩٦٤ .
- ٥٤- الدكتور احمد مطلوب، مصطلحات بلاغية، الطبعة الاولى (١٣٩٢) . (هـ)
- ٥٥- الدكتور بدوى طبانه، البيان الغربى، مصر .
- ٥٦- الدكتور خفى محمد شرف، الصور البيانية بين النظرية والتطبيق، الطبعة الاولى، دار نهضة مصر، ١٩٦٥-١٣٨٥ .
- ٥٧- الدكتور درويش الجندى، الرمزية فى الادب العربى، دار نهضة مصر، للنشر والطباعة، القاهرة .
- ٥٨- الدكتور شوقى ضيف، الفن ومذاهبه فى الشعر، الطبعة الثالثة، مكتبة الاندلس، بيروت، لبنان .
- ٥٩- الدكتور شيخ امين، البلاغة فى ثوبها الجديد (علم المعانى) دار- العلم للملايين، بيروت .
- ٦٠- الدكتور عبدالعزيز عتيق، علم البيان، طبع دار النهضة، بيروت ١٣٦٠-١٩٧٤ .
- ٦١- الدكتور محمد غنيمى هلال، النقد الادبى الحديث، الطبعة الخامسة مكتبة الاغبوا المصرية، ١٩٧١ .
- ٦٢- الرمانى والخطابى وعبدالقاهر الجرجانى، ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله، دار المعارف، مصر .
- ٦٣- اسامة بن منقذ، البديع فى نقد الشعر، مطبعة مصطفى البابى- الحلبي، القاهرة، ١٣٨٠-١٩٦٠ .
- ٦٤- السيد احمد الهاشمى، جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع،

- الطبعة الثالثة عشر، مصر، ١٣٨٣ هـ .
- ٦٥- السيد الشريف الجرجاني، شرح مفتاح العلوم، مخطوط، مكتبة آستان قدس .
- ٦٦- السيوطى، الفية ابن مالك مع شرحه، طبع آقا، ايران ١٣١١ .
- ٦٧- الشريف الرضى، تلخيص البيان فى مجازات القرآن، مطبعة المعارف بغداد، ١٣٧٥-١٩٥٥ .
- ٦٨- الشريف الرضى، الديوان، بيروت، ١٣٨٠ هـ .
- ٦٩- شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى (٧٣٣-٦٧٧) نهاية الأرب فى فنون الأدب، مصر .
- ٧٠- الشيخ احمد الاسكندرى والشيخ مصطفى عنانى، الوسيط فى الادب العربى وتاريخه، الطبعة السادسة عشرة، دار المعارف، بمصر .
- ٧١- الشيخ الرئيس الحسين بن على بن سينا، النجاة، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥٧-١٩٣٨ .
- ٧٢- ضياء الدين بن الاثير الجزارى، الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، بتحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعد، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٣٧٥-١٩٥٦ .
- ٧٣- عباس حسن، النحو الوافى، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر ١٩٦٦ .
- ٧٤- عباس محمود العقاد، اللغة الشاعر، مكتبة الانجلو المصرية .
- ٧٥- عبد الله بن المعتز (٢٩٦ هـ)، البديع، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجى، مصر ١٣٦٤-١٩٤٥ .
- ٧٦- عبد الحكيم، حاشية السيكوتى، الشركة الصحافية العثمانية، استانبول، (١٣١١ هـ) .
- ٧٧- عبد الحميد حسن، الاصول الغنية للأدب، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الاولى .
- ٧٨- عبد الرحمن البرقوقى، شرح ديوان المتنبى، مطبعة السعادة،

مصر .

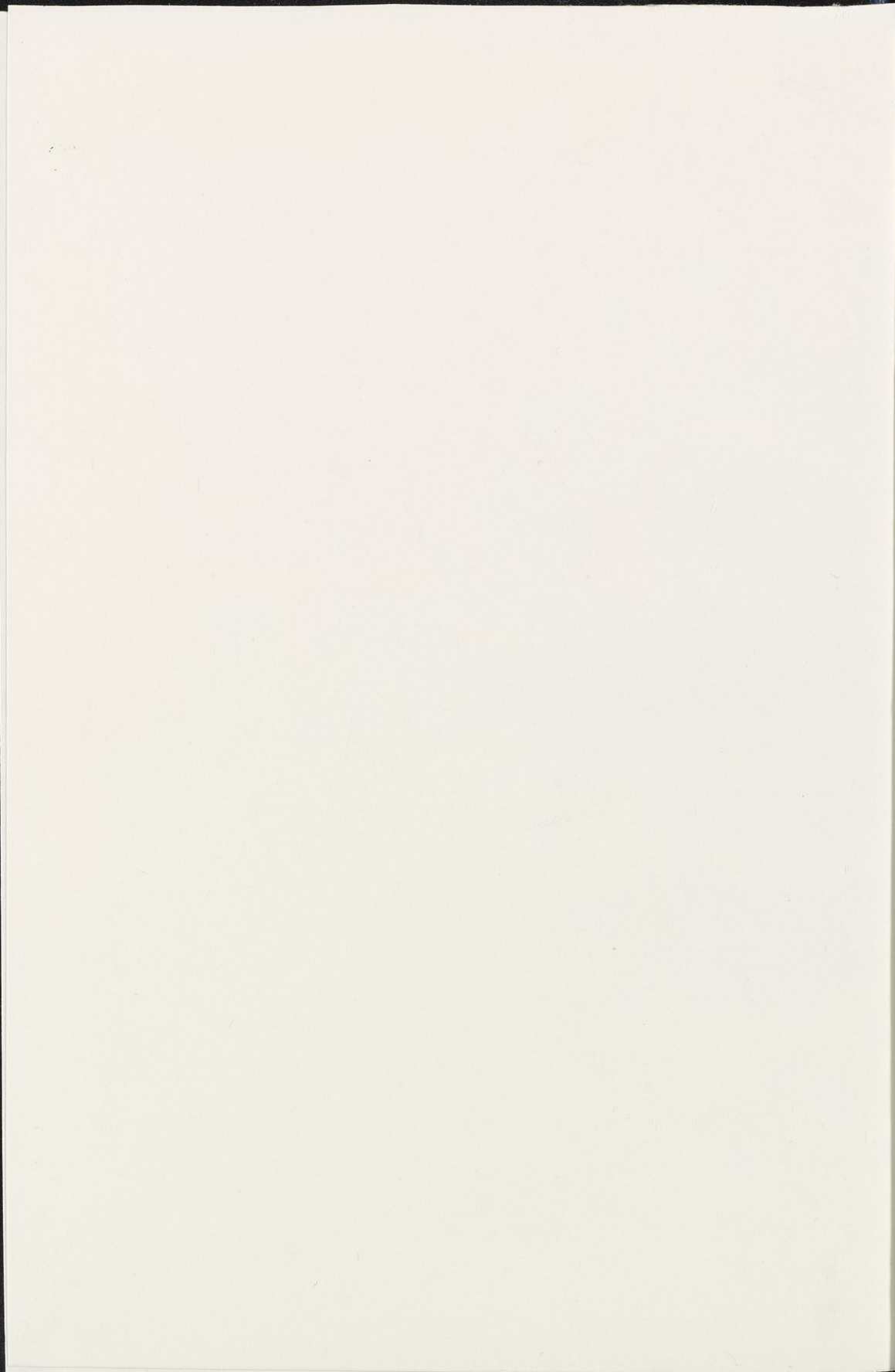
- ٧٩- عبد العلى السيد فوده، أساليب الاستفهام فى القرآن، نشر الرسائل الجامعية، مصر .
- ٨٠- عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية فى النقد العربى، دار الفكر العربى، ١٣٧٥-١٩٥٥ .
- ٨١- عصام الدين، الرسالة المخطوطة فى الإستعارة المعروف بعصام الدين الاستعارة .
- ٨٢- العلامة المحقق جمال الدين بن هشام الأنصارى، مغنى اللبيب، مطبعة حجازى، مصر ١٣٧٢ هـ .
- ٨٣- العلامة جلال الدين السيوطى، المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥ هـ .
- ٨٤- العلامة سعد الدين التفتازانى، المطول وعليه حاشية الحلبي، طبع محمد كاظم، ايران، ١٣١٠ هـ .
- ٨٥- العلامة سعد الدين التفتازانى، المطول وعليه حاشية السيد الشريف الجرجانى، مطبعة احمد كامل، ١٣٣٠ .
- ٨٦- العلامة سعد الدين التفتازانى، شرح مفتاح العلوم، مخطوط، مكتبة آستان قدس .
- ٨٧- العلامة سعد الدين التفتازانى، مختصر المطول مع شرح التلخيص
- ٨٨- على الجارم ومصطفى امين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر الطبعة الحادية والعشرون، ١٣٨٩-١٩٦٩ .
- ٨٩- على الجندى، فن التشبيه، مكتبة نهضة، مصر، الطبعة الاولى ١٩٥٢ .
- ٩٠- على بوملجم، فى الأسلوب الأدبى، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت .
- ٩١- عنتره، الديوان عنتره، بيروت .
- ٩٢- عيسى سابا، ديوان الحطيئة، مكتبة صادر، بيروت .

- ٩٣- فدوى طوقان، وحدي مع الايام، دار العودة، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧٤ .
- ٩٤- الفراء ابوزكريا يحيى بن زياد (٢٠٧ هـ)، معانى القرآن تحقيق احمد يوسف نجاقي ومحمد علي النجار، قاهره ١٣٧٤-١٩٥٥ .
- ٩٥- الفرزدق، الديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠-١٩٦٠ .
- ٩٦- القاضي ابوالعباس احمد بن محمد الجرجاني الثقفي (٤٨٢ هـ)، كنيات الأدباء واشارات البلغاء، مطبعة السعادة، مصر .
- ٩٧- القاضي ابوبكر الباقلاني، اعجاز القرآن، محمد بن الطيب، تحقيق السيد احمد صقر، دار المعارف، مصر .
- ٩٨- القاضي عضد الملة والدين، شرح مختصر المنتهى، طبع حسن حلمي، ١٣٠٧ .
- ٩٩- القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني (٣٦٦ هـ) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح محمد ابوالفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ١٠٠- مجنون ليلي، الديوان، مطبعة سپهر، بمبئي .
- ١٠١- محمد بن احمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام، قاهرة ١٩٥٦ .
- ١٠٢- محمد خلف الله، دراسات في الادب الاسلامي، قاهره ١٣٦٣-١٩٧٧ .
- ١٠٣- المهدي الآشتياني، تعليقه على المنظومة .
- ١٠٤- هارون هاشم رشيد، الشعر المقاتل في الارض المحتلة، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت .
- ١٠٥- يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مصر، ١٣٣٣-١٩١٤ .

أسف وشكر

مما يؤسفني اننى كنت على جناح السفر ولم يتيسر القيام بتنظيم
الفهارس، فتحمل أعباء هذا العمل عدد من الطلاب المجددين الوفيين ،
فشكرا على جهودهم .

☆







Elmer Holmes
Bobot Library

New York
University

